

السنائي

محمد السيد عبد الدايم - الساناي ، رواية

ISBN : 978-977-798-071-5

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٤٢٩٤

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .



© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

الساناي

رواية

محمد السيد عبد الدايم



يومًا ما ربما ستقرأها عندها ستعلم أنني كتبتها لك

إهداء

والدي العزيز معلمي الأول
د. حمزة الرياشي أبي الثاني تعجز الكلمات عن شكرك
أمي ما استطعت جهاداً بالجسد فجاهدت بالقلم
حماتي وأمي التي لم تلدني لولاكي ما رأيت كلماتي النور يوماً
زوجتي وكيف للكلمات أن تصوغ شكرًا في محراب كمحرابك

هذه حكاية الأيام نظرة في بحر الزمن قراءة للماضي
والمستقبل وللكل قانون ثابت

كتمثال من الشمع يقف بلا حراك بزيه الأبيض الناصع وبشرته
السمراء وطوله البين من خلف نافذة ضخمة تعرض له مشهداً
واحداً، فراغ لانهائي مع قليل من البقع المضيئة، على مقربة منه
تدرك أنه مخلوق حي يتنفس...

اقترب منه في ببطء متجاهلاً خلوته منادياً عليه ...

للحظات ظن أن الحياة فارقتة، ولكنه التفت إليه وقد حملت
عيناه عتاباً دون أن تبوح شفثيه وأكمل:

- لقد حان دورك ...

هز رأسه علامة الموافقة، ونظر نظرة أخيرة كأنما يودع الفراغ...
سار خلفه بخطوات بطيئة حتى وصلا إلى مقصدهما نزع عنه
ملابسه ودخل إلى أسطوانة النوم الاصطناعي ناظراً إليه قائلاً:

- هل سننجح!!!؟

تنهد قبل أن يغمض عينيه مجيباً:

- هي مسأله وقت قبل أن نعرف إجابة هذا السؤال ...

- نعم مسأله وقت لا أكثر ...

وفي عقله انساب سيل من الذكريات توقفت عند اسم واحد آدم
عمر ...

أغلق عينيه بهدوء ...

-١-

حديث هامس بين شخصين لا تتبين منه شيئاً قبل أن يتنحج أحدهما قائلاً:

اليوم أقف على أعتاب الموت، قد بلغت من الكبر عتياً ولم تعد لي حيوية الشباب ولا طاقته، وإنما هو هذا اللسان ... سأقضي أيامي القادمة أسجل للتاريخ ما رأيت، سأحكي له حكايتنا وأنا في المنتصف منها لربما لن يرويها أحد غيري ممن عاصرها وشاهدها ... سأروي كل شيء رأيتَه و سمعته فهي أحداث عظيمة ما تزال شاخصة أمام عيني كأنها اليوم ... سأختصر بعضها وأسهب في الأخرى ... لا تحكم على أبداً ولا تتهمني بشيء فلربما لا تحيي أبداً أو ترى ما حييت وشاهدت بنفسي ... أفعالي الخاطئة سأذكرها لا لأتفاخر بها أو دعوة لتقليدها، وإنما لأكون أميئاً مع نفسي أولاً ومعك أيّاً كنت ... في النهاية ما أنا إلا رجل ألقى به الأقدار في أتون أحداث ملتهبة شائكة شكلت وغيرت تاريخ أمة بأكملها تاريخ حضارة اندثرت تحت أكوام من الركام وبقايا الزمن الغابر ... يوماً ما ربما تأتي إلى هنا حيث أحياء فذكر محاسني وتناسى أخطائي ... لن تجد شاهداً لقبري فلا تبحث عني ولا تقدسني ... أيها التاريخ لا تظلمني ... أنا آدم عمر ولدت بأرض النيل فروتني بمائها وصبغتني بشمسها، فأنا ابنها وإن أبت تعلمت فيها فنون الحرب والقتال فصرت في

العشرين شاباً مقاتلاً أحمل على كتفي حمل أمة بأكملها، أدفع لها روعي بلا مقابل ولا امتنان، كان ملكنا عظيمًا مهيبًا قهرنا الدنيا ولم تقهرنا، ويوم بلغت السادسة والعشرين من عمري جاؤوا إلينا بما لا قبل لنا به ولا طاقة أمسينا قاهرين فأصبحنا مقهورين

في هذا اليوم تحديدًا بدأت النهاية ... الرابع من شهر صفر للعام الخامس والأربعين بعد المئة الثامنة للألفية الثانية للهجرة النبوية أصبحت يومها على أخبار القتال هناك في الفضاء بين أسطولنا الفضائي المهيب وأسطول الساناي (كما عرفناهم فيما بعد)، كان هجومًا مباغتًا قويًا وقاسيًا ... تصدى لهم أبطالنا البواسل وصدوهم ملحقين بهم هزيمة كبيرة ... ارتفعت رايات النصر خفاقة عالية، واحتفل الجميع بصخب شديد ... ظننا أن الأمر قد انتهى وبدأنا نللم جراحنا ونداويها بما استطعنا من جهد وعرق ...

مر عام أو يزيد وحن موعد المعركة الثانية... سطر أبطال الأسطول الفضائي أعظم البطولات من جديد (كم تمنيت أن أكون معهم) للمرة الثانية حموا الأرض منهم ودفعوهم عنها تاركين قتلاهم تملأ الفضاء حولنا وتنادى الناس بالفرح والنصر، وأصبحت حكايات المعارك للتسلية والترفيه، بيد أنه كان نصر بطعم الهزيمة، دحرناهم وكسرونا مئات الآلاف من الرجال والشباب فقدوا في المعركتين ... كان تعويضهم في القريب أمرًا شبه مستحيل ...

سمعنا وقتها بمن نادى بإنشاء مدن في باطن الأرض؛ تحمي النساء والأطفال والشيوخ، تحمي حضارتنا وإرثنا إن جاؤوا ثانيًا أو قل ثالثًا... ولخمسة أعوام بنيت بالأيدي والأرجل والعيون معلقة

بالسماء في خوف ووجل أنشئت مدن القاع لتسع الملايين، المليارات ستبقى لتواجه مصيرها المحتوم ... دوت صافرات الأنداز من جديد، وقد أعلنت أن القتال قد أوشك وهذه المرة هنا على الأرض فلا مجال للتراجع أنه الموت أو النصر ...

قليل من قطع الأسطول استطاعت أن تصدهم لبعض الوقت في النهاية هبطوا إلينا وتنادى الناس أن حي على الجهاد فإن القتال اليوم وليس غدًا، ملايين الرجال تقدموا بل نساءً وأطفالاً وشيوخًا رأيتهم بوجوه قلقة وقلوب وجلة وعيون متشبسة بالأمل شحذت الهمم وصقلت السواعد وانطلقت صيحات الحماس ونداء الله أكبر ...

رأيت قطع الأسطول الفضائي الأرضي من قبل مهيبة ضخمة ما هبط إلينا لا تصفه بضع كلمات عابرة ... اختاروا أماكن هبوطهم بعناية شديدة تدل على حنكة عسكرية وخبرة كبيرة فهم لم يختاروا أماكن عشوائية وإنما أماكن تستطيع معها قواتهم الانتشار والسيطرة بسرعة على الأرض، فكان أول هبوط لهم هناك في قلب الصحراء الكبرى بإفريقيا، ثم صحراء جوبي بآسيا وصحراء الحوض العظيم بأمريكا الشمالية بالإضافة إلى القطب الشمالي وأستراليا، وما إن استقروا حتى خرجت مئات الآلاف من الطائرات المقاتلة الصغيرة؛ لتحمي مناطق الهبوط وتطهر المنطقة المحيطة من أي قوات معادية قريبة.

اتفق قادة العالم على تكوين هيئة أركان مشتركة تكون تحت قيادتنا، بيد أنها ارتكبت العديد من الأخطاء العسكرية الكبيرة

لتكون أحد أهم أسباب الهزيمة الكبيرة فيما بعد، كان أولها إرسال أغلب الطائرات المقاتلة لدينا للاشتباك مع طائرات العدو المتفوقة في العدد بشكل كبير آملين أن يحدث نوعاً من التأثير النفسي المضاد على معنويات العدو، وهو الأمر الذي لم يتحقق، وكما قلت سابقاً لتفوقه العددي الكبير وإن كانت القدرات القتالية متقاربة إلى حد ما ... الكارثة الكبرى التي لا أستطيع حتى اليوم أن أجد لهم مبرراً مقنعاً حتى الآن لقد قاموا بتقسيم الجيوش البرية إلى فرق صغيرة؛ لتحاصر العدو، وهو الأمر الذي اعترضت عليه صراحة، ونقلت اعتراضي هذا إلى قيادة الأركان محذراً إياهم من مغبة تقسيم القوات ونشرها على مساحة جغرافية كبيرة؛ فهذا سيفقدها كثيراً من قوتها... كان هدفهم هو تطويق العدو وإبعاد القتال عن المدن المليئة بالسكان وجعله في الصحراء، كان هدفاً نبيلاً ولكنه أحمق؛ فإن العدو لن يغزو مدينة أو يدمرها حتى يدرك أنه قضى على القوات العسكرية المدفعة أولاً؛ حتى لا تأتيه الضربة من الخلف فإنك إن قضيت على قوات العدو سارت السيطرة على الأرض أمراً سهلاً، وهذه إستراتيجية معروفة حتى على مستوى الحروب الفضائية، بالإضافة أننا لا نعرف شيئاً عن أعداد قواته البرية أو قدراتهم العسكرية، ولا نملك الغطاء الجوي الكافي لحماية القوات جميعها.

تم إعفائي من منصبى وتحويلى إلى المحاكمة العسكرية العاجلة؛ لمخالفة الأوامر، ومن حسن الحظ أن أحدهم لم يوجه مدفعه إلى صدري ويقتلني على الفور... أحتججت في أحد المطارات العسكرية

بالقرب من مدينة الطور بسيناء، وتوالت الأنباء الحزينة، ففي صباح اليوم التالي انطلقت القوات البرية بعد تمهيد نيراني كبير لتدمير السفن الفضائية العملاقة!!! كانت مذبحه بكل ما تحمل الكلمة من معنى وقُتل وأُصيب الآلاف، بل لن أبالغ إن قلت الملايين من الجنود والقادة في هذا الهجوم الغير متكافئ، ولم يفقد العدو أي من قواته البرية التي لم نرها بعد ... مدافع سفنه العملاقة تكفلت بالمهمة على أكمل وجه، وقامت مقاتلاته بتحييد سلاحنا الجوي بكل كفاءة.

بعد العصر من نفس يوم الهجوم تم تكليفي من جديد لقيادة الخط الدفاعي الثاني المتمركز في سيناء (كنت صغير السن والرتبة ولكننا فقدنا تقريباً كل الرتب العليا والقادة الميدانيين في معركة الصحراء الكبرى، فأصبحتُ أعلى ضابط رتبة في كل أفريقيا وسيناء، رُقيت يومها مباشرة إلى رتبة جنرال متجاوزاً خمس رتب على الأقل) لصد الهجوم المحتمل القادم أمرت من تبقى من قوات في الشطر الأفريقي بالانسحاب إلى سيناء، بيد أنه لم يتبقى غير عشرة في المئة فقط أصبحت إفريقيا مفتوحة أمامهم بلا مقاومة.

بعد المعركة الكارثية بيوم واحد بدأنا نرى طلائع القوات البرية للعدو سيطرت على المدن الرئيسية في العديد من مناطق العالم حولهم دون استباحة السكان أو تدمير المدن، كان أمراً في غاية العجب و الأغرب لم يأت بعد، فإن القوات التي بدأت صورها تصل إلينا لم تكن على هيئة واحدة أو شكل واحد، وإنما على هيئات مختلفة وأجناس عديدة، كان أكثرهم هم الساناي، قوم

ضخام الأجساد يميزهم ابتغاؤهم القتال كأنما هو غايتهم في الحياة، ولا تستطيع أن تفرق بينهم وبين البشر في شيء، ثم الياغات أيضًا مثلنا نحن البشر باستثناء عيونهم السوداء بالكامل، وهم ماهرون في القتال جدًّا وجنود بوسائل... اليامور قادة الدبابات والطائرات المقاتلة كأنما أجسادهم مصبوغة باللون الأحمر القرمزي وغيرهم كثير .. وكان أغرب ما رأيت منهم هو قتالهم فما إن يحدث القتال وتختلط الأوراق حتى يلقي الفرد المقاتل منهم سلاحه الآلي ويشهر سلاحًا بدائيًا يشبه السيف عندنا، ولا أنكر أنهم مقاتلون بكل ما تحمل الكلمة من معنى ...

وما إن سيطروا على أجزاء ضخمة من الكرة الأرضية حتى حدثت المفاجأة الكبرى فلأعوام مضت قاتلناهم هناك في الفضاء، وعلى الأرض ولم يحدث أي اتصال أو تبادل للرسائل بيننا أبدًا (على الأقل هذا ما وصل إلى علمي) لتأتي تلك الرسالة، والتي ظهر فيها شخص مهيب الهيئه صارم الملامح ضخم الجسد على وجهه آثار جرح قديم أعور العين اليمنى صاحب صوت خشن أجش يجلس على كرسي عظيم يهدد ويتوعد ما زالت كلماته ترن في أذني إلى اليوم قال فيها:

أنا الإمبراطور الإله موتاي إمبراطور الكواكب السبعة الكبرى وسيد مجرة المحارب الأبيض بلا منازع، العظيم في ملكي قهرت كل مخلوق خلق، فأنا لا أهزم، خلقت من ماء الإله فأنا له شريك، ولكونه وريث من سجد تحت عرشي خاشعًا ذليلًا فقد نجى ومن لم يفعل فأنا قادم ...

لم يكذب ينتهي من رسالته حتى سجد الكثير والكثير كما لو كانوا ينتظرونها، بل بالغ بعضهم في إظهار ولائه للسيد الجديد موتاي فقاموا بقتالنا على جبهات متعددة مظهرين مدى تفانيهم في خدمته ... في النهاية لم يبقَ غيرنا فالأمر لم يكن مجرد حياة فضل أغلبنا الموت على الخنوع، ولكننا انتظرنا رد فعل قادتنا فكان الرد حاسماً من قائدنا وزعيمنا برسالة جاء فيها:

أما بعد فالملك لله وحده لا شريك له يؤتیه من يشاء وينزعه ممن يشاء، فلا سلطان عليه ولا وريث له، فإن كُتِب علينا القتال فنحن أهله ورجاله

فصل ساحات الوغى عنا كم شهدت من فعالنا أمجاد

ولتعلم يا ابن العاهرة إن كانت لك جولة أو جولتان فإننا كاسروك غداً، فإن هزمتنا قمنا لك بعده واعلم أن صخر الجبال ورمال الصحراء وحيوانات الأرض وأسماك البحار ستقاتلك ما دامت تنتمي إلينا.

رسالة مقتضبة واضحة المعالم صارمة الكلمات، أوضحت لجميع المقاتلين أننا سنقاتل حتى النهاية (لن أكذب لقد تمنيت للحظات أن نرحم أنفسنا وأهلينا بل وأمتنا من مصير رأيتَه يلوح في الأفق وللغد قول آخر) ...

استولى العدو على أفريقيا السمراء في أيام معدودة دون مقاومة تذكر، وبدأ باجتياح الشمال الأفريقي والذي لم يقاوم أيضاً؛ بسبب

المعركة السابقة التي فقدنا فيها قواتنا القادرة على الدفاع آملين أن نوقفهم في سيناء.

عشرة أيام كاملة قضيتها في تنظيم قواتي والتي تحولت لجيش صغير ونشرتها في سيناء، متخذًا من الجهة المقابلة لقناة السويس موقعًا للمعركة؛ لأسباب عديدة أهمها سهولة الدفاع عن هذه المنطقة التي تنحدر من الشرق للغرب... قسمت قواتي إلى أربع فرق رئيسية، جناح أيسر وأيمن ومقدمة ومؤخرة، وأمرت الجناح الأيمن والأيسر باتخاذ مواقع بعيدة عن المقدمة والاختباء بقدر الإمكان ...

نشرت بعض فصائل الاستطلاع على قناة السويس التي أبلغتنا بتحركات العدو أولاً بأول...

الرابع والعشرون من شهر شعبان الساعة الخامسة صباحًا:

بدأت طائراته المقاتلة بقصف المقدمة بكل ما تملك محدثة خسائر طفيفة في الوقت الذي بدأت قواته البرية في العبور (كانت الطائرات المخصصة لي من هيئة الأركان أقل من أن تصدهم، ولكن ساعدتني طبيعة المنطقة الجبلية والتي حمت جنودي بشكل كبير).

الساعة العاشرة والنصف صباحًا:

المقدمة تشتبك مع فرق استطلاع العدو وأجبرتها على التراجع للخلف.

الساعة الواحدة ظهرًا:

بدأ الهجوم الرئيسي للعدو بشكل مكثف ضاغطًا بكل ما يملك من جنود وعتاد (رأينا دباباته غريبة الهيئة ومركباته الطائرة للمرة الأولى وإن لم تكن فعالة بشكل كبير).

الساعة الخامسة عصرًا:

بدأت المقدمة في الانسحاب التدريجي.

الساعة السابعة مساءً:

أصبح الضغط على المقدمة أكبر ما يمكن وتحول القتال إلى الأسلحة البدائية انتهى الانسحاب التدريجي والمقدمة صامدة مع كثرة الخسائر.

الساعة الثانية صباحًا:

الجناح الأيمن يبدأ بهجوم مفاجئ على الجانب الأيسر للعدو.

الساعة الثانية والنصف صباحًا:

الجناح الأيسر يغلق طريق الانسحاب على العدو من الخلف جهة قناة السويس.

الساعة الثالثة صباحًا:

قسمت المؤخرة إلى فرقتين: الفرقة الأولى تقدمت لتدعم المقدمة والقلب، والفرقة الثانية بدأت بالهجوم على الجانب الأيسر للعدو (في نفس الوقت بدأت طلائع قواتي الجوية بالظهور على الساحة؛ لتقدم الحماية لقواتي بالأخص الجناح الأيمن والأيسر لتدور معركة ضخمة في السماء كما على الأرض).

الساعة السادسة صباحًا:

الخلل والارتباك يدب في صفوف العدو ويتراجع جميع الفرق تقوم بالالتحام والاشتباك مع العدو والضغط بقدر الإمكان.

الساعة التاسعة صباحًا:

العدو يتراجع بشكل عشوائي وخسائره في ازدياد، لم تستطع قواته الجوية المساندة لاختلاط القوات وعدم قدرتها على تحديد العدو من الصديق.

الساعة الرابعة عصرًا:

استطاعت بعض قواته أن تحدث ثغرة في القوات المقابلة لقناة السويس (الجناح الأيسر) والهروب إلى الجهة الأخرى

الساعة الخامسة عصرًا:

المعركة تنتهي بشكل تام خسائر العدو ٩٦% من القوات التي هجم بها.

كان تقريرًا موجزًا للمعركة قدمته للقيادة وقتها، وأعدت تنظيم قواتي من جديد، وبدأت إرسال بعض الفصائل الصغيرة للجهة المقابلة لتأمين العبور والاستطلاع، وكل هذا يتم تحت قصف مكثف من طائرات العدو... أرسلنا الجرحى إلى مدينة العريش؛ لتلقي العلاج لقربها النسبي، ودفنا الموتى في نفس موقع المعركة ... السادس والعشرون من شهر شعبان صباحًا أبلغت القيادة بنيتي لعبور القناة، والقتال على الجانب الإفريقي قوبل طلبي بالرفض التام، وذلك أن الجنرال أكرم سيف الحق يواجه متاعب جمّة في الأناضول، ولا بد من دعمه بأقصى سرعة قبل أن ينهار تمامًا (كان

من أشهر الجنرالات في كل الأرض وله تكتيكات عسكرية غاية في الروعة، وأنا شخصياً تعلمت منه الكثير، ليرحمه الله) بعد الظهر قسمت جيشي قسمين: قسم سيأتي معي إلى الأناضول، والقسم الآخر سيبقي في سيناء، انطلقنا مخترقين سيناء وصولاً إلى رفح فغزة ثم يافا فحيفا (قابلتنا في كل مدينة ندخلها صيحات النصر ومئات الشباب الراغبين بالالتحاق بركب المجاهدين)، وقبل دخول عكا جئتنني الأوامر بالانسحاب إلى العاصمة؛ لأن الجنرال أكرم قد هُزم وهو في طريقه إليها ولا مجال لنصرته ...

العامرة هي اسمها عاصمة الدنيا وعاصمتنا، قمة مجدنا وعلو شأننا، على جدرانها نُقش كفاح الأجداد، وفي أزقتها وحوارها نُسجت أسطورتنا وحكايتنا، منها نستمد عظمتنا وكبرياءنا، وأراد القدر أن ينتهي عندها كل شيء... وصلتها في صباح اليوم التالي من صدور الأمر لي، كانت الفوضى هي السمة الواضحة للوضع هناك، فالملايين من البشر قد احتموا بها هرباً وخوفاً ... اليأس يدبُّ في القلوب، وعلى الوجوه تجلت أماراته ... سارت في عوام الناس بل وبعض الخاصة شائعة غريبة، خرج الدجال فلا مهرب منه ولا منقذ، ولكنه حرم الله الآمن مكة المكرمة ومدينة النور المدينة المنورة، فعلى باب كل واحدة منها ملك بيده سيف يحمينا منه، وحثتهم في هذا أن الدجال أعور، وهذا الذي ظهر علينا أعور وكما النار في الهشيم انتشرت، فحمل أغلبهم رحاله ومتاعه مكونين سلاسل طويلة أولها في الحجاز وآخرها في العاصمة ...

توجهت إلى مقر القيادة العامة في نفس اليوم ولم يكن الحال بأفضل

عما هو عليه في الخارج نفس الفوضى والعشوائية، ليكون لقايتي بعد زمن طويل بصديق عمري أمجد سالم، كان لقاءً بعد أعوام من الفرقة ما خفف عني وطأه ما رأيت ... توجهنا إلى رئاسة الأركان لاستلام الأوامر الجديدة، كلف بمهمة بأخرى غير الدفاع عن العاصمة وقبل رحيله توادعنا نظرت في وجهه طويلاً فقد كنت أعلم يقيناً أنني لن أراه ثانية، خاب ظني لقد التقينا بعدها بسنين طويلة وسأحكي ما حدث معه كما سمعت منه قبل أن يتوفاه الله ...

لم أصدق عيني في البداية مما أرى هل هؤلاء هم قادة جيشنا العظيم ... أدركت أن الهزيمة قادمة لا محالة بعض الأصوات تنادت بالاستسلام للحفاظ على البقية الباقية من الأرواح، سواء المدنيين أو العسكريين، متجنبين الخسارة الكاملة، وعلمت وقتها أن موتاي أرسل مندوباً أرضياً عنه؛ ليعرض علينا السلام، بل وسيجعلنا سادة الأرض كلها في المقابل سنخضع له خضوعاً كاملاً، ونكون جنوداً في جيشه. رفض قائدنا هذا الأمر رفضاً تاماً، وقتل مندوب السلام، وحين وصلت كان النقاش محتدمًا بين فريق الاستسلام وفريق القتال، وللعجب فإن من تبنى فكرة القتال للنهاية هي الأصوات الشابة في النهاية ساد صوت القتال وبالأخص بعد موقف قائدنا ... كان للنصر الذي حققته سبباً في تعييني قائداً ميدانياً عن كامل القوات المدفعة عن الجبهة الغربية للعاصمة ...

كادت العاصمة أن تخلوا من المدنيين فأعطانا هذا حرية أكبر للتصرف، كان هدي في أن ألحق بالعدو أكبر قدر ممكن من الخسائر

سواء في الأرواح أو المعدات آملاً أن تكون الخسائر الكبيرة سبباً في إيقاف هجومهم وتهيئهم عن مواصلة القتال ...

ظهر هلال شهر رمضان ...

الجهة الغربية عبارة عن هضبة مستوية تمتد لعدة مئات من الكيلو مترات، يحدها من الشمال والجنوب بحر من الرمال المتحركة تجعل السير فيها صعباً سواء للجنود أو المركبات العسكرية حتى المركبات الطائرة (مكان جيد للدفاع).. جعلت الجند النظاميين في الخطوط الأمامية والمتطوعين في الخلف حفرت الخنادق بطول الجبهة وبنيت الاستحكامات الدفاعية وإن لم تكن بالقوة المطلوبة؛ لضيق الوقت ...

اليوم السادس من شهر رمضان وصلت جميع القوات العسكرية الباقية من جميع الجبهات، سيناء والقوقاز والسند وآلاف المتطوعين الجدد من شبه الجزيرة العربية والشام والعراق وفلسطين في محاولة أخيرة لصد العدو وربما دحره ... لم تكن هناك أي عمليات عسكرية تُذكر حتى اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المعظم ...

اليوم الأول للمعركة الساعة الخامسة وأربع دقائق صباحاً:

قصف عنيف من الطائرات والمدافع العملاقة للعدو (استمر خمسة أيام متتالية دون توقف) ... أمرت بعدم الرد والاحتماء قدر الإمكان.

اليوم الخامس للمعركة الساعة الرابعة صباحاً:

بعض من قوات العدو البرية تقدمت إلينا من الجهة الشمالية

(الجناح الأيمن) والجنوبية (الجناح الأيسر) لخط الدفاع الذي أقمته، أرسلت لهم التعزيزات من المتطوعين وأمرت المدفعية بفتح نيرانها.

اليوم السادس للمعركة الساعة التاسعة صباحًا:

الهجوم الرئيسي للعدو بدأ ويضغط بشكل عنيف على قلب خط الدفاع.

اليوم الثامن للمعركة الساعة الواحدة ظهرًا:

الموقف العسكري كما هو والقوات صامدة، هناك نقص في الذخيرة والمعدات العسكرية ...

اليوم الحادي عشر الساعة الرابعة عصرًا:

لدينا نقص شديد في الذخائر لن نستطيع الصمود حتى الصباح، العدو يضغط بشكل كبير وبالأخص على الأجناب

اليوم الثاني عشر الساعة الثانية عشر ظهرًا:

تم اجتياح الجناح الأيمن (الشمالي).

الساعة الثانية ظهرًا:

القلب يتقهقر تحت ضغط العدو الشديد سوف انسحب إلى قلب العاصمة مع آخر ضوء للنهار.

الساعة السادسة والنصف مساءً:

الخسائر بلغت ٨٠ ٪ من القوات والعدو يحتل أغلب مناطقنا الدفاعية أمرت الجميع بالانسحاب إلى قلب العاصمة ...

كان هذا آخر تقرير أرسلته إلى القيادة العامة منسحبًا إلى قلب العاصمة مع من تبقى من جنودي ...

توقف العدو ولم يتقدم وبدأ بقصف المدينة بشكل عنيف يومين متواصلين..

أغلب الجبهات انسحبت مع النقص الشديد في الذخائر والمعدات كانت الخسائر البشرية كبيرة جدًا فمن أصل عدة ملايين من الجنود أتي بهم لحماية العاصمة لم يبقَ غير بضعة آلاف ...

تم إنشاء مركز العاصمة بداية كدائرة ضخمة تضم القصر الملكي في المنتصف، وبجانبه وزارة الحرب ويحيط بهما دائرة ضخمة من الحدائق، يحيط بكل هذا ساحة دائرية ويخرج منها أربعة طرق في الاتجاهات الرئيسية، الطريق الجنوبي ينتهي إلى مكة مباشرة والشمالي إلى القوقاز والشرقي إلى السند والغربي إلى أفريقيا ...

تجمع من بقي من القادة والجنود في الساحة الخارجية والحديقة... النهاية فلا شيء بعدها اليأس يسيطر على الجميع ... العديد من الجنود بل والضباط تركوا أسلحتهم وهربوا، في مثل هذه الحالات كان لا بد من قتلهم ... أردت توفير الذخيرة للعدو ...

تناثرت الجثث في كل مكان جراء القصف المتواصل وصبغت الأرض بالدماء ... للمرة الأولى أبكي بكاءً مريراً، فهاهو مُلك أجدادنا يضيع من بين أيدينا، إرث الآباء نفقده في غمضة عين ... ياأله لما لم تمثني قبل هذا اليوم؟ لم كتبت على أن أرى بعيني كل هذا؟ رحماك يا أله ...

اليوم الأخير للمعركة:

خرج إلينا قائدنا وزعيمنا يسير بيننا مرددًا كلمات لم أنسها أبدًا:
أيها الرجال ها قد جاؤوكم بما تعلمون وبما لاتعلمون فاصبروا

وصابروا ولا تركنوا إلى الذين ظلموا واعلموا أنكم على الحق، فأى حق أجل من أن يدافع المرء عن أهله وعرضه ووطنه وأرضه؟ أيها الرجال هاكم الموت أمامكم والذل من ورائكم فاختراروا أحب الأمرين إلى نفوسكم، فمن فر فله الخزي والعار أبد الدهر، فيقول ياليتني كنت معهم. أيها الرجال إن هذا موضع غفران فتغافروا فيما بينكم واغفروا لي؛ فيإني ملاقٍ ربي اليوم.

توقف القصف منذ أمس واتضح أن العدو قادم إلينا هنا ... لاحت مقدمة العدو من بعيد، تقدموا إلينا عراة الأجساد دون قطعة تستر عوراتهم، صابغين أجسادهم باللونين الأسود والأبيض، شاهرين أسلحة بدائية وصرخاتهم تصم الآذان، وتزلزل القلوب... لفتني السكينة فسارت في عروقي مجري الدم أغمضت عيني... طمأنينة لم أدركها من قبل وكما لو كنت في يوم صاف السماء على شاطئ البحر ولا أواجه الموت الزاحف لي من كل اتجاه ... شممت رائحة المسك ورأيت بعين عقلي جنة ملئت بالجمال رأيت أطياف بشر تنظر إلى مستبشرة باسمة... خدر جميل تسلل من عقلي لجسدي ... فتحت عيناى من جديد ...

كانت فرصة مثالية لنا للقضاء علي أكبر عدد منهم دون جهد يذكر ولكن توقفت قليلا فإذا كان الموت آت آت فلما لا أموت بشكل مشرف وهنا ألقيت مدفعي ونزعت سيفي من غمدة ثم نظرت إليه نعم أنا رجل مقاتل متمرس علي القتال ولكني لم أستخدم سيفاً في حياتي أبداً ولا أملك المهارة علي استخدامه بالشكل الأمثل بل أنا أحمله دلالة علي الشرف والمكانة الاجتماعية وكم كنت في

حيرة من أمري فانا أنظر إليهم وإليه فوجدت نفسي أتقدم إليهم وأنا أردد في خفوت أنا بايعت علي الموت في سبيل الله من قبل وها هي الشهادة تنادينني أفلا أقبل عليها نظرت إليهم ونظرت خلفي إلي جنودي وقد تعجبوا مما أفعل ثم صرخت بأعلى صوتي من يبايع علي الموت ... من يبايع علي الموت ... وجدت جنودي يصيحون من خلفي: الله أكبر الله أكبر ...

أعتلنتي رعشة هزت كياني، نعم الله أكبر من كل كبير، نعم الله أعظم من كل عظيم، نعم الله أعلى من كل علي، لم أتذوق حلاوة هذه الكلمة إلا الآن، الله أكبر... قبضت على سيفي بيدي وصحت وأنا أنطلق عليهم الله أكبر الله أكبر ...

اصطدمت الصفوف وكما لو أن الزمان قد عاد إلى زمن أجدادي الأوائل فها هي قوة ضخمة من قوى الباطل تهاجم الحق في مبتغاه، تخلينا عن أسلحتنا الحديثة وبدأنا نقاتلهم رجل لرجل، كان القتال هذه المرة عنيفاً دمويّاً فكل ما كان قبله كان لعباً بالمقارنة بما حدث في ذلك القتال فهذه هي النهاية ولا شيء بعدها..

الدماء والأشلاء اختلطت من الطرفين مئات الآلاف ماتوا في ذلك اليوم ولن أبلغ أن قلت الملايين ...

بلغ الجنون منتهاه فلا تسمع إلا صيحات القتال وصليل المعادن.. أرى جنودنا يقومون للقتال وقد فقدوا أذرعهم ومنهم من قاتل وقد أثخت فيه الجراح ويقا تل ودماءه تنزف من كل ناحية من جسده، ومنهم من قاتل دون ساقه، منهم من كان يزحف ليصل إلى سلاح ليقا تل به حتى يموت كل من كان فيه نفس يقاتل بكل ما

أوتي من قوة حتى الشهادة في سبيل الله... كان المشهد أسطوريًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فإن الرجال قاتلوا قتالاً لم أشهده من قبل ... وما أعظم أن وجدنا زعيمنا وملكنا بيننا يقاتل كما نقاتل ويعاني كما نعاني وقد بلغ من الكبر عتياً...زادت حماسة الجنود أكثر وأكثر، وأصبح هتاف الله أكبر أعلى وأكبر، حتى ظننت أن النصر آتٍ، ولكنهم كالجراد لا ينتهون أبدًا... انتصف النهار وأصبح القتال أصعب وأصعب، كنا نقاتل على جبال من الجثث والأطراف المقطعة ... فقدت عيني اليسرى ولم أعد أرى بها وقدمي اليمنى قد جرحت جرحًا كبيرًا ولم أعد قادرًا على السير بسلاسة ...

جاءت لحظة النهاية حينما اخترقت صدري طعنة نفذت من ظهري ...

كانت عيناى تغمضان وبدأت أغيب عن الوعي وطاف بعقلي أن أرقد بسلام فإن الموت آتٍ ...

-٢-

أحسست بمن يحملني على دابة أغيب عن الوعي تارة وأصحو
تارة، فلا أتبين من أمري شيئاً كأنما أنا في حلم، فكل ما حو لي
ضباب، ولم تنجدي حواسي بشيء غير أن جوفي كان جافاً كالصحراء،
فأردت الماء ونطقت بها ولكن بلا مجيب ...

لا أستطيع أن أقوم من مرقدي تتصاعد آلام صدري إلى رأسي كان
تنفسي عملية شاقة ومؤلمة ... جسدي لا يعينني على شيء مطلقاً
وكطيف رأيته مقبلاً لم أتبينه وسمعته يقول:

كيف أصبحت؟ ...

وبصوت لا أدري أسمعته أم لا أجبت:

الحمد لله...

قرب من فمي كسرة خبز قد غمست في زيت الزيتون، أقبلت
عليها وأتبعها بأخرى حتى لم أعد قادراً فجاء بماء روى به عطشي..
ورحل عني وغبت عن الوعي من جديد ...

رأيت نفسي كما يرى النائم أي أحمل شيئاً وأنطلق في الصحراء
أقاتل أشباحاً من دخان ورويداً ورويداً بدأ كل شيء حولي يصطبغ
بلون الدم القاتم ...

لا أدري كم مرت على ولكن في هذا الصباح أستطعت رؤيته بشيء
من الوضوح وإن لم أتبين ملامحه بعد ...

- كيف أصبحت؟

- بخير والحمد لله.

اليوم خبز وعسل كم كان لذيذاً وقتها ... سقاني ورحل كما لو أن همه في الدنيا فقط السهر على راحتي ... وقتها كان عقلي مشوشاً بشدة فلا أعلم من أنا أو ماذا حدث لي

يومها رأيته بلا ملامح ظل غشى عيني ولا أدري أحلم هو أم واقع، جلست بجانبه تتحسس بيدها مواطن إصابتي كما لو أنها تطبيني ... الظلام يلفني وتناهى إلى سمعي وقع أقدام على أرض صلبة تملكني الخوف ولا أدري لم ... اقترب مني أدركه ولا أراه قال:
- لا تفعل!!!

تلفت حولي ولا شيء دبّ الخوف وارتعشت أطرافي بلا مبرر واضح وقلت:

- من أنت؟

سمعت ضحكة ساخرة أتبعها:

- أنا أنت!!!

ظهر أمامي فجأة كطيف من دخان سقطت على ظهري من هول المفاجأة وأستدرت أزحف هرباً ولكنني وجدته أمامي من جديد أدرت وجهي فكان هناك.

- لا تستطيع الهرب مني.

- من أنت؟

- أنا أنت!

- ومن أنا؟!!!

صمت ضحكاته آذاني وأتبع:

- ستستيقظ وتعرف من أنت وفي المرة القادمة سنكمل حديثنا.
سمعت صوت أقدامه المبتعدة ...

استيقظت فرغاً كان أمامي نظرت إليه نظرة بخوف حقيقي
وابتعدت برأسي فهي كل ما أستطيع تحريكه ورفعت يداي أمام
وجهي قائلاً:

- ماذا تريد؟!!

رفع يده بكسرة خبز وقربها مني، جالت عيني فيما حولي ونظرت
إليه من جديد، كان شاباً في أوائل العقد الثالث من عمره أسمر
البشرة حاد القسمات واسع العينين دقيق الأنف لا تفارق الابتسامة
شفتيه، يلبس جلباباً من صوف ذي لون رمادي وعترة بيضاء توجهها
بعقال أبيض ...

الحمد لله لقد بدأت تراني اليوم لقد ظننت أنك ستفقدتها أيضاً؟

أراك بوضوح ولكن من أنت؟ ولماذا تفعل معي كل هذا؟
لا ترهق عقلك أكثر من هذا فجسدك ضعيف وجراحك لم تُشَفَ
بعد...

قرب كسرة الخبز من فمي قبلتها منه وإن لم يزل الخوف من
قلبي بعد قدم إلى الماء قائلاً:

- الآن سأرحل وستأتي أمي لتعتني بجراحك ...

- إلى أين؟

كان قد قام بالفعل توقف ونظر إلى قائلاً:

- سأحكي لك كل شيء عما قريب ...

ودون كلمة أخرى رحل ... للمرة الأولى أدرك أنني في خيمة لاهي
بالكبيرة ولا الصغيرة...وبينما أنا أتجول بنظري فيما حولي حجت
أشعة الشمس بدخولها لم أتبين منها شيئاً، كما لو كانت ظل من
الظلال، وما إن اقتربت حتى رأيتها عجوزاً في الغابرين احدودب
ظهرها وطبع الدهر تفاصيله على وجهها، وإن كان في عينها لمحة
ذكاء شديد اقتربت مني جالسة ... ولمدة من الزمن لم يبادر أحدنا
الآخر بالحديث، وإنما تطبب جراحي صامتة وأنا أنظر ماذا تفعل
حتى قالت:

- من ملابسك يبدو أنت قائد عسكري كبير أليس كذلك؟
أدركت من أنا وكأن ضوءاً أنار عقلي تذكرت كل شيء ... شعرت
بغصة في حلقي ومرارة في نفسي وانسالت من عيني دمعة أشحت
بوجهي عنها أداريها في صمت مجيباً:

- نعم أنا كذلك ...

- أتبكي لضياح ملكنا؟

نظرت إليها وقد تركت العنان لدموعي قائلاً بصوت مختنق:

- وليس مثل ملكنا يستحق البكاء ...

هزت كتفيها وقالت:

- لا!!!

قالتهها وقامت عني كدت أصيح في وجهها أبي جسدي ذلك ولم
يهلني كثيراً، تصاعدت آلام صدري حتى ظننت أنها روحي تخرج،
أسلمت جفوني للنوم ...

للمرة الثانية يلفني الظلام وأسمع خطواته تقترب ولكن بلا خوف

تقريبًا ...

- أراك لم تعد تخاف مني ...

- وهل يجب أن أفعل؟

- لا بالطبع ...

- من أنت؟

- أنا أنت وأنت أنا!!! دعك من هذا السؤال السخيف الآن فأماننا

حديث طويل جدًا ...

- وما هو؟

- سأسالك سؤالاً بسيطاً: هل أنت راضٍ عن نفسك الآن؟

- لا أعرف ولكنني لم أقصر جهداً في شيء لقد بذلت الغالي والنفيس

في سبيل أمتي ووطني ...

- هههههه هل تصدق حقاً هذا الكلام الدعائي؟ لقد دُمر كل شيء،

ألم ترَ ما حدث؟ ألم تكن هناك!!!

-وماذا كنت تريد أن نفعل؟ أنحنى لهؤلاء البغاة والظالمين مصاصي

الدماء ...

-آدم حبيبي لا تفعل، ولكن ألم تر النتيجة كلهم موتى وجثثهم

تأكلها سباع البراري...

-ولكنه موت بشرف وبعزة سيذكره التاريخ أبد الدهر ...

سمعت صوت تصفيق حاد مع ضحكة ساخرة ثم أتبع:

-يعجبني حماسك هذا وكلماتك الرنانة ولكن النتيجة صفر فاشل

بامتياز ...

-أغرب عني يا هذا وإلا قتلتك بيدي هاتين ...

تعجبني نبرة تهديك هذه ولكن إن أنا ذهبت تذهب معي ...
 بدأت أبحث عنه في الظلام حولي لعلى أجده فأطبق على رقبتة
 قاتلاً له ... سمعت نفس الضحكات الساخرة والتي زادتنى غيظاً
 ليردف:

-سوف نلتقي مجدداً ولكن حينما تهدأ ...

-كيف أصبحت؟

كما لو كان هذا السؤال مخرجاً لي من أحلامي أو قل كوابيسي،
 أستطيع اليوم أن أحرك جسدي مع قليل من الألم، واستطعت
 بمساعدته أن أجلس نظرت إليه قائلاً:

-ما اسمك؟

-زياد ...

-لم تفعل معي كل هذا؟

نظر إلي نظرة طويلة ثم قال:

كان لي أربعة أشقاء: زيد ومحمد وأمين، تطوعوا للقتال ضد العدو،
 أخي الأكبر سامر كان مقاتلاً في الحرس الأحمر (الحرس الأحمر
 فرقة من الفرق العسكرية المسؤولة عن تأمين مركز العاصمة)
 وتركوني مع أمي؛ كي أرهاها، كنا نسكن في ضواحي العاصمة ولما
 بدأ القصف خفت عليها ورحلت بها إلى هنا متخذاً في طريقي
 دروباً قاسية مستعيناً بناقة وحصان ...

-ناقة وحصان أمزح معي يا هذا!!!

لقد ورثنا عن أبي رحمه الله مزرعة كبيرة من الخيول والجمال
 تدرب في الأساس على السباقات، وبعضها كان يُستخدم في

الاستعراضات العسكرية ...

-أنا آسف لم أقصد إهانتك...

لا عليك فلم تكن هناك وسيلة مواصلات حديثة تستطيع أن تأتي بي إلى هنا، فنحن في مدخل كهف على قمة جبل ولا طريق إليه إلا مشياً على الأقدام أو الدواب وهو بالمناسبة مكان نعرفه جميعاً، وكنا نأتي إلى هنا كثيراً مع أبي ونحن صغار حتى إذا انتهى القتال جاؤونا ولكن تتابعت الأيام ولم يرجع أحد. كنا نستطيع أن نسمع أصوات القتال والمعارك الدائرة من هنا وفي صبيحة أحد الأيام اختفت أصوات القتال فقررت أن أتحرى الأمر، رجعت إليها فكانت أثراً بعد عين، كل المباني العظيمة قد سُوت بالأرض تقريباً وآلاف الجثث التي..... صمت قليلاً كأنما يفكر في أمر ما ليتجاهل الأمر تماماً ويقفز بالحديث إلى نقطة أخرى قائلاً:

-أخذت على عاتقي أن أبحث عنهم بأي ثمن، قررت أن أبداً من داخل العاصمة عند القصر الكبير؛ لأبحث عن سامر أولاً فلرهما مازال حياً وما إن اقتربت من الساحة البيضاء حتى هالني المنظر.. جثث مكومة فوق بعضها على كل مداخل الساحة مكونة جبلاً منها، فلا مجال للدخول إليها إلا بالعبور فوقها، وبينما أنا في حيرتي من إقدامي على الدخول والعدول عنه والبحث في مكان آخر سمعتك تطلب الماء فسقيتك وكنت تلفظ أنفاسك الأخيرة، وكانت الدماء تغطيك بالكامل وبصراحة فلقد كنت أريد تركك لمصيرك ولم أكد أبتعد عنك حتى رجعت إليك وحملتك معي إلى هنا وقامت أمي برعايتك كما لو كنت أحد أبنائها ومن يومها وأنا أقلب في

الجثث بحثًا عن أخوتي أو ناجين ولكن للأسف لم أجد لا ناجين ولا أخوتي، كان الأمر عسيرًا جدًّا علي، فبعد مرور عدة أيام بدأت الجثث في التحلل التدريجي حتى أصبح الأمر خطيرًا وخفت على أمي ونفسي من أن نصاب بالطاعون فقررت إحراق كل الجثث الموجودة بالعاصمة، ثم البحث في بقاياها عن بطاقات التعريف للجنود ...

هل تدرك أنك ستحتاج إلى عدة سنوات حتى تعثر على ما تريد، أنت تتحدث عن ملايين الجنود بلا مبالغة: قاطعته في حده هز كتفيه في لامبالاة قائلاً:

لست مشغولاً بشيء آخر ... بدأت بحرق المجموعات الكبيرة من الجثث باستخدام الوقود الإحفوري ...

وقود أحفوري من أين جئت به ...: مقاطعًا للمرة الثانية

هناك منطقة تبعد من هنا عدة كيلو مترات قليلة يخرج الزيت منها إلى السطح مكونًا بحيرة صغيرة من السائل الأسود ... وبالفعل نقلت كميات كبيرة منه إلى أطراف العاصمة، ولكن هذه المرة باستخدام مركبتي الخاصة والتي نجت من القصف بأعجوبة، ولكنها في النهاية توقفت عن العمل؛ لعدم وجود مصادر متجددة من الطاقة صمت برهة من الوقت وظهرت شبح ابتسامة ساخرة على شفتيه وأكمل قائلاً:

لم أدرك قوة هذا الوقود وقدرته على الاشتعال لفترات طويلة كانت الكمية التي جئت بها كبيرة للغاية وقسمتها على الأماكن التي يتواجد به العدد الأكبر من الجثث داخل المدينة، وبالأخص هناك

عند الساحة البيضاء، أما خارجها فإن السباع والنسور تكفلت
بالمهمة على أكمل وجه حتى أنني كنت أسير بينهم دون خوف
لانشغالهم بالأكل أشعلت النيران ولكنها ... توقف ونظر إلى الأرض
ويدها تعبت في حصوات يفرقها ثم يجمعها نظر إلى من جديد
وقد احمرت عيناه فهو على وشك البكاء:

لم أحرق الجثث فقط وإنما طالت النيران أجزاء كبيرة من العاصمة..
ورغم كل هذا لم أعثر على أخوتي أبداً.
نظرت إليه نظرة إشفاق حقيقي قائلاً:

- هون عليك لقد قمت بعمل بطولي... وسوف تجدهم بإذن الله.
تنهد ثم قال:

أمرتني أمي اليوم ألا أفعل لقد مرت خمسة أشهر منذ نهاية
المعركة ولا داعي للتشيس بأمل واهن...
صعقت حينما عرفت أنني هنا منذ تلك المدة الكبيرة ولا أذكر
منها إلا النذر اليسير... أثرت الصمت...
قرب إلى فمي كسرات الخبز فأبيت معللاً ذلك بقدرتي على إطعام
نفسي فترك لي الطعام وجلس بقربي وطغى الصمت علينا برهة
من الوقت ثم قال:

وماذا بعد!!؟

سؤال بلا جواب هزرت كتفي قائلاً:

وماذا بعد!!؟

ابتسم قائلاً:

أخبرتني أمي أنها تحدثت معك بالأمس وأنتك رجل كبير في الجيش

أليس كذلك؟

نعم

لقد سمعت عن مدن القاع لربما تعرف إحداها ...

ابتسمت رغماً عني قائلاً:

نعم أنا كنت من كبار قادة الجيش ولكنني لا أعرف أماكنها أو

مداخلها السرية ...

كنت قد انتهيت من طعامي وارتشفت القليل من الماء أسندت

ظهري من جديد إلى فراشي ونظرت إليه موجهاً سؤال دار بخاطري

منذ لحظات:

ماذا حدث بعد معركة العاصمة؟

لاشيء ...

مازلت أتعامل بعقلية الرجل العسكري وكنت أنتظر تقريراً تفصيلياً

عن الفترة التي غبت فيها عن الوعي، ولكنه أكمل بهدوء وبصوت

مكسور:

بعد انتهاء المعركة أعلنوا أن المنطقة التي كانت تحتلها مملكتنا

سابقاً سوف تُباد عن بكرة أبيها، ومن يريد أن يغادرها من السكان

فليفعل ولكن أمامهم أسبوع واحد فقط. ولا أعرف هل ترك الناس

أوطانهم وديارهم أم لا، وكيف أباد العدو المنطقة فهذا ما لا أعرفه

أيضاً، عرفت هذا من خلال قارئ الأخبار العالمي المثبت في زراعي،

والذي توقف عن العمل تماماً بعد نهاية الأسبوع، ولكن أُمي

أخبرتني أنها رأت أنواراً كثيرة أضاءت المنطقة من كل جانب في

نفس الليلة...

اتسعت عيناى من هول ما سمعت كنت أظن أن القتال مازال مستمراً ولو على شكل جيوب من المقاومة، وأن العدو اكتفى من القتال واحتل المنطقة احتلالاً عسكرياً... في نفس اللحظة أقبلت مَنْ صرْتُ أطلق عليها أم زياد منتزعة إياى من أفكارى وشرودى
قائلة:

أنت أفضل اليوم ...

الحمد لله كل هذا بفضلك أنت..

عقدت حاجبها ورمقتني بنظرة نارية قائلة:

إنما هو فضل الله لا فضلى ...

اعتذرت منها وقد كنت أحاول تبجيلها والاعتراف لها بجميلها ... هبط الصمت علينا فترة من الوقت بينما أم زياد تتعامل مع جراحى قطعته أنا بقولى موجهاً حديثى إليها:
لماذا قلتِ بالأمس أن ملكنا لا يستحق البكاء؟

لأن الملك لا يصونه إلا الرجال، فلا تبكى الملك بل أبكِ الرجال، وتذكر كلمة عائشة الحرة من قبل لابنها محمد الصغير: أبكى كالنساء ملكاً لم تحافظ عليه كالرجال ياولدى إنما صنع الرجال يأتى بالملك وليس العكس ...

انتهت مما تفعل معى غادرت دون أن تتحدث بشيء آخر بقى زياد معى برهة من الوقت دون أن يتحدث إى أو أتحدث إليه ثم خرج هو الآخر وبقيت وحيداً فأسلمت جفونى إلى النوم

أم تكونوا قادرين على تجنيب أنفسكم كل هذا الدمار الذى لحق بكم؟ لقد خرجتم من دائرة التاريخ للأبد لن يذكركم أحد بعد

الآن ...

سيذكرنا التاريخ كأعظم أمة...

ومن سيكتب هذا التاريخ أعداؤكم الفضائيين أم أعداؤكم الأرضيين؟

سنكتبه بأيدينا نحن لا بأيدي غيرنا ...

استمرت ضحكاته الساخرة طويلاً هذه المرة وإن كان غيظي وحنقي

عليه قد هدأ كثيراً ...

مازلت تعيش في أوهام الماضي ياعزيزي أفق لقد انتهى كل شيء ...

لا مازلت أنا هنا سأبني كل شيء من جديد ...

وحدك؟!!!!

ولو كنت وحدي ...

يعجبني إصرارك وعنادك ولكن هل تؤمن حقاً بما تقول؟ إنما هي

بقية كبرياء في داخلك سرعان ما تزول حينما ترى كل شيء على

حقيقته...

ماذا تريد إذا؟ ارحل عني

ماتريده أنت؟!!!! ألم أقل لك إنك مني وأنا منك ولكني للأسف لا

أستطيع الرحيل سأبقى معك دائماً أنا فقط أسدي لك النصيحة لا

أكثر ...

من أنت؟

ألم تنته من هذا السؤال من قبل؟ أنا أنت وسؤالك يجب أن يكون

... صمت الصوت قليلاً ثم قال في صوت أقرب إلى الفحيح:

ما أنا؟

ما أنت إذا؟ إن كنت تفضل السؤال على هذا النحو؟

أنا أنت ...

وارتفعت ضحكاته الساخرة من جديد ...

أربعة شهور مرت منذ أن وعيت وأنا بين زياد وأمه، سُفيت جروحي تمامًا بفضل الله وبمعاونة أم زياد وإن فقدت عيني اليسرى للأبد، وما إن استرددت عافيتي بشكل كامل حتى طلبت من زياد في صبيحة يوم مشرق أن يدلني على اتجاه العاصمة، حذرتني من مغبة ما أريد ولكنني أصرت على ذلك، فلما لم يجد مفرًا من ذهابي عرض على أن يصحبني كي لا أتوه في دروب الجبل ويوصلني إلى أول الطريق للعاصمة، ولكنني شرطت عليه أن يعود إلى أمه كي يرعاه، وأخذ مني الموائيق والعهود كي أرجع إليهم، فأعطيته ما يريد وفي الواقع لم يكن لي غيرهم ودّعت أم زياد على أمل اللقاء قريبًا ...

كانت العاصمة تبعد قرابة النصف يوم سيرًا على الأقدام وعرض علي زياد أن أخذ حصانه بعدما أوصلني إلى أول الطريق فأختصر الوقت إلى ساعة من نهار ...

أقبلت أطلالها من بعيد...

مهما بلغت قدراتي البلاغية فلن تصف المشهد الذي وقعت عيني عليه ...

جث القتلي على مد البصر ورائحة الموت تفوح منها، معالمها اندثرت تحت أكوام من الركام كأنما ضربها زلزال وعصف بها إعصار وألقى عليها حمم البراكين من كل جانب ...

سرت في طرقاتها بلا مشاعر تقريبًا ...

اقتربت من الساحة البيضاء آثار النار التي أشعلها زياد تركت
آثارها بقوة ...
الحديقة الملكية رماد من فوقه غبار ...
عبرت إلى القصر الملكي ومنه إلى وزارة الحرب ...
دخلت إلى وزارة الحرب من بابها الرئيسي هنا حيث أنتمي...
كانت كما هي تقريبًا فقد بُنيت في الأساس لتحمل عدة ضربات
فوتونية قوية لا يوجد آثار اقتحام لها ...
توجهت إلى حجرة المراقبة كنت أريد أن أرى ما حدث حتى النهاية
ومن حسن الحظ أن امدادات الطاقة لم تنقطع بعد ...

-٣-

في بطاء فتح عينيه وقد اخترق سكون الليل نداء الله أكبر معلناً
أن موعد الفجر قد حان، تلملم قليلاً في موضعه ثم قام متوضئاً ...
تلمس طريقه في الظلام إلى المسجد القريب وإن ساعدته قناديله
على الاهتداء إليه ...

شاب في أواخر العقد الثاني من العمر ضعيف الجسد لا بالطويل
ولا القصير وإن كان للطول أقرب، كثيف اللحية حليق الشارب باسم
الثغر وتحمل نظراته الكثير من الذكاء ...

أقام المؤذن للصلاة فتقدم إمام ... فرغ منها وقرر الرحيل أستوقفه
أحدهم بصوت عالٍ قائلاً:
يامحمد ياولدي انتظر قليلاً.
توجه إليه وتصافحا قائلاً:

أهلاً بالشيخ عبد المجيد أراك بصحة جيدة اليوم.

الحمد لله في السراء والضراء.

الحمد لله خيراً فيما ندائك ...

أهناك ما يشغلك الآن يا بني؟ ...

تبسم في وجهه وأتبع قائلاً:

لا ياعماه كنت تنادي بصوت عالٍ فقلت لعل الأمر جلل فأستعجلك
وما كان ينبغي لي ذلك سامحني ...

لا عليك تعال معي إلى بيتي وسأوضح لك غايتي ...
لم تمضِ دقائق حتى كنا معًا في بيت الشيخ عبد المجيد والذي
ابتدأ بالحديث قائلاً:

كما تعلم يا بني فإني قد بلغت من الكبر ما ضاعت معه قوتي،
وليس لي في الدنيا نصيب؛ زوجتي توفيت منذ سنين ولم يكن لي منها
أولاد فأنا من وقتها وحيد صمت قليلاً وأغمض عيني في هدوء
ثم تنهد قائلاً:

ليس تمامًا وإنما أحمل أمانة عظيمة وهم كبير يا بني إن قدرنا
أن نكون بناءً للمستقبل وحماة للحاضر، كل منا له رسالة وهدف
لابد له من تأديته على الوجه الأكمل وإلا صار خائنًا للأمانة مبددًا
لها

صدقت يا عماه

نظر في عينيه طويلاً كأنما يراه للمرة الأولى ثم قام متكئًا على
عصاه واختفى في منزله قليلاً، ثم عاد حاملاً في يديه صندوقًا
خشبيًا قديمًا وجلس بجانبه واضعًا الصندوق أمام محمد، والذي
بدت على وجهه أمارات التعجب والقلق ...

هذا همي وأمانتي يا بني....

لا أفهم يا عماه: قاطعه محمد في هدوء

لا تقاطعني يا بني بل استمع لي جيدًا فالذي أمامك هو أعظم سر
عرفه العالم أجمع، وقد آن الأوان لكشفه والاطلاع عليه ... محمد
ياولدي هذا ما أوّمتت عليه قبلاً أردته إليك ... عقد حاجبيه سائلًا
بخفوت:

إلى أنا؟ ...

نعم لك أنت هذا إرثك وإرث من قبلك ... قد جئنا من قبل طفلاً رضيعاً تحملك أمك (رحمها الله) ... توقف قليلاً ليقطع حديث نفسه بنفسه مردفاً:

لن أكون بجانبك طويلاً تذكر كل ما علمتك إياه ستحتاجه يوماً ما، وحينما تلتقي به أقرئه مني السلام، وسله أن يسامح تقصيري... لا أفهم شيئاً مما تقول ...

ستفهم كل شيء في بضع أيام من الآن، خذ هذا الصندوق وارجل إلى بيتك اطلع على ما فيه وبعدها ارجل من هنا وخذ طريق الوادي...

إلى أين ياعماه ...

خذ طريق الوادي يا محمد هذا هو طريقك وهناك ستنجلي الحقائق وتتكشف الأسرار، واعلم أنك مقبل على أمر جليل وأمانة عظيمة، فإن كنت غير قادر عليها فعند الوادي سلم أمانتك وارجع رحمك الله، قم الآن وارجل ولا تكثر على الحديث فقد آن أوان الرحيل وأريد أن أكون وحدي...

اتسعت عينا محمد اندهاشاً وتعجباً مما سمعه، وأخذ ينقل النظر بينه وبين الصندوق مستفهماً، ولكنه لم يمهله الكثير من الوقت فصاح فيه:

ارجل الآن وإن لم تجد في نفسك قوة فسلم الأمانة عند الوادي ولا تكثر المكوث عندي فإنك تؤذيني ...

لحظات مرت عليه في حيرة شديدة وبدافع من فضول وحب

المغامرة حمل الصندوق ورحل، كانت الشمس قد بدأت رحلة الشروق حينما وصل إلى منزله دلف إلى غرفته ووضع الصندوق في وسطها وجلس أمامه يتطلع إليه في عجب، كان صندوقًا صغير الحجم نسبيًا نقشت أعلاه (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) تأمل الآية كثيرًا، ثم فتحه وظهر شبح ابتسامة ساخرة على وجهه؛ فلم يكن هناك غير أربعة مكعبات من المعدن ومكعب من زجاج ولا شيء غيرها، أخرج المكعب الزجاجي يتلمسه كان خفيف الوزن مقارنة بحجمه الضخم، ضغط إحدى جوانبه وحدث ما لم يكن في الحساب، تلاً الفرائص هلعًا وخوفًا، فأمامه تشكلت صورة مهتزة لشخص طويل القامة عريض المنكبين أسود الشعر والعينين هادئ النظرات جميل الملامح ...

رفع يده ملوحًا بها في نفي قائلاً:

لا تخف مني لن أؤذيك أبدًا لقد مت منذ أمد بعيد ...

لم يتوقف محمد رغم هذا حتى اصطدم بالجدار خلفه، وفي عينيه تجلت أمارات الرعب وبصوت متلجلج قال:

من أين جئت؟

أشار بإصبعه إلى أسفل باتجاه المكعب قائلاً: من هنا!!!!

كيف؟

لنؤجل هذا السؤال لما بعد؛ فلن تستطيع أن تفهمني ...

أحي أنت؟!!!

لا.

بصوت أقرب إلى البكاء قال:

فكيف تحدثني وأحدثك؟

هذه إحدى وظائفى..

وظائفك هل لك وظائف أخرى!!

نعم الكثير أول وظيفة لي هي رواية التاريخ فهل تفضل أن أروي

لك المسجل عندي ...

هز محمد رأسه علامة الموافقة فسمعه يقول:

للأسف قدرتي على ملاحظة ردود الفعل الجسدية ضعيفة لخلل في

تلقي البيانات أتمنى أن تلقي إجابة صوتية...

أنت لا تراني الآن؟

لا أراك ولكنني أدرك وجودك...

وقف محمد على قدميه منطلقاً إلى خارج الغرفة بل إلى خارج

المنزل بالكلية يلهث في اضطراب، وبينما هو كذلك إذ نادى المنادي

أن مات عبد المجيد سليمان ... مات الشيخ عبد المجيد وقد كان في

بيته أن يذهب إليه ويرد إليه صندوقه العجيب ...

وبحكم أن محمدًا هو أقرب المقربين إليه فقد قضى أغلب النهار

في غسله وتكفينه ودفنه وتلقي العزاء فيه... وحينما جنّ عليه

الليل أراد الرجوع إلى بيته من جديد ولكن كيف؟ ...

بحذر اقترب من غرفته المظلمة كان كل شيء هادئ واختفى من

كان بالنهار، بسرعة خلع رداءه وألقاه على المكعب الزجاجي ودخل

مسرّعًا؛ ليعيده إلى الصندوق وما إن خطت قدماه الغرفة حتى

خرج من جديد ...

صرخ محمد فزعًا من المفاجأة وسقط على ظهره متراجعاً إلى الخلف ...

لا تخف مني لن أؤذيك أبداً لقد مت منذ أمد بعيد ...

خرج محمد من الغرفة في تلك الأثناء فاخفى من جديد وفي عقله صب اللعنات على الشيخ عبد المجيد؛ أن بلاه بهذا المخلوق الغريب هدأ روعه قليلاً ثم استغفر واحتار في أمره ...

لأيام قادمة أغلق محمد غرفته متجنباً الدخول إليها يراقب بابها بخوف ووجل كبيرين، وفي عقله دار الصراع بين خوفه وفضوله في النهاية قرر أن لامفر من المواجهة ورغم الظلام المحيط سار بحذر حتى وقف على بابها، مرت دقائق طويلة وبدأ العرق يتصبب على وجهه دفع الباب ومازال خارجها خطى إليها ...

لا تخف مني لن أؤذيك أبداً لقد مت منذ أمد بعيد.

انتفض جسده بشده وإن لم يرحل هذه المرة ابتلع ريقه قائلاً:

من أنت؟

سليمان داوود الضابط التنفيذي الأول على السفينة الاستكشافية الفلك ...

سفينة استكشافية! ماذا تقصد؟

السفن الاستكشافية سفن فضائية صممت لاكتشاف الفضاء مع بداية القرن الخامس والعشرين الهجري، قامت برحلات استكشافية عديدة في أرجاء الكون الواسع وهي سفن حربية عملاقة ...

فضاء ... القرن الخامس والعشرون ... الكون...حربية ... عن أي شيء تتحدث يا هذا؟ جلس محمد من فرط الإجهاد الذي لحقه سائداً

ظهره إلى حائط الغرفة ضامًا ركبتيه إلى صدره يستمع في انبهار ...
إنه تاريخ البشر منذ هبط آدم هناك على الكوكب الثالث
للمجموعة الشمسية (م ش ٠٠١) المسمى الأرض...
ألستا على الأرض!!؟

لا نحن على الكوكب الرابع للمجموعة الشمسية (م ش ٦٩٨) هو
كوكب مشابه للأرض وتتوافر فيه الظروف البيئية الملائمة لحياة
البشر ويبعد عن الأرض خمسة ملايين سنة ضوئية ...
ضرب مؤخرة رأسه بالحائط عدة مرات ثم قام صارخًا:
ما هذا الذي تقوله؟ أنا لا أفهم شيئًا ارحل عني لعن الله من
أعطاني إياك ...

للحظات لم يستوعب محمد ما حدث؛ فلم يكن يتخيل أبدًا أن
يختفي بهذه البساطة اقترب من المكعب الزجاجي رفع رداءه
أرجعه في الصندوق من جديد وأغلقه حاملاً إياه إلى غرفة أخرى،
أتى بفأس ونبش الأرض وانهال عليه بالتراب ...
بعدها بعدة أسابيع:

رأه خارجًا من المسجد فأقبل عليه فرحًا نظر إليه دون أن يتفوه
بكلمة وراح يأكل أصابع يديه والدم يسيل من بين شفثيه ...
هب محمد فزعًا بعد هذا الذي رأه في منامه، كان الشيخ عبد
المجيد في داخله كان يدرك أنه قصر في أداء أمانته تجاهه، ولكن
بضع كلمات سمعها أدرك أن الأمر مصيره إلى الجنون حتمًا فأثر
السلامة ...

استغفر وقام متوضأً فصلى ما تيسر له، سمع بعدها آذان الفجر

فأقبل على المسجد ولما فرغ من صلاته أقبل شاب حدث السن
حسن الوجه دنا منه قائلاً:

السلام عليكم يا شيخنا كيف حالكم؟
الحمد لله.

هناك سؤال يؤرقني منذ أيام طوال ولم أجد له إجابة شافية حتى
الآن ...

تفضل يا صالح سل ما شئت، فإن كانت عندي الإجابة أعطيتك
إياها وإن لم تكن أرشدتك إلى من يستطيع..

بارك الله فيك يا شيخنا كنت أقرأ القرآن منذ عدة ليالي
فاستوقفني أمر غريب هو أن الله قد فرض على الناس فريضة
هي الحج لبيته في قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)

أين بكة والبيت وما هو الحج؟

اتسعت عيناه وضاق صدره وانفجرت في رأسه ذكريات كان على
وشك نسيانها...

تذكر كلمات شيخه قديماً فرددها متلعثماً:

أما بكة والبيت فهما حيث قدر الله تعالى وليس لنا طاقة على
الوصول إليهما، فسقطت فريضة الحج بقوله تعالى (مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا) ...

وقام مسرعاً خارجاً من المسجد دون حتى أن يلتفت إلى نداء

صاحبه...

لم يكن شرود محمد بسبب السؤال وإنما لمعرفته الإجابة الصحيحة التي ستفتح عليه بابًا لا يستطيع معه أن يغلقه، بابًا من الأسئلة لا يملك عنها إجابة مطلقًا والإجابة ستقوده حتمًا إلى الجنون لو تتبعها

ولج إلى بيته وقد أعياه التفكير ... دقائق قلبه تتزايد ... الخوف يعتريه ... والفضول يقتله ... قدماه تسير به حيث يرفض قلبه ... يقترب من الغرفة التي دفن فيها ذاك الصندوق ... نبش الأرض بيدين مرتعشتين ... العرق البارد يتصبب على جبهته ... وفي عقله مشهد واحد ... الدماء وهي تسيل من بين شفثيه ... وسؤال واحد هل خان الأمانة؟ ... كان يفترض به أن يعرف السر فإن استطاع حمله فليرحل إلى الوادي ويكمل المسير وإن لم يستطع فليرجع ... فلا هو عرف السر كله ولا سلم الأمانة ... اصطدمت يده بالصندوق ...

لا تخف مني لن أؤذيك أبدًا لقد مت منذ أمد بعيد...

لا يعرف من أين يبدأ أو ماذا يقول، فخطر في باله سؤال غريب: أريد أن أعرف السر؟ ...

أي سر؟ أنا لا أحمل أسرارًا!!!

لماذا جاء أجدادي إلى هنا؟

حتى أجيب عن هذا السؤال تحديدًا فلا بد أن تعرف الحكاية من أولها ...

هل تستطيع أن تخبرني بالحكاية كلها؟

نعم أستطيع ولكن لابد أن تحدد الجزء المراد سماعه ...

من البداية..

حسن ...

الجزء الأول (البداية):

اختفت صورة الرجل وظهرت الأرض من الفضاء كان المشهد خلابًا جعل محمدًا تتسع عيناه انبهارًا... استمر المشهد للحظات قبل أن تبدأ الصورة بالاقتراب من الأرض مخترقة الغلاف الجوي لتظهر بعدها مدن عظيمة وحضارة كبيرة في الوقت الذي بدأ فيه صوت قوي الحديث:

تبدأ الحكاية منذ زمن بعيد مع أحلام رجل أراد أن ينفذ الذل والعار عن أهله وأمته، استطاع بعد جهد سنين طوال أن يغرث بذور الكبرياء والعزة والكرامة والحرية في نفوس جيل من الرجال والشباب، فقامت على أكتافهم دولة قوية وأمة شديدة، توسعت رويدًا رويدًا في زمن من الفتن والحروب طالت العالم أجمع (كانت المشاهد تنقل لمحمد معارك ضخمة وانفجارات هائلة) أصبحت في النهاية أمرًا واقعًا لا مجال للخلاص منه، واتسعت لتشمل أجزاء كبرى من شمال أفريقيا وغرب آسيا (تحول المشهد إلى خريطة ضخمة ترسم حدود الدولة وتبينها)، كان الأمر في غاية الخطورة على أمم حكمت العالم من قبل فهي الآن تفقد سيطرتها على جزء حيوي من العالم، بل وينافسها في القوة، فكان لا بد من الصدام؛ لتحديد المنتصر والسيد الجديد للعالم... (جيوش ضخمة تحتشد وملايين الرجال وآلات الحرب تستعد، مشاهد لم تكن تخطر على بال محمد يومًا إن يراها) أربعين سنة قادمة من الحروب الطاحنة

هلك فيها الأخضر واليابس والمليارات من البشر، حروب استخدمت فيها الأسلحة النووية والهيدروجينية بل والفوتونية، وكادت الأرض أن تهلك بالكلية (تنقل المشاهد صورًا عديدة لمعارك كبيرة ومدن مدمرة وجثث متناثرة وانفجارات ضخمة)... في النهاية انتصروا انتصارًا ساحقًا، ودانت لهم الأرض شرقًا وغربًا، وأصبحوا هم سادة العالم بلا منازع يدين لهم الجميع بالولاء والتبعية (مشهد احتفال كبير ورجل ضخم الجثة قوي الملامح ذو هيبة يخطب في جمع كبير من البشر وقد اعترتهم الحماسة الشديدة لكل عبارة يقولها فوق أطلال مدينة مدمرة) واحتاج الأمر إلى مئتي عام حتى ترجع الأرض إلى سابق عهدها وتتخلص من آثار حرب الأربعين عامًا كما تذكرها كتب التاريخ... سُميت الدولة باسم البلد الذي نشأت فيه أولاً (مصر) ثم مع التوسع الكبير الذي بلغته أصبحت تسمى بالمملكة العربية الكبرى. كان الحكم فيها ملكيًا دستوريًا يتقاسم فيها الملك الحكم مع رئيس الوزراء، والذي يُنتخب من الشعب مباشرة... أسس دستورها وفقًا لقواعد العدالة الإلهية... وللدولة أربعة وأربعون ولاية بمساحة عشرون مليون كيلو متر مربع... بعد الحرب نقلت العاصمة من القاهرة وهي عاصمة إقليم مصر إلى منطقة تقع في المنتصف تقريبًا من بادية الشام جنوب الهلال الخصيب وشمال الجزيرة العربية... بلغت الدولة حدًا من الحضارة والتقدم لم تبلغه دولة ولا أمة من قبل (بلغ محمد أقصي قدرته على الذهول والتعجب فلو رأى تلك المشاهد من قبل لقال هذه جنة الله)...

توقف بالله عليك ...

اختفت المشاهد تمامًا وظهر الرجل من جديد قائلاً:

هل هناك شيء تريد استيضاحه يا سيدي؟ ...

كان فيض من المشاعر يعتريه بقوة جعل جسده يرتجف... عقله

توقف تمامًا عن الاستيعاب وتلقي الجديد من هذا الذي يراه

بعينه ويسمعه بأذنه فأثر سلامته ...

أرجوك لم أعد قادرًا على التحمل والإدراك أكثر ارحل الآن ...

اختفى وأسند محمد رأسه على الأرض... اصطدم عقله بما لا قبل

له به، اضطرب بشده كأنما أمواج بحر هائج تموج به في ليلة

ظلماء ... أيام بلياليها لم يغادر مكانه منكفئاً على ذاته شادر الذهن

والفؤاد منفصلاً عن الواقع ... كانت صدمة حضارية عنيفة بالنسبة

إلى رجل ما زال يعيش في أول سلم الحضارة ...

بعدها بثلاثة أيام:

طرقات على باب منزله تتصاعد رويدًا رويدًا، وهناك من ينادي

باسمه ... قام كالأموات ... جُل أهل القرية أمامه، هاله نظراتهم

إليه ... ينظرون إليه بشفقة بالغة واضطراب شديد ... عيناه

متعبتان ووجهه شاحب كالأموات ... علل ذلك بآلام جسده تمنعه

النوم ... صرفهم بعد جهد كبير ... قبل منهم الطعام والشراب ...

لا بد من الرحيل: قالها مرارًا وتكرارًا في نفسه، ولكن بقية من

فضول أبت إلا أن يعرف كل السر ... ساعات طوال يجادل نفسه

ويحاوّر قلبه، في النهاية قرر أن يعرف السر كاملاً ولتكن مشيئة

الله ...

أكمل الحكاية:

ولاستمرار تربعهم على عرش العالم بلا منازع كان لابد من مصادر متجددة من الطاقة والمعادن، ولما كانت الأرض محدودة الموارد اتجهت أنظارهم إلى السماء إلى الكون الواسع أرسلوا البعثات الاستكشافية؛ بحثًا عن الموارد والمغامرة وشملت الآحاء القريبة من الأرض ولم يتوغلوا في الفضاء، حققت هذه البعثات نجاحات محدودة في البداية لم ترقَ لطموحاتهم فقرروا التعمق أكثر ...

المعضلة الأضخم كانت في قصر عمر الإنسان وعدم مقدرته على السفر واكتشاف الفضاء والعودة في الوقت الذي تستطيع الأرض الاستفادة من هذه الرحلات... بدأوا بإنشاء مستعمرات على أغلب الكواكب القريبة والتي أمدتهم بما يحتاجون ولكن لوقت بسيط، سيستلزم معه في وقت ما الرحيل إلى مناطق أبعد ... كان أقرب نجم إلى الأرض هو (بروكسيما سنتوري) بعد دراسات طويلة وحل معضلات تقنية عديدة بدأت رحلة اكتشافه والتي استغرقت خمسين عامًا ذهابًا فقط، وهناك كانت المفاجأة الكبرى ... جنس عاقل مثل البشر لا يختلفون عنهم في شيء تقريبًا، غير أن أجسادهم كانت تميل إلى اللون الأزرق قليلًا، ومتوسط الطول أعلى من البشر السودون كما يطلقون على أنفسهم ...

لماذا لا تعرض مشاهد لما تقول كما حدث في المرة السابقة؟ محمد مقاطعًا.

تحليلاتي تشير إلى زيادة في النشاط العقلي بشكل غير طبيعي، ربما يؤدي إلى بعض حالات الصرع أو الهذيان وربما يصل إلى الجنون ...

ابتسم محمد في سخرية قائلاً:

هل تظن أنني لن أصل إلى الجنون مما تقول؟ أكمل وليكن الله معيني.

كان اكتشاف كوكب المايكا (كما يسميه أهله وهي تعني الأم) حدثاً مهماً جداً في تاريخ الرحلات الاستكشافية بل وتاريخ الأرض بصفة عامة، وساهم بشكل مباشر في تطور السفر عبر الفضاء وأصبحت الرحلة من الأرض إلى المايكا تستغرق عدة شهور فقط بعد أن كانت سنوات، ولكن لم يتحقق هذا الأمر إلا بعد ثلاثمائة عام من اكتشافه ...

صمت الرجل طويلاً بشكل استدعى محمداً أن يحثه على المتابعة بقوله:

لماذا توقفت؟!!!

لقد انتهيت ...!!

هل هذا كل ما تحتويه من تاريخ؟

لا، ولكن الجزء الأول انتهى، هل ترغب في سماع الجزء الثاني؟

لا ليس الآن ...

-ع-

يفرك يديه في عصبية شديدة ويتحرك جيئةً وذهابًا، يرفع عينيه إلى
السماء متضرعًا ... تصم آذانه صرخات عالية فيزداد خوفه وجزعه...
يقترّب منه قائلاً:

سيدي الإمبراطور ...

ماذا هناك يا شومتاي؟

قوات الأمير موتاي...

يقطع حديثه خروج إحداهن من غرفة مقابلة تحمل أثماناً قد
اصطبغت باللون الأحمر القرمزي وتسرع الخطى، استوقفها قائلاً:
أهي بخير؟

نعم يا مولاي ولكن الولادة متعثرة قليلاً ...

رحماك يا إله السماء ...

سيدي الإمبراطور لابد ...

ليس الآن يا شومتاي، موتاي لن يفعل شيئاً لربما هي بعض
التدريبات العسكرية لا أكثر ...

مولاي لاب ...

قلت ليس الآن يا شومتاي ...

تتواصل صرخاتها العالية فيزداد هلعًا وليس على لسانه إلا:

رحماك يا إله السماء ...

غاص شومتاي في بحر من الأفكار فالاستعدادات العسكرية على

أشدها من جانب قوات الأمير موتاي، والتي لم تفصح عن نواياها بعد، ولديه الكثير من الشكوك حول نيتها اقتحام القصر الإمبراطوري وقتل الإمبراطور يعلم جيداً أن الحرس الإمبراطوري يحرس القصر وهم أفضل وأعتى مقاتلين في كل الإمبراطورية، ولكنها ستكون في موقف لا تُحسد عليه إن قرر موتاي الهجوم الآن فجلها على كوكب (سامواسين) لإخماد ثورة (الغاتول)، والتي فشلت في إخمادها أغلب فرق الجيش الإمبراطوري فكان لزاماً على الإمبراطور إرسال قوات النخبة لديه. وبتحريض من موتاي نفسه الأخ الأصغر للأمبراطور (ظهرت على وجهه شبح ابتسامة ساخرة)، والذي ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على الإمبراطور وتحيته عن العرش لنفسه، ولأن شخصية الإمبراطور ذات تقديس شديد في نفوس الساناي كان لا بد من حيلة للتخلص منه والنفاذ إليه من نقطة ضعف...شاتاي زوجة الإمبراطور ومحبوبة التي يهيم بها عشقاً وتضرب الأمثال في حبهما ... جاءت الفرصة على طبق من ذهب لموتاي فولادتها لولي العهد متعثرة جداً وربما تموت ...وتأتي نقطة قوة الأمير موتاي بقيادته لفرق حماية الماي الكوكب الرئيسي للإمبراطورية فتجميعها والزج بها في المعركة سريعاً لن يكون أمراً عسيراً ...

وبينما شومتاي في أفكاره وتوجساته سمع صوت القادم الجديد فتهللت أسارير الإمبراطور وتوجه إليه بقوله:

لقد جاء أخيراً ...

ابتسم في وجهه وإن لم تزل عنه أمارات القلق فقال الإمبراطور:
دع عنك أفكارك هذه موتاي لن يستطيع أن يحرك جندياً واحداً

للهجوم على القصر...

ولكن ...

قطع حديثه إحدى الوصيفات حين خروجها بالمولود قائلة:
ذكر يامولاي.

حملة برفق ينظر إليه قائلاً:

تأخرت كثيراً يا حبيبي ...

قبل جبهته وتلفت حوله إلى أن ملح كبير الكهنة يتقدم منهما
فأعطاه المولود قائلاً:

أتم طقوس الولادة ...

تذكر محبوبته التي نسيها في غمرة سعادته، توجهه إليها كانت
تستلقي وحولها التفت الوصيفات يمسن عنها آثار الولادة، اقترب
منها بعينين دامعتين قبل جبينها قائلاً:

لتحل عليك بركة الإله ماذا ألم بك؟ ...

وبصوت واهن ووجه شاحب قالت:

لا تخف يا حبيبي أنا متعبة فقط ...

أغمضت عيناها من شدة ما تعاني وزاد شحوبها شحوباً، وظهرت
أمارات الفزع على وجهه وصار ينظر إلى الوصيفات مستفهماً فلم
يلق رداً شافياً، حتى فتحت عيناها ناظرة إلى أعلى ثم شهقت في
قوة وقد ارتفع عجزها إلى أعلى ثم انخفض، فنادى باسمها وهو لا
يعي ما يحدث وإن بدأت الوصيفات بالبكاء نظر إليهن وفي وجهه
نظرة ذهول، فقالت أكبرهن:

لقد ماتت مولاتي ...

كما لو أن ألف خنجر ضُرب في صدره، انسالت دموعه وصرخاته بلغت عنان السماء وزلزلت أركان القصر الكبير صرخ المولود هو الآخر كأنها يعي ما حدث...

كانت صرخات الإمبراطور معلنة وفاة الإمبراطورة لحظة فارقة في تاريخ الساناي قاطبة فللمرة الأولى سيشهدون تداولاً لا سلمياً للسلطة... أمر موتاي أكبر تابعيه وأخلصهم له هتكاى بالبدء في حصار القصر الإمبراطوري من جميع الجهات وانتظار الأوامر... وبالفعل بدأت قواته في حصار القصر بدعوى تأمينه، ثم جاء الأمر بعدها بلحظات باقتحام القصر من جميع جهاته؛ لحماية الإمبراطورية من الانهيار، فالإمبراطور مات بخيانة الحرس الإمبراطوري له مع قائد جيوشه بعد ولادة الوريث ليحكم الإمبراطورية من خلاله وربما لتنحية سلالة الماتاي نهائياً من الحكم ...

قبل الاقتحام بلحظات دخل شومتاي على الإمبراطور ساحباً إياه بعيداً عن جثة محبوبته صارخاً فيه: ليس الوقت وقت البكاء ... ماتت ياشومتاي أرجعها بحق ما بيننا أرجوك ثم انهيار عند قدميه باكيًا كما لو كان طفلاً صغيراً ...

نظر شومتاي إلى الوصيفات صائحاً فيهن:

اخرجن جميعاً ...

استدعي شومتاي حراسه وأمرهم بحراسة غرفة الإمبراطور ولو كلفهم هذا حياتهم، ثم أمر أحدهم بإحضار كبير الكهنة مع المولود ولو لم يكن قد أنهى مراسم الولادة ... وفي نفس اللحظة تقريباً بدأت قوات موتاي باقتحام القصر وتعالصت أصوات القتال ...

القائد في الحرس الإمبراطوري توماي يقود قواته في الجبهة الغربية وهو بعد لم يدرك ما يحدث؛ فقوات الأمير موتاي تهاجم القصر بعنف شديد وكان تركيزهم على جبهته أكبر، فهي تقود مباشرة إلى جناح الإمبراطور الخاص، بل والأعجب فإن الأمير موتاي يقود هذه الفرقة بنفسه، وبسبب الهجوم المفاجئ كانت خسائره كبيرة إلى حد ما ولكنه استطاع أن يصدّهم ولكن ليس طويلاً، لذلك بدأ في سحب بعض قواته إلى الممرات الداخلية للقصر؛ لتأخيرهم قدر الإمكان لعله يعطي الإمبراطور فرصة للهرب، وقرر أن يحمي الإمبراطور بنفسه على رأس فرقة من أفضل رجاله، وتوجه بها إلى غرفة الإمبراطور وهناك كادت أن تحصل معركة بينهم وبين حرس قائد الجيوش بيد أن الأمر انتهى سريعاً بعد تدخل قائد الجيوش الذي خرج ليسأل عن كبير الكهنة ...

وصل كبير الكهنة وعلى وجهه أمارات التعجب من أصوات المعارك والتي ظن أنها احتفالاً بالمولود، وتعجب حينما وجد هذا العدد الكبير من الجنود والقادة يحرسون غرفة الإمبراطور في تحفز شديد.. دلف الغرفة صائحاً: صحيح البدن وقو...

ليس هذا وقته الآن عليك بالهرب به إلى الغابة الصفراء؛ حتى تصل إلى سفينة النجاة وتنفيذ ما اتفقنا عليه سابقاً ...

عن أي شيء تتحدث يا شومتاي؟

حانت منه التفاتة سريعة إلى الإمبراطور الذي يبكي بصمت بجانب محبوبته، واتضح لديه صورة الوضع كاملاً فنظر إلى شومتاي قائلاً:

لا أستطيع أن أهرب بالمولود الآن فإن أيامي الباقية قليلة ...

ماذا تقول أنسيت اتفاقنا من قبل أتراجع الآن...

لا بل أقول إنني لست الشخص المناسب الآن يجب أن تختار

غيري...

سوف أقت.....

اتركه ياشومتاي فأنا أريد أن أكرم محبوبتي قبل أن ألحق بها

أثنتي بالقائد توماي حالاً، قاطعه الإمبراطور في هدوء عجيب في

الوقت الذي حمل فيه مولوده قائلاً:

يبدو أن أيام شقائك قد بدأت مبكراً يا بني ...

وبحكم قرب توماي من غرفة الإمبراطور فلم تمض لحظات حتى

هبط على ركبتيه أمام الإمبراطور واضعاً قبضته أمام صدره اقترب

منه وأعطاه مولوده قائلاً:

توماي هذا ما عشت طويلاً كي أراه ولكنها النهاية احمله وانج به

من هذا الجحيم، فإن كبر واشتد عوده فأخبره بما حدث فلعله

يملك من الشجاعة ما يستطيع أن يواجه به عمه الخائن ...

ولكن ياسيدي

لا وقت للجدال يا توماي هذا أمر

أنهى حديثه وتوجه من جديد إلى محبوبته في الوقت الذي وجه

شومتاي حديثه إلى توماي قائلاً:

سترحل من هنا إلى الممر المؤدي إلى الغابة الصفراء وهناك ستجد

بعض من رجالي سيوصلونك إلى سفينة النجاة وعليها ستجد كل

ماتريد معرفته انطلق الآن ولا تضيع الوقت أكثر من هذا ...

وقف توماي على قدميه وتردد في الانسحاب من القتال وتضاربت المشاعر في داخله فما بين القتال والهرب فارق كبير لا يدركه إلا المقاتل، في النهاية هي رغبة الإمبراطور الذي أقسم على طاعته ولو كلفه حياته فقال بصوت حازم:
سأفديه بروحي.

نظر إليه الإمبراطور في عينيه مباشرة قائلاً:
حافظ عليه واجعل منه مقاتلاً عظيماً ومحارباً صنديداً.
التفت وانطلق لينفذ رغبة الإمبراطور الأخيرة ولكنه استوقفه بقوله:
اسمه تاماي

نظر نظرة أخيرة إلى الإمبراطور وانطلق

في الوقت الذي توجه الإمبراطور بحديثه إلى كبير الكهنة قائلاً:
لتبدأ مراسم الموت الآن...

أغمض عينيه وتمتم ببعض العبارات في نفس اللحظة أدرك كل كهنة المعبد ما يحدث فتوجه أربعة منهم إلى غرفة الإمبراطور واصطف الباقي في صفين متقابلين عند مدخل المعبد

استطاعت قوات الأمير موتاي أن تقتحم باحات القصر وتقاتل الآن في الممرات الداخلية له ...

وقف الإمبراطور عند قدمي محبوبته وبجانبه الكاهن الأكبر في الوقت الذي وقف فيه كاهنان عند كل جانب منها وبدأ يتمتمون حتى ارتفع الجسد من مخدعه، فأغمضوا أعينهم وساروا جميعاً إلى خارج الغرفة.... أخفض جميع الجنود رؤسهم إلى الأرض احتراماً وتقديراً للإمبراطور ومحبوبته ...

قائد الجيوش بعدما اطمأن أن الممر المؤدي إلى المعبد آمنًا التفت
إلى الإمبراطور وانحنى أمامه قائلاً:
الآن نفرق ساؤخرهم قدر ما أستطيع ...
لا تمت حتى آتي إليك ...

أكمل الإمبراطور الطريق مع محبوبته إلى المعبد وما إن وصلوا
حتى بدأ الكهنة المتراصون يهزون رؤسهم للأمام والخلف وهم
يتمتمون في خفوت مشكلين مجتمعين همهمات تعلوا وتنخفض
بشكل متواصل وأكملو المسير خلفهم مشكلين صفًا واحدًا طويلًا
حتى بلغوا منتصف المعبد الذي انزاح كاشفًا عن حفرة عميقة
لا قرار لها، التف الكهنة حولها في الوقت الذي تحرك كبير الكهنة
رافعًا ذراعيه على الجسد متممًا بعبارات عديدة ... صمت بقية
الكهنة مكتفين بهز رؤوسهم إلى الخلف والأمام، تحرك الجسد حتى
بلغ منتصف الحفرة تقريبًا ثم بدأ رحلة الهبوط، والتي استغرقت
عدة دقائق قليلة ارتفع فيها صوت كبير الكهنة بتمتماته الغريبة
ثم توقف وبدأت الحفرة في الانغلاق من جديد ...
وقف الإمبراطور قليلًا بعد نهاية المراسم ثم طوى حرملته بقوة
وتوجه إلى القصر من جديد ...

كانت بقايا الحرس الإمبراطوري قد تجمعت في الممرات المؤدية
للمعبد تقاتل بيأس؛ لإعطاء الإمبراطور الفرصة ليكرم محبوبته
بالشكل الذي يليق بها

أقبل الإمبراطور عليهم صارم الوجه صائحًا فيهم:

المجد كل المجد في الموت بيد من أحسنت إليه ...

أخرج ما يشبه السيف وإن كان غريب الشكل، وأطلق صيحة عالية وهو يتجه نحو قوات أخيه في الوقت الذي صاح فيه قائد الجيوش وهو يفعل مثله:

إلى المجد إلى الإمبراطور ...

ألقى من بقي من الجنود أسلحتهم الحديثة واستل كل واحد منهم سلاحًا بدائيًا وهو يصيح:

إلى الإمبراطور ...

ارتبكت القوات المواجهة لهم حينما رأت الإمبراطور؛ فهي جاءت في الأساس للانتقام له لا الانتقام منه، ولكنه الآن أمامهم بشحمه ولحمه وعلت الوجوه نظرة ارتباك حقيقي ... لم يمهلم الإمبراطور ولا جنوده من خلفه الوقت الكافي لتدبر الأمر فانقضوا عليهم بلا رحمة ... كان لحماسة وشجاعة الإمبراطور أكبر الأثر في جنوده الذين هبوا للدفاع عنه بأرواحهم ... وفي غمرة القتال كانت الطعنة من الخلف فترنح الإمبراطور من إثرها تماسك واتكأ بسيفه لئلا يقع، ولكن توالى الضربات فسقط مضرجًا في دماؤه ومن خلفه تعالت ضحكات أخيه قاتل جنود الحرس الإمبراطوري حتى آخر جندي مع قائد الجيوش فسجلوا أروع التضحيات ستكتب بحروف من دم في سجل المجد الأبدي

اجتاز توماي ممرات القصر المؤدية للغابة الصفراء حاملاً المولود بين يديه بينما وصله أصوات القتال من خلفه فيعتصر الأم روحه، ولكنها في النهاية رغبة الإمبراطور الذي أقسم على طاعته حتى الموت ...

-0-

خمس عشرة ساعة كاملة قضيتها في متابعة العرض الهولوجرامي
للمعركة الأخيرة ...

كنت خاوياً من الداخل بلا مشاعر تماماً كأنما أنا جماد لا أكثر...
لم تحرك في مشاهد القتل شيئاً، آلاف الجنود والقادة قُتلوا في مشهد
دموي رهيب، القليل ممن استسلم في النهاية قتلوا بدم بارد لم
يقتحم جنود العدو القصر الكبير رغم وجود العديد من النساء
والخدم وبعض الحرس والإداريين المتبقين كذلك وزارة الحرب، بل
وقفوا على أطراف الحديقة الخارجية في صفوف متراسة مغمضين
أعينهم لعدة دقائق رحلوا بعدها كأن شيئاً لم يكن ...

نقلت المشاهد بعد ذلك خروج العديد من النساء والأطفال
يبحثون بين الجثث عن ذويهم كان مشهداً مؤملاً لي بشكل لم أعهده
من قبل ومن مفرق رأسي إلى أخمص قدمي اعترتني رعشة عجيبة
وبكاء لا مثيل له ... أخيراً تحركت مشاعري بعمق من داخلي
لم أحزن على كل هؤلاء القتلى لقد رحلوا بشرف، حتى أولئك
المنهزمون كان لهم عندى عذر، ولكن ماذا سيحدث للبقية؟ هؤلاء
الذين أصبحوا بين ليلة وضحاها بلا مأوى يسبحون في الأرض بلا
هدف لم تكن المصيبة في فقد الرجال فإن مصانع الرجال لم
تغلق أبوابها بعد ... هؤلاء سيتحملون كل مرارات الكون سيحيون
على الذكريات رجالاً كانوا أو نساء، ذكريات الأحبة ذكريات المجد

البائد ذكريات أمة عظيمة ومجد تليد ... من مات فقد مات أما
هؤلاء فسيموتون كل لحظة ... ليرحمنا الله.
تعالت ضحكاته الساخرة من جديد لم أقاطع هذه المرة حتى
قال:

أراك قد أدركت أخيراً ياعزيزي حجم الكارثة لم يعد هناك أي أمل
في إنقاذ شيء لقد انتهى الأمل نفسه ...
هناك غصة شديدة في حلقي ودموعي تغرق وجنتي آثرت السكوت
فلم يعد هناك ما يقال أبداً، حتى على سبيل المكابرة وكما لو
أنه أدرك ما في نفسي فقال:

حبيبي آدم موتك الآن هو سبيل خلاصك من هذا العذاب الذي
لن ينتهي أبداً، سيتجدد كل دقيقة ستنموا آلامك حتى تتمناه ولن
يأتي ...

كانت كلماته صادمة ولكنه الواقع لم يعد لي شيء هنا الموت راحة...
لا أدري كم مر من الوقت حتى أفقت، كنت ما أزال في غرفة
المراقبة عقلي مشوش ولا أعني من أمري شيئاً، ورويداً رويداً بدأت
أدرك ما حدث وقفت وقررت أن أرحل إلى زياد وأمه من جديد ...
أردت أن ألقى نظرة أخيرة على بيتي الذي انتميت إليه سابقاً
تجولت في أروقتة مصاحباً للجندي عارف أمين وهو أحد أكثر نظم
الذكاء الاصطناعي تطوراً في العالم، والذي ظهر بمجرد دخولي إلى
الرواق الداخلي للوزارة تناثرت المكاتب من حولي يمنة ويسرة،
والتي كانت منذ الأمس القريب تعج بالضباط من مختلف الرتب
والقطاعات لتنظيم الأمور الإستراتيجية والعسكرية لجيشنا المهيب،

كان عارف كالمُرشد السياحي لا أكثر ولا أقل، أدرك ما حدث منذ اللحظة الأولى ... كان يتحدث باستفاضة عن المبنى وتاريخه وعدد العاملين به والعديد من المعلومات الغير مفيدة بالنسبة لي على الأقل لم أتابعه باهتمام ...

وفي خضم حديثه تعلقت في ذهني جملة (خطة استمرار الحكومة)، توقفت عن تجوالى ناظرًا إلى المجسم الهولوجرامي لعارف توقف عن الاستطرداد في حديثه ناظرًا نحوي قائلاً:

هل استرعى انتباهك شيء في حديثي يا سيدي؟

نعم ماذا تقصد بقولك (خطة استمرار الحكومة)؟

هي خطة حفظ الحكومة واستمراريتها وحماية رئيس الدولة والوزراء السياديين وقادة الجيش والمخابرات عندما تتعرض الدولة للخطر أو حرب شاملة ...

هل تم تنفيذها؟

للأسف أغلب القادة إما قُتلوا أو مفقودون والهرم القيادي انهار تمامًا بعد الكارثة ...

ماذا عن مدن القاع؟ ألم يحتم بها أحد من قيادات الصف الأول أو الثاني؟

لا ...

لمماذا؟

مدن القاع هي مدن بُنيت في الأساس لاستمرار الحضارة في حالة الإبادة الشاملة وتخزين المعرفة والحفاظ عليها لأطول فترة ممكنة ريثما يصبح الوضع مهينًا على السطح، ومن التحق بها تم إدخاله

في حالة نوم اصطناعي طويل الأمد لا ينتهي إلا بعد عشر سنوات من الآن. وينقسم الملحقون بها إلى قسمين رئيسيين هما: العلماء في مختلف المجالات والمقاتلون بالإضافة إلى بعض العامة من الناس ... أين هي؟

لا يحتوي أرشيفي على معلومات دقيقة عنها، ولكن من خلال تحليل البيانات المتاحة فإن الموقع التقريبي لكل مدينة هو الأناضول بالقرب من ديار بكر، وسيناء بالقرب من الطور، وجنوب العراق بالقرب من البصرة، وشمال الجزيرة العربية بالقرب من العاصمة، وجنوبها بالقرب من حضرموت ... أكملت تجوالي خائب الرجاء والأمل ...

كيف هو العالم الآن؟

لم يتغير كثيرًا غير أن جزءًا كبيرًا من المساحة التي كانت تحت سيطرتنا على وشك أن تكون سجنًا ضخمًا؛ فالعدو ينشأ جدارًا من الصخور والصلب بارتفاع خمسين مترًا يحيط بها كما يحيط السوار بالمعصم، فمن بحر العرب إلى بحيرة قزوين ومنها إلى البحر الأسود ومنه إلى بحر إيجه ومن بنغازي إلى بور سودان ...

لماذا؟

لا أدري تحديدًا، تحليلاتي تشير إلى أنه نوع من العبرة لغيرنا من البشر ...

ماذا أيضًا؟

العدو بدأ في بناء مدينة عملاقة في وسط أفريقيا تقريبًا، على ما يبدو ستكون هي العاصمة العالمية الجديدة، ويعمل حاليًا على

إنشاء ملايين المصانع في كل أنحاء العالم، وأصدر دستوراً جديداً يحكم به الجميع أتاح الحرية الدينية لجميع البشر وأقر الحرية الشخصية بصفة عامة (واستثنى منه شعبنا وبعض الشعوب الأخرى ممن أبدوا مقاومة ولو بسيطة لمدة خمس سنوات)، ألغوا الأعلام والنشيد الوطني في كل الدول، وأصبح علم الأعداء ونشيدهم موحد على الجميع، ويُعاقب- حسب الدستور الجديد- من يظهر عدم احترام للعلم أو النشيد بالموت فوراً وبحسب الدستور الجديد فإن الإمبراطور موتاي هو المالك لكل شيء على الأرض بمخلوقاتهما وجمادها أو من ينوب عنه، وله الحق في استدعاء أي شخص للحرب متى أراد ... ووضع نظاماً عالمياً جديداً يتلخص في بقاء كل القادة السياسيين والعسكريين المستسلمين في مناصبهم مدى الحياة، يحكمون نفس المناطق التي كانوا يحكمونها سابقاً بالشكل الذي يراه الإمبراطور أو نائبه، وألغيت الحدود نهائياً بين الدول ... أصبحت جيوش العالم كلها تحت إمرتهم مع نقل بعض الفرق ذات التدريب العالي والمتميز إلى جهة غير معلومة خارج الكرة الأرضية، وتم توزيع بعضها لمراقبة المنطقة الواقعة من بورسودان إلى القرن الأفريقي، كذلك تسير الدوريات البحرية في كل من بحر العرب و قزوين و الأسود وإيجه ولا أدري تحديداً السبب لهذا الأمر، وكذلك دوريات برية مستمرة على طول المنطقة المزمع إنشاء الجدار عليها، والذي سينتهي في غضون عدة أشهر بمعدل العمل الحالي. بالنسبة لأجهزة الشرطة تحولت إلى جهاز واحد عالمي تحت إمرتهم المباشرة، سرح آلاف الضباط من مناصبهم

دون أسباب معينة، وأنشأوا جهازًا جديدًا أطلقوا عليه اسم (جهاز الاستخبارات والأمن الداخلي)، ولا أدري تحديدًا ما الهدف منه ولكن في ظني أنه يشبه أجهزة الشرطة السياسية في الدول والجمهوريات الدكتاتورية، وطالت يد التغيير كذلك نظام التعليم، والذي تحول بالكامل لتبجيل الساناي....

الساناي؟! ..

الساناي هو الاسم الذي يطلقه الأعداء على أنفسهم تم إلغاء مناهج التاريخ واستبدالها بتاريخ الساناي بعض التعديل في المناهج العلمية واستبدال أسماء العلماء الأرضيين بنظرائهم من الساناي، وألغى تدريس العلوم الإنسانية بشكل تام هناك أمر آخر أغلب العلماء والمهندسين اللامعين في مجالاتهم تم ترحيلهم من الأرض إلى مكان مجهول...

كيف تعرف كل هذا؟

مازال هناك اتصال قائم بيني وبين أحد الأقمار الصناعية الباقية، واتصال محدود ببعض الشبكات العامة والخاصة في مختلف بقاع الأرض ...

ماذا حدث لأمتنا وشعبنا؟

بعد المعركة أرسل العدو رسائل إلى جميع السكان لمغادرة المنطقة في خلال أسبوع واحد فقط وبعدها سيبيد المنطقة، ٩٩٪ من السكان فضلوا المغادرة والباقي قرر البقاء والتجأوا إلى كهوف الجبال والأماكن النائية بعيدًا عن المدن الرئيسية، من غادر تم استيعابهم في معسكرات ضخمة، الأطفال من سن سنتين إلى

عشر سنوات رحلوا من الأرض بالكلية ولا أدري إلى أين، تحديداً من الحادية عشر إلى الأربعين هم عمال البناء في الجدار والمدينة الضخمة والمصانع المتفرقة باستثناء الأطباء فقط من سن الحادية والأربعين إلى الثمانين تحولوا بين ليلة وضحاها إلى فلاحين لتغذية العمال ... بعد ترحيل السكان تم قصف جميع المدن داخل نطاق الجدار وسوّت بالأرض تمامًا وتُركت العاصمة فقط... صمت قليلاً ثم أردف قائلاً:

النساء الجميلات تحولن إلى خدم ومحظيات لدى ظباط وكبار قادة الساناي والمتعاونين معهم من الأرضيين، الباقيات رحلن إلى معسكرات العمال للعمل والقيام بالأعمال التقليدية ...
ياللعار! ألم يكن الموت لهم رحمة؟ قتلها في داخلي معتصراً أماً رهيئاً في قلبي ... ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيّاً منسياً ...
ساعات مرت على وأنا أبكي، أهكذا ننتهي مهانين؟ بعد أن كنا سادة عظام أصبحنا عمالاً وخدمًا عند أعدائنا، ياويلتاه بل واحسرتاه! لو كان للموت طريقاً فأتخذه (ذاك الطيف صادق)، وقفت أكفكف دموعي وخرجت أسير في طرقات العاصمة أردد أبيات من الشعر سمعتها من قبل، أرثي بها حالي وحالنا:

إن لم تقرع أدمعي أجفاني
من بعد بعدكم فما أجفاني
يا ليتني قد مت قبل فراقكم
ولساعة التوديع لا أهيناني

وحياتكم ما حلها من بعدكم
 غير البلى والهدم والنيران
 ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم
 ووقفت فيها وقفة الصيران
 وبأنترها لكن بغير تكلم
 فتكلمت لكن بغير لسان
 أين الذين عهدتهم ولعزهم
 زلاً تضر معاهد التيجان
 مالي أنيس بعدكم إلا البكا
 والنوع ما الحسرات والأحزان

قضيت بين جدران العاصمة شهرين كاملين أطوف بها باكيًا لحالها
 وحالنا، كنت أطرق البيبان؛ لعل أحدهم يجيب. أهيم في طرقاتها
 كالمجنون باحثًا عن مجد الآباء والأجداد عن إرثهم عن كبريائهم
 عن شموخهم ... لم أجد شيئًا.

كان الرحيل أكثر ألمًا من القدوم قدمت إليها بأمل ورحت عنها
 بلا روح غادرت جسدي مستقرة فيها...

استقبلني زياد بالترحاب ورأيت في عين أمه فرحة بقدمي... وأنشأ
 لي خيمة قريبة منهم

كنت مهلهلاً فاقد الروح لا أنام إلا لمأماً لا أتحدث بشيء أو يحدثني
 أحدهما بشيء كأنما رضي كل طرف بالجوار الصامت، تكفيننا بضع
 لقيمات كان زياد يأتي بها من بقايا العاصمة ... قد صارت لي لحية
 كبيرة غلب عليها البياض، وشاب شعري قبل أوانه.... استطاع زياد

أن يستأنث بعض الأغنام من البرية حولنا وأصبحت راعي غنم بعد أن كنت قائدًا عسكريًا، لم أجد قدرة للسخرية من حالي، فقد عانيت كثيرًا ومازلت أعاني، كنت أستيقظ في الصباح مع شروق الشمس تقريبًا فأحلب الشياه بعدما علمتني أم زياد، وأضع اللبن في القدور وأرحل بنصف الأغنام باتجاه الشرق ويرحل زياد باتجاه الغرب وأظل هكذا طيلة النهار حتى تبدأ الشمس في مغربها فنعود إلى مكمننا، وهكذا استمرت الأيام بلا جديد وأنا على حالي مستسلمًا راضيًا به ...

كلما أختليت بنفسي جالت بعقلي آلاف المشاهد والصور وعصفت به الذكريات ... الألم ينمو في صدري يومًا بعد يوم ... عيناى أصابهما الجفاف من كثرة البكاء ... جسدي أصبح هزيلًا ... روحي ما زالت معلقة هناك ...

وذات صباح بارد والسماء توشك أن تمطر وبينما أستعد لأرحل مع غنماتي إذ قال لى زياد:

أمي تريدك في أمر ما ...

هل هناك شيء؟

مط شفتيه قائلاً:

لا أدري..

والغنمات؟

لا تقلق سأعتني بها كلها اليوم..

دخلت عليها خيمتها كانت جالسة عاصبة رأسها وقد زاد نور وجهها وتورده فقلت:

السلام عليكي يا أمي ...

وعليكم السلام يا بني، اجلس هنا بقربي ... دنوت منها جالسًا

فبدأت بالحديث مباشرة قائلة:

أنا راحلة عما قريب ...

إلى أين؟

أشارت بيدها إلى السماء قائلة: إلى هناك يا ولدي، حيث لا عودة

حيث الرفيق الأعلى ...

كلماتها صدمتني كأنما خنجر ضرب صدري ولكنها أكملت:

أوصيك بزيادة خيرًا فكن له صاحبًا ومعينًا ولا تقسُ عليه، فلم

يعد لأحد منكم في الدنيا غير صاحبه ... صمتت لفترة طويلة بينما

كان بركان من الغضب يفور في داخلي ... الرعد يدوي في السماء ...

المطر يتساقط ... أم زياد تتحدث ولكني لا أسمعها ... قمت عنها

بخطوات هادئة غادرت خيمتها ... واصلت سيرتي ... أسمع دقات

قلبي ... أنفاسي تتسارع ... حافة الجبل تقترب ... لن أتحمل أن

أفقد أحدًا آخر ... سأموت كي أرتاح وأتخلص من هذا العذاب ...

قبل الحافة بقليل توقفت قدماي دون رغبة مني ... الماء يغمري ...

نظرت إلى السماء ... بدأت أصرخ بكل ما في جسدي من طاقة ...

لماذا تفعل بي هذا؟ لماذا فعلت بنا هذا؟ ألسنا عبادك؟ ... لماذا كل

هذا ألم يكفك ما حدث؟ لماذا أبقيتني؟ ...

لا أدري كم مر من الوقت وأنا في صراخي وصراعي ... وكأنها تعلن

السماء غضبها مما أفعل فزاد هياجها ... كأن صوت الرعد غضب

وبرقها شرر يتطاير ... لا أدري ما الذي حدث فما أذكره أن ضوء

شديد غشائي للحظات كنت بعدها هنالك في الطرف الآخر من الكهف ...

حينما فتحت عيني مرة أخرى كانت أم زياد بقربي جالسة واضعة رأسها بين كفيها نائمة ... عظامي تأن من الألم وأتنفس بصعوبة بالغة بدأت أتحرك قليلاً أحست بي فقلت:

ماذا حدث؟

غضبة الإله يابني ولكنه كان رحيماً فإن الصاعقة لم تضربك مباشرة وإما بالقرب منك ...

غضب على ولم يغضب عليهم ... لماذا لم يرسل ملائكته لنجدتنا؟ ألسنا عباده والأحق بنصرته ...

استغفر يابني واعلم أن له تصاريف في كونه لا يعلمها إلا هو... قاطعتني بحدة لم أعدها منها من قبل ورمقتني بنظرة صارمة وقامت عني ولم تكد تخرج من الخيمة حتى تلت قول الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) البقرة (٢١٤)

تركنتي ومن خلفها تآرجحت بين الكفر والإيمان ...

في صباح اليوم التالي استيقظت على زياد ينادي باسمي وحينما وقعت عيني عليه رأيت وجهه وقد اكتسى بحزن شديد فجال بخاطري حزنه على ولكنه صدمني بقوله:

ماتت أمي... وانفجر في بكاء شديد ...

أغمضت عيني وأنا أقول:

إنا لله وإنا إليه راجعون ...

غسلها زياد وكفنها وصلينا عليها ودفناها سوياً

استمرت الحياة البائسة التي أحيها مع زياد وبعد أمه بسنة واحدة مات هو الآخر وقبل موته بيوم واحد دار بيننا آخر حديث بدأه بقوله:

هل هناك أمل في شيء لقد أصبحنا نحيا كما البهائم نحيا لأجل الحياة فقط؟

ابتسمت بسخرية شديدة دون أن التفت إليه ودون أن أجيب أيضاً فاسترسل مكماً:

أنا لا أريد الموت أريد أن ألتقي بفتاة جميلة وتزوج وأنجب منها أربعين طفلاً أعلمهم جميعاً بقصتنا ثم أزوجهم جميعاً بأربعين فتاة جميلة ثم ينجب كل واحد أربعين طفلاً ثم أزوجهم من جديد... كان يحدث نفسه بصوت خافت كأنها يحسب شيئاً ما ثم قال فجأة:

كم سيصبح العدد؟ ...

للمرة الأولى أضحك من قلبي قائلاً:

لا أدري...

لا يهم ولكني سأزوجهم جميعاً أيضاً حتى تصبح لي قبيلة كبيرة جداً ... صمت لبرهة من الوقت فنظرت إليه قائلاً:

لم توقفت؟

لقد تذكرت ما حدث لا أريد أن أفقدهم في غمضة عين... فأجلس طول العمر بائساً مثلك أريد الموت أكثر من الحياة ...

في صباح اليوم التالي لم يخرج ... ناديت فلا مجيب ... دخلت عليه..
قد مات ... لم أبكِ إنما حسدته ...

-٦-

واحدة من أكثر بقاع الكون عزلة وبعداً كوكب حديث النشأة
نسبياً لم تمسسه يد الحضارة بعد (فهو بكر) وعلى حافة أحد
الأنهار مجموعة من المخلوقات العاقلة تجلس في دائرة ضخمة
يتوسطها شجرة عملاقة تضيء بألوان مختلفة بشكل غريب عجيب
كأنها هي نبضات قلب تأتي من جذورها بلون أبيض صافٍ حتى
تصل إلى قمته متقلبة بألوان عديدة ...

يحركون جزوعهم يمنة ويسرة في إيقاع رتيب بطيء مشكلين لوحة
جماعية كأنها هم صوفيون في حلقة ذكر يتمتمون بعبارات غريبة
وأصوات أغرب فهي مزيج من فحيح الثعابين وزئير الأسود ...
حليقي الرأس منقوش عليها كلمة بلغة عجيبة غريبة بلون أسود
قاتم، عراة صدورهم وقد بدت القوة عليهم، جلودهم أعجب ما
فيهم، زاهية حد الشفافية فأنت ترى عروقهم بوضوح...

منعزلين عن الكون كله منقطعين عنه زاهدين ما فيه راغبين عنه،
حياتهم أقرب لحياة الملائكة يكفيهم القليل من الزاد مما يبقى
أجسامهم في الطور الأدنى من الحياة ولا يعرفون النوم إلا لمأماً،
يطلقون على أنفسهم رهبان الغفتاي ...

تخترق سماء الكوكب سفينة فضائية بعد سفر طويل توقفوا قليلاً
قام أربعة منهم وأكمل الباقي ما هم فيه ... تتجه السفينة إلى
بقعة قريبة منهم ثم تهبط في هدوء ساكنة في مكانها ولم تمض

بضع دقائق حتى فُتح بابها وفي داخلها خرجت من أحد أركانها سبعة أسطوانات كبيرة الحجم نسبيًا ثم فتحت أعطيتها كاشفة عن ستة أشخاص وطفل صغير حديث الولادة ...

تقدم الأربعة إليها وحمل أحدهم الطفل وخرج به وبدأ اثنان منهم في إخراج البقية بالتتابع وتوجه الأخير إلى أحد أجهزة السفينة يتعامل معه باحترافية شديدة ...

اقترب حامل الطفل من مبنى صغير يسمونه الغرفة المحرمة استقبله أحدهم آخذًا الطفل وأفل راجعًا إلى صحبه الأول بعدما أنهى عمله مع أجهزة السفينة ليعينا الآخرين على إخراج البقية منها ...

في الغرفة المحرمة كان الطفل يسبح في منتصفها على ارتفاع عده أمتار... مضاءة بلون فيروزي هادئ بلا مصدر تستطيع تحديده بدقة كأنما هواؤها هو مصدره ... في أركانها وبشكل دائري مجموعة من الرهبان في ملابس بيضاء زاهية تغطيهم من رؤسهم حتى أقدامهم يتحدث أحدهم بصوت خفيض نسبيًا والباقي صامت كالأصنام...

فتح الطفل عينيه كأنما يكتشف الحياة من جديد بدأ في صراخ وبكاء بشكل متقطع حتى غاب عن الوعي بعد وقت طويل عندها قام أحدهم وتوجه إليه حاملاً في يده قنينة صغيرة ذات شراب فسفوري اللون فاتحًا شفثيه برقة متناهية ساقياً إياه فتح الطفل عينيه منتفضًا شاهقًا في قوة مستمرًا في صراخه وبكائه واستمر الأمر طويلاً

فتح توماي عينيه في بطاء مؤلمة إياه بشكل كبير سرعان ما أغلقها
الآلام تكتنف رأسه بشكل يفوق الوصف أراد أن يتحرك لم يطعه
جسده مطلقاً وتناهى إلى مسامعه من يحدثه قائلاً:
بعد قليل سينتهي كل هذا.

يرفع رأسه بهدوء ويسقيه أراد المقاومة ولكن لم يقدر على شيء
وتجرع ما أسقاه رغماً عنه كان طعمه بشعاً في حلقه ولم يستطع
المقاومة أكثر فأفرغ ما في جوفه منه وتعجب أن أصبح قادراً على
فتح عينيه من غير ألم فتحها ورأى طيفه فوق رأسه يحدثه قائلاً:
هون عليك عما قليل ستصبح أفضل والآن انهض ولكن ببطء ...
أين الطفل الذي كان معي؟

جسده الضعيف لم يتحمل الرحلة الطويلة ...
هب واقفاً على قدميه والتي لم تتحمل فانكفاً على وجهه عند
قدمي محدثه الذي قال:

هون عليك هو بخير ولكن عظامه قد أصابها الهشاشة من طول
الرحلة والثبات الصناعي وهو الآن في الغرفة المحرمة والكاهن
الأعظم بنفسه يقف على علاجه.

ألقي جملته الأخيرة وهو يعينه على القيام مجدداً حتى يرجع إلى
مخدعه فقال توماي:

أريد أن أراه حالاً.

لا يمكن الآن.

نظر إليه في قوة وصرامة قائلاً بشراسة:

قلت أريد أن أراه حالاً أنا توماي القائد في الحرس الإمبراطوري

لإمبراطورية الساناي وأحد أقوى المحاربين في الكون على الإطلاق
أريد أن أراه الآن ...

تركه وهو يكمل من خلف ظهره:

سوف يأتي الكاهن الأعظم بعد قليل اهدأ وتأكد أنه في أيد أمينة .

ساعات مرت على توماي في قلق متزايد على ابن الإمبراطور ... صب
جام غضبه ولعناته على جسده الذي خذله للمرة الأولى في حياته
كمقاتل، ورويدًا رويدًا استعاد جزءًا من قدرته على الحركة وإن
كانت بشكل مؤلم نوعًا ما ولكنه تحامل على جسده ليخرج من
هذا المكان، ولم يكد يصل إلى المخرج حتى قابله كهل معمر كفيف
البصر يتكئ على عصاة أطول منه يمسكها بيديه الاثنتين وبدأ
توماي بالحديث في حده قائلاً:

أين ابن الإمبراطور؟

هو بخير الآن وعمما قريب ستراه ...

أنا هنا منذ ساعات وكلكم تخبروني أنه بخير وعمما قريب سأراه:
قاطعته في حده.

اقترب الشيخ منه في هدوء ووضع راحته على صدره ولم يكد يفعل
حتى أحس توماي بطمأنينة كبيرة ونعاس يهجم عليه فلا مفر
منه وأسلم في النهاية جسده إلى الأرض ونام قرير العين ...

اجتاز توماي ممرات القصر المؤدية للغابة الصفراء حاملاً المولود
بين يديه بينما تصله أصوات القتال من خلفه فيعتصر الألم روحه
ولكنها في النهاية رغبة الإمبراطور الذي أقسم على طاعته حتى
الموت ...

كانت الأحراش تغطي مساحة كبيرة من المنطقة المحيطة به قبل الغابة الصفراء ظل للحظات يتلفت حوله مترقبًا من أخبره قائد الجيوش بلقائه هنا ... سمع صفيراً متقطعاً من عدة أماكن مختلفة أدرك عندها أنها مجموعة قتالية يتبادلون الرسائل فيما بينهم تراجع للخلف ووضع الطفل خلف ظهره يحميه وشهر سلاحه مترقبًا ... ومن عدة أماكن مختلفة خرج ثمانية مقاتلين متسحين بالسواد مقتربين منه في تشكيل قتالي شاهرين أسلحتهم في وجهه واقترب أحدهم بشدة قائلاً:

كنا نتوقع كبير الكهنة وليس قائداً في الحرس الإمبراطوري ... ثم نظر إليهم فأخفضوا أسلحتهم جميعاً وقدم نفسه إلى توماي قائلاً: صوماي الحارس الشخصي لقائد الجيوش القائد شومتاي ولدي أوامر بحماية الطفل ومرافقه حتى الممات ... ظهرت علامات الارتياح على توماي وأخفض سلاحه قائلاً:

توماي قائد في الحرس الإمبراطوري والمسؤول عن حماية ابن الإمبراطور بتكليف شخصي منه..

نظر صوماي إلى رجاله قائلاً:

ليبق ثلاثة منكم لتأخير العدو إن حاول اللحاق بنا ...

ثم نظر إلى توماي قائلاً:

اتبعني سريعاً.

ضم توماي ابن الإمبراطور إلى صدره وانطلق معهم ولعدة دقائق قادمة سار الراكب في داخل الغابة الصفراء حتى وصلوا إلى منطقة خالية منها وتعجب توماي من عدم وجود السفينة وبدأ القلق

يساوره حتى رفع صوماي ساعده الأيسر وتعامل معه بأصابع يده اليمنى فظهرت السفينة من العدم وفتحت أبوابها....

استيقظ توماي فزعًا متلفئًا حوله وجد صوماي يتحدث مع رجاله سألهم عن الطفل فقال:

جاء به أحدهم إلى هنا منذ قليل لكي تراه ولكنك كنت نائمًا كالأموات ...

أهو بخير؟

نعم ولكنه مزعج قليلاً ... قالها مع ابتسامه مرحة عقد توماي حاجبه قائلاً:

لا تسخر من الإمبراطور ...

لم يتوج بعد مازال طفلاً صغيرًا.

هجم عليه توماي مكيلاً له عدة لكمات سريعة حتى كاد يفقده الوعي ولم يخلصه منه إلا رجال صوماي حينما رفعوه وكبلوا جسده بصعوبة بالغة صاح توماي في وجهه قائلاً:

لو سخرت منه ثانيًا سأقتلك.

أزاحهم جميعًا وخرج عنهم مبتعدًا وما كاد يفعل حتى التقاه أحد الكهنة قائلاً:

الكاهن الأعظم يريد أن يراك ...

سارا معًا في دروب ملتفة صعودًا إلى قمة ربوة عالية وجد عندها الكاهن الأعظم جالسًا وعلى قدميه ابن الإمبراطور أسرع توماي وانحنى أمامه يتفحصه ويطمئن عليه أخذه من الكاهن الأعظم ناظرًا إلى السماء صارخًا:

أطمئن أيها الإمبراطور لن يغيب عن نظري بعد الآن سأفديه بروحي.

ابتسم الكاهن الأعظم وقال بصوت وقور:

أنت مخلص يا توماي... وأشار إلى الطفل قائلاً:

هذا وريث عرش الساناي وهو الأحق به ... صمت قليلاً ثم وضع كفه على كتف توماي وكأما ينظر لعينيه قائلاً بصوت مشفق:

هناك طريق طويل لا بد لك من اتباعه معه ... خطة محكمة وضعت له خصيصاً منذ زمن بعيد في حالة استيلاء عمه على الحكم كنت شاهداً عليها وهي أبعد من مجرد الحفاظ على حياته ...

وهل هناك ما هو أبعد من الحفاظ على الإمبراطور؟ توماي مقاطعاً بغلظة.

نعم ولكن لم يحن الوقت بعد فأنت والصبى لن تغادرا هذا الكوكب قبل خمسة وعشرين عاماً من أعوام الساناي أي ستون عاماً هنا؛ حتى يبلغ الطفل أشده ثم ترحلون لخوض غمار رحلة شاقة وعظيمة ليصبح في النهاية إمبراطوراً على كل الساناي ... ستون عاماً هنا بينكم أي حماقة تتفوه بها يا هذا بل أي جنون هو؟ توماي صارخاً.

اهدأ الآن صراخك هذا لن يفيد ما وقع قد وقع وليس هذا إلا نتاجاً لأفعال موتاي الخائن سأرحل الآن لفترة صيامي ستبدأ غداً وبعدها لنا حديث طويل جداً ...

أراد توماي أن يعقب بشيء ولكن الكاهن الأعظم لم يمهله لذلك بل

أعطاه ظهره راحلاً...

اتسعت عينا توماي في ذهول لما حدث أمامه وسمعه منذ قليل كان في البدء يظن أنه قادم لكوكب مليء بالمحاربين فيجمعهم وينطلق بهم من فوره إلى الماي ليقتل موتاي الخائن وينصب ابن الإمبراطور إمبراطوراً وتُحكَم الإمبراطورية من خلال مجلس القادة كما هو متبع في مثل هذه الحالات، ولكنه اصطدم بوجوده على كوكب مليء بالكهنة، والتي لا تفعل شيئاً في حياتها غير العبادة ... بلغ منه الغيظ والحنق مبلغاً عظيماً فمكث عدة ساعات قادمة لا يفعل شيئاً غير إطلاقه السباب واللعنات على شومتاي وموتاي وكهنة الغفتاي بل وحتى صوماي ورجاله ولم يستثني نفسه في النهاية ...

وصل السباب مسامع صوماي ورجاله ونظروا إليه في صرامة مصتعة فأمسك فكه مبتسماً فانفجروا جميعاً في ضحك هستيري ...

-v-

قل خروج محمد من بيته كثيراً ورأى الناس منه أموراً لم يعهدها
منه من قبل، فإن سار بينهم كان شارد الذهن مشتت الرأي وإن
تقدم إماماً تلعثم في قراءته وإن جالسهم حدثهم بما لا يفقهون ولا
يدركون ... كان غريباً بينهم ...

في ليلة صافية أربعة من الرجال يحوطون حطباً مشتعلًا بدأ أولهم
الحديث قائلاً:

ما باله الشيخ محمد قد انقطع عن مجالسنا وإن جالسنا حدثنا
بأمور غريبة وسأل أسئلة أغرب لقد سمعته بالأمس يسأل الناس
عما وراء السماء أليس الله فوق السماء؟

لا أدري بالله يا رجال ولكنني رأيته بالأمس خارجاً من داره ...
أخفض صوته وتلفت حوله بلا مبرر واضح مكملًا: يتحدث بصوت
عالٍ كأنما يحدث الهواء ولم أستطع تبيان حديثه ...

إننا لله وإن إليه راجعون ماذا حدث له لقد كان من خيرة الشباب
ولكن أليس السؤال عن أمور كهذه من أفعال الشياطين والجن
فهى كفر؟

لربما هو مس من الجن أو تلبس من الشيطان (أعوذ بالله العلي
العظيم ... بسم الله الحافظ ... بسم الله المغيث)

الجن ولم لا ... رحم الله أبي لقد قال لي يوماً: إن الشيخ عبد المجيد
هذا الذي توفي منذ عدة أسابيع ...

رحمه الله...

قال إنه في شبابه قد أخبرهم أن أحدًا يظهر له في صورة إنسان ويحدثه ويخبره بأمور غريبة عن الجنة وما فيها ...
نعم والله لقد سمعت أبي أيضًا يقول هذا ...

إذا كيف انتهى الأمر عند الشيخ عبد المجيد رحمه الله؟

يقولون إن الجنى قد تلبس به فلم يعد يظهر له وبدأ يتحدث بلسانه ويخبر الناس عن أمور غريبة جدًا لم يصدقها أحد وفي النهاية اضطروا إلى حبسه في المسجد بل وربطه إلى أحد أعمدته حتى يخرج منه ...

وهل خرج؟

نعم يقولون بعد ثلاثة أيام لم يعد يتفوه بأي أمر غريب وأصبح طبيعيًا مثلهم ...

أتدرون أن الشيخ عبد المجيد قد ربى محمد في صغره بعد أن مات أبواه ...

نعم صحيح لم غابت عنا معلومة كهذه، لربما خرج الجنى من عبد المجيد ثم تلبس محمدًا وهو صغير وظهر الآن ...
أقسم بالله أن جنينًا يتلبسه (بسم الله الحافظ ... بسم الله الحافظ ... الحافظ ... بسم الله الحافظ)

ولأسبوع قادم انتشر الخبر بين الناس كالنار في الهشيم وهو السبب في كل ما آل إليه أمره ... بدأ يدرك الأمر من تجنب الناس له وبعدهم عنه بل وفرارهم منه حتى إمامة الصلاة لم يمكنوه منها... فاعتزل بيته واشتد الأمر عليه ولم يجد بدءًا من إكمال الطريق إلى النهاية طريق لم يختره لنفسه بل فرض عليه ...

الجزء الثاني (الرحلة الأولى)

كان اكتشاف المايكا فتحًا عظيمًا للبشر ولمشروع اكتشاف الفضاء طويل الأمد ولكنه دق ناقوس الخطر في القلوب هناك أقوام غيرنا في هذا الكون الفسيح، ولربما اصطدم البشر بحضارة أقوى وأكثر تقدمًا فنشأ مشروع الأسطول الفضائي وكان الهدف منه أولاً: حماية المصالح التجارية للأرض من أي تهديد، ثانيًا: الدفاع عنها في حالة هجوم من حضارة متقدمة أخرى... وبجانب مشروع الأسطول الفضائي تم تصميم سفن حربية فضائية لاكتشاف الفضاء وكانت أولى السفن هي الفلك ...

ومن هنا تبدأ قصة يوسف أمير (اختفت صورته وعرضت الفلك ما رآه محمد من قبل لا يساوي شيئاً مما يراه الآن اتسعت عيناه بشدة وفغر فاهه فأمامه أعظم سفينة فضائية شيدها الإنسان يوماً إنها الفلك) أكمل قائلاً:

بلغ من ضخامتها أن بنيت قطعها المختلفة على الأرض وجمعت في الفضاء لخشية المهندسين من تأثير محركاتها على حركة دوران الأرض حول نفسها، تسع الفلك لثلاثمائة ألف شخص من العاملين عليها وملايين أخرى في حالة الإخلاء الشامل (كان المشهد ينتقل بين أجزائها الخارجية عارضاً مدافعها العملاقة في المقدمة ومحركاتها الضخمة في المؤخرة... أضفى لونها الأسود مزيداً من الرهبة تبعث في النفس الفخر والاعتزاز والشفقة على من سيلقيه حظه العاثر

أمامها)...وكان أول وآخر قائد لها هو القائد يوسف أمير ورغم أن عمره تجاوز الثلاثين بقليل ولكنه كان الأجدر بقيادة الفلك وهو الذي أطلق عليها اسمها الفلك مستعيراً إياه من قوله تعالى
 (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ)
 لقمان (٣١)...

كان محمد منبهراً حد الصدمة ولم يدرك أن الصوت قد اختفى منذ برهة من الوقت فانتبه ذلك معقّباً:
 هل انتهى الجزء الثاني؟

لا ولكن مؤشراتنا تقول إن نشاطك العقلي زاد عن الحد الطبيعي للاستيعاب، ولن يكون بمقدورك تلقي المزيد من المعلومات ... وهل هناك ما هو أكثر تأثيراً مما رأيت على عقلي وقلبي؟
 بالتأكيد ...

ما الحل إذا؟

لا بد لك من أن تتعلم العلوم الأساسية والتي بنيت عليها كل ما رأيت وسمعت فيصبح الأمر أسهل بالنسبة لك ...
 ابتسم محمد في سخرية شديدة قائلاً:

أظن أن أمراً كهذا قد يستغرق منا آلاف السنين من تراكم العلوم ...

لا بل بإمكانك أن تتعلم في غضون بضع ساعات فقط، بل بإمكانك أن تريح نفسك من طول الانتظار لتسمع القصة كلها ...
 وكيف ذلك؟!

ما عليك إلا أن تضع يدك على المكعب حينما يتحول لونه إلى

اللون الأخضر في النهاية القرار يعود لك ...
 اختفى المجسم الهولوجرامي من أمام محمد وتحول لون المكعب
 للون الأحمر لعدة لحظات ثم إلى اللون الأخضر تردد محمد
 كثيراً قبل أن في النهاية اتخذ القرار ولم يكذب يفعل حتى انتفض
 جسده كأنها ألف ألف صاعقة أصابته وبدأ جسده بالاهتزاز بشكل
 عنيف جداً عيناه مفتوحتان وتتحركان يمنة ويسرة بسرعة غريبة
 ثم أغمضها بقوة وإن ما زالت تتحرك ... سقط معشياً عليه ويده
 على المكعب وهو يومض بهدوء متنقلاً بين الأحمر والأخضر ...
 تحررنا من القاعدة المحرك الرئيسي يعمل بطاقة ٣٠٪، المحركات
 الاحتياطية متوقفة، أجهزة الملاحة تعمل جيداً الوجهة النجم
 بروكسيما سنتوري المسافة ٤,٢ سنة ضوئية زمن الرحلة أحد عشر
 شهراً ...

نطق بها ضابط الملاحة على الفلك وتوالت العبارات من الضباط
 المسؤولين عن كل قسم تؤكد جاهزية الفلك للسفر ... نظر الضابط
 التنفيذي إلى يوسف قائلاً:
 السفينة على أهبة الاستعداد ...

ارفع طاقة المحركات إلى مئة في المئة أريد تقرير حالة المحرك كل
 ساعة ... يوسف مخاطباً الضابط التنفيذي والذي عقب بقوله:
 أظن أنه من الخطر رفع طاقة المحركات إلى مئة في المئة الآن
 سيدي القائد ...

لا تقلق المسافة قصيرة من هنا إلى المايكا وأريد أن أصل به إلى
 الطاقة القصوى لتحديد أي خلل أو أخطاء قد تفاجئنا مستقبلاً

فنستطيع علاجها في فترة توقف الفلك هناك ...

نقل الضابط التنفيذي الأوامر إلى ضابط الملاحظة

وحيثما اطمأن يوسف أن الوضع مستقر قرر أن يأخذ جولة سريعة داخل السفينة؛ ليطمأن أن كل شيء يسير بشكل صحيح، وجه أوامره إلى الضابط التنفيذي بتسلم القيادة ريثما يعود.... انتهت الرحلة على خير دون حدوث أي خلل أو مشاكل داخل الفلك ...

يوسف أمير أحد أكبر الضباط كفاءة في وكالة الاستكشاف الفضائي من عائلة عسكرية رفيعة المستوى، أبوه الفريق أمير سيف الدولة كان قائدًا بحريًا، وجدده المشير سيف الدولة مجاهد كان قائدًا عسكريًا متميزًا وشارك في حروب كثيرة وجدده لأمه هو الفريق أول ثابت موسى كان رئيسًا لهيئة الأركان العامة ... يتميز بدمائة الخلق وصرامة الشخصية والذكاء العالي متوسط القامة عريض المنكبين قوى البنية أسود الشعر عريض الجبهة واسع العينين أسودهما ألقى الأنف واسع الفم

السفينة تقترب من مدار كوكب المايكا وبدأ عد تنازلي... أعلن الكمبيوتر الداخلي للسفينة نهاية الرحلة...

بدأ يوسف استعداداته للهبوط إلى القاعدة الأرضية الرئيسية على المايكا مع مجموعة من العلماء والضباط.... كانت لدي يوسف مهمة أخيرة قبل البدء في الرحلة الاستكشافية الأولى وهي اختيار بعض الضباط المرشحين للعمل على الفلك ...

لست معتادًا على إلقاء المحاضرات أو حتى تقديم التقارير الشفهية ولكن سأحاول أن لا أبعدوا كالأحمق.... حينما بدأت تصميم الفلك

كانت هناك تصور ما في عقلي ولكن بعدما انتهينا كانت أعظم وأجمل مما تخيلتها... كان التصور الأولي هو تصميم سفينة استكشافية مسلحة تكون قادرة على البقاء في الفضاء لمئات الأعوام دون الحاجة للرجوع إلى الأرض مطلقاً سفينة مستقلة ذاتياً ببساطة كنا في حاجة إلى بناء كوكب من المعادن؛ ليستطيع البقاء كل تلك الفترة في الفضاء مع شرط أن يكون سريع الحركة والمناورة بشكل كبير ومسلحاً أيضاً كانت معضلة كبيرة ... بدأنا من الصفر من القلب، قلب الفلك النابض كما نسمية وببساطة دون الدخول في تعقيدات فيزيائية هو كرة من المعدن السائل ذات كثافة عالية نسبياً تدور حول نفسها بسرعات كبيرة جداً وله هدفان رئيسيان، الأول: هو توفير الحماية المباشرة لأفراد الطاقم من الجسيمات ذات الطاقة الكبيرة المنتشرة في الفضاء دون الحاجة إلى تركيب دروع إضافية للسفينة تقلل من قدرتها على المناورة والسرعة، الهدف الآخر: هو خلق مجال جاذبية منفصل عن باقى الأجرام السماوية، وأهداف أخرى أقل في الأهمية (وبداية بقلبها النابض أنشئت جميع الأقسام المختلفة حوله أولها القسم التقني وهو المنوط به دراسة الظواهر الكونية المختلفة وحل المعضلات العلمية والظواهر الغريبة التي تواجه الطاقم الإستراتيجي للسفينة ثم قسم الاكتفاء الذاتي فيه يتم إنتاج الغذاء بالإضافة إلى المستشفى ثم بعد ذلك غرف نوم وقاعات الترفيه والصلاة للطاقم على اختلاف أهميتهم ورتبهم) وهذا هو القسم الأوسط من السفينة المقدمة تحوي غرفة القيادة وقاعة الاجتماعات الرئيسية وهيئة الأركان ومنصات الإطلاق للأسلحة

الأمامية لها بالإضافة إلى المدفع الرئيسي لها المسمى مدفع الموت (لقدرته التدميرية العالية وهو يعتمد على دفقات من الطاقة الصافية واستخدامه يؤدي إلى فقد كبير في الطاقة بالإضافة لخروج بعض الأقسام عن الخدمة المؤقتة لمدة تزيد عن الأربعة والعشرين ساعة لذلك لا يستخدم إلا في حالات خاصة) أما مؤخر السفينة فيحتوي على المحرك الرئيسي (محرك الطاقة المضادة وتصل سرعته إلى خمسة مليارات كم في الساعة) وتحتوي السفينة كذلك على محرك خاص جداً وهو محرك الفقاعة كما يسمية المهندسون (محرك الإعوجاج الزمكاني يقوم بخلق تشوهات في النسيج الزمكاني لإعطاء السفينة قدرة على السفر بسرعات تتجاوز سرعة الضوء بكثير. المشكلة الوحيدة هي ظاهرة تمدد الزمن الناشئة عن استخدامه) ويحتوي أيضاً على مفاعلين نوويين بتقنية الاندماج النووي لتوفير الطاقة للأقسام المختلفة للسفينة. الجزء الأخير في مؤخر السفينة هو رصيف التحميل أو المهبط الفضائي أو مدرج، سمه ماشنت، ولكن على الفلك يسمى رصيف التحميل يحتوي على أكثر من ثمانين ألف طائرة مقاتلة صغيرة وعشرة آلاف حوامة نقل لديها القدرة على اختراق الغلاف الجوي للكواكب بالإضافة إلى أربع طائرات فائقة السرعة آخر جزء في الفلك هي محطة توليد المياه وهي تدمج الأكسوجين الناتج من قسم الاكتفاء الذاتي مع الهيدروجين المنتشر بكثرة في الكون وتضيف بعض العناصر الأخرى لينتج ماء صالح للشرب يبلغ طول الفلك حوالي أربعين كيلو متر وعرضها خمسة وعشرون كيلو متر وطولها خمسة عشر كيلو

متر.. والآن هل لدى أحدكم أي استفسار أو أسئلة؟ كانت محاضرة مختصرة ألقاها المهندس سليم نور الدين أحد اثنين قاما بتصميم الفلك والإشراف على بنائها من الصفر في مجموعة ضخمة من السودون المرشحين للانضمام لها...
قام أحد الجالسين أمامه قائلاً:

الضابط ثيتال محب الله ضابط مقاتل من الفرقة الأولى على المايكا ومرشح للانضمام إلى الفلك في البداية أود أن أشكر سيادتكم على ما قدمتم ولي سؤال واحد من خلال الكتيب الذي وزع علينا، ذكر وجود فرق من الجيش على متن الفلك أين توجد قاعات التدريب للجنود والضباط الملحقين بالفلك؟

سؤال جيد ... ظهر السفينة هو المقر لكل الجنود والضباط والطيارين العاملين على الفلك ثكنات نومهم وأماكن تدريبهم وتم توفير محاي للبيئات المختلفة التي من الممكن أن يواجهوها بتأثيراتها البيئية.
قام آخر سائلاً:

المهندس صفي الدين قاتين مهندس محركات فائقة، ما الفائدة من وجود فرقتين كاملتين من الجيش بمعداتهم وأسلحتهم على متن سفينة استكشافية في الأساس؟

سؤال جيد آخر ... ولن أعطيك إجابة مباشرة ولكن تخيل معي أن يخرج مجموعة من العلماء لجلب عينات أو إجراء دراسة ميدانية على كوكب صالح للحياة ثم يكتشفون وجود جنس عاقل لديه ميول عدوانية شديدة أو حتى بيئه عدوانية ... سوف تكون خسارة

كبيرة ...

هذا بالنسبة للجيش وما فائدة وجود هذا الكم الهائل من الطائرات المقاتلة؟

المهمة الأساسية الحفاظ على جسم السفينة الخارجي وحمايته من أي أخطار قد تواجهها بالإضافة إلى الميزة الإستراتيجية لها إن حدثت أي مواجهة بينها بين أي حضارة أخرى متقدمة ... إجاباته كانت بقدر معلوماته ولكن هناك مهمة أخرى للفرق العسكرية ... حينما انتهت الأسئلة قام يوسف قائلاً:

بعد أسبوع واحد من الآن ستغادرون كوكبكم لربما إلى الأبد ستواجهون المجهول وأخطاراً لم يواجهها أحد من قبل، سنعتمد جميعاً على أنفسنا فلم يبلغ أحد قبلنا في تاريخنا المشترك ما سنبلغه ... ويومًا ما لربما جلسنا معًا نحكي ما واجهناه من أخطار ومصاعب ونترحم على هؤلاء الذين قضوا ... أيها السادة اذهبوا إلى عائلاتكم واجلسوا معهم، ودّعوهم بالضحكات ولا تودعوهم بالدموع لربما لن تروهم مجددًا لتكون آخر ذكرى لكم عندهم ومن لم يقدر على تركهم فلا لوم عليه ...

لم يكد ينتهي حتى أدى التحية العسكرية لهم في قوة ... وانصرف الجميع واختلى يوسف بنفسه في إحدى الغرف يراجع ملفات بعض المرشحين للمناصب القيادية في الفلك وفي نفس الوقت كان يراجع المعلومات التي يعرفها عن تاريخ الأرض مع المايكا ...

المايكا هو أحد توابع النجم بروكسيما سنتوري أو قنطور الأقرب وهو أضخم من الأرض بهرتين على الأقل له قمر واحد تمثل

اليابسة عليه ربعه تقريبًا ولكنها في المساحة تفوق اليابسة على الأرض والباقي عبارة عن بحار ومحيطات ويعتبر ذا بيئة هادئة نسبيًا ورغم أنه أقرب لشمسه من الأرض ولكن متوسط درجات الحرارة فيه أقل من مثيلاتها على الأرض ونسبة الأكسوجين أقل من نسبتها على الأرض وتتكون اليابسة من قارتين كبيرتين متصلتين بشريط ضيق عرضة في أقصى اتساع له واحد كم وطوله ما يقرب من خمسمائة كم وتكون الغابات نسبة ٧٥% من اليابسة كما يحتوي على مناطق فائقة الجمال والروعة (فيما بعد أصبحت مناطق سياحية من الدرجة الأولى)...

السودون جنس بدائي إلى حد كبير رغم أن الدراسات فيما بعد أثبتت أنهم موجودون منذ آلاف من السنين وهو ما حير العلماء في البداية ... مصطلحات كالطمع والحسد والغرور (وهي بالمناسبة الأساس النفسي لكل حضارة متقدمة) لا يعرفونها وليس لديهم أدنى اهتمام بالتدبر والتفكر فيما حولهم من ظواهر طبيعية (لذلك لم تتطور لديهم العلوم) وبالرغم من ذلك فهم يتحدثون لغة متطورة وليس لها تشابه أو جزر أرضي من قريب أو بعيد ... لم يكن لديهم تقويم أو تاريخ للأقدمين بل هي حكايات تقترب من الأساطير يتوارثونها جيل بعد جيل ومن الظواهر الغريبة هي أن دورة الحياة لديهم طويلة جدًا تقترب في المتوسط من المئتي عام والإناث (واللاتي لا تستطيع أن تفرق بينهم وبين الذكور إلا بضخامة أعينهم فقط) لا تنجب أكثر من طفلين فقط طوال مدة حياتها كحد أقصى. ويتوفر السودون على قوة مفرطة وأجساد شديدة وحواس شبه خارقة

مقارنة بالبشرومن عجائبهم أيضاً أنه حينما يصل الشاب إلى سن الخامسة والعشرين يتوقف نموه الجسدي ولا يطرأ أي تغيير عليه طوال حياته القادمة، ولا تستطيع أن تفرق بالشكل الظاهري بين الكبير والصغير منهم ولا يدفنون موتاهم بالشكل الذي يعرفه البشر وإنما يغطونهم بالصخور فوق الأرض ثم يلقون عليها نوعاً من الزيت ... يعيشون في أكواخ جدرانها من الصخور وأسقفها من الزجاج !!! (من الأمور المحيرة أيضاً فرغم بدائيتهم فإنهم ماهرون جداً في صناعة الزجاج واستخلاصه من الرمل وتشكيله كما يشاؤون، ولا يقتصر الأمر على بعضهم بل كل السودون، والأكثر حيرة أنهم لا يتعلمونه فيما بينهم فحينما يصل الفرد إلى سن العشرين عامًا يصبح فجأة ماهراً في صناعته !!! و يقتصر الأمر على الذكور فقط) يسع الكوخ الواحد ما بين عشرة إلى خمسة عشر فردا ولكل كوخ سيد ... والسودون يعرفون الزراعة ولكن اعتمادهم الأساسي على الصيد؛ لما يتوفر على الكوكب من ثروة حيوانية وسمكية كبيرة. ملابسهم من لحاء الشجر ويطعمونه بقطع من الزجاج صغيرة الحجم ورغم ذلك فهي لاتعيق عملهم اليومي وذات ليونة عالية !!!(يقوم بصناعة الملابس الإناث ومثل الذكور فإن كل الإناث حينما تصل إلى سن الخامسة عشر فإنها تصبح ماهرة في حياكة الملابس ويستخرجون بأنفسهم اللحاء من جزوع نوع معين من الأشجار على هيئة خيوط طويلة ورفيعة جداً باستخدام آلات من الزجاج الحاد !!!)

عندما وصل أهل الأرض إلى المايكا ظن السودون أنهم آلهة بما

يملكون من آلات غريبة وتقنيات متطورة (لقد هبطوا إليهم من السماء) وبعد أن درس العلماء المصاحبين للحملة الاستكشافية الأولى لغة السودون، وبدأ التواصل الحقيقي بين الطرفين أدرك البشر أن السودون يؤمنون إيمانًا شديدًا بأن مهمتهم هي خدمة الآلهة أو السادة. وتقول الأسطورة المتأصلة في وجدانهم أن السادة قد غضبوا عليهم سابقًا ورحلوا عنهم عقابًا لهم (فلا قيمة للحياة إلا بخدمة السادة) وسيأتون يومًا ما بعدما يزول هذا الغضب ... وحينما بدأ العلماء بالتوسع في اكتشاف الكوكب من الناحية الجيولوجية اصطدموا بمفاجأة كبيرة ... آثار حضارة غاية في التقدم والرقي ووضعت فرضية تقول إن السودون ليسوا إلا مخلوقات معدلة وراثيًا لخدمة هذه الحضارة، والتي لم يكن هناك سبب واضح لتركهم الكوكب، وإن لم يكشف تحليل الحمض النووي لهم عن مؤشرات تشير إليها ولا السبب في قضية التعلم المفاجئ لصناعة الزجاج أو الحياكة... (اعتبرت هذه المعلومة سرية للغاية ولا يطلع عليها إلا عدد محدود من البشر لايزيدون عن أصابع إسد الواحدة) ... اكتشف على المايكا مخزون هائل من المعادن النفيسة كـ (الإيريديم , الرينيوم , البالاديوم , الروديوم) بالإضافة إلى كميات هائلة من الحديد والنحاس والرصاص والعديد غيرها من المعادن التي تدخل في الكثير من الصناعات الإستراتيجية، واحتوت آثار الحضارة الغامضة على معدن شديد الصلابة بشكل خارق خفيف الوزن بشكل مذهل وبكميات كبيرة نوعًا ما لم يستطع العلماء تحديد ماهيته بشكل دقيق، وإن توصلوا إلى أنه خليط

من الحديد والنحاس والألمونيوم ومعدن آخر غامض (أستخدم فيما بعد في صناعة السفن الفضائية) وسمي بالمعدن الخارق

تعامل السودون مع البشر بشكل جيد بصورة عامة ولم يجد البشر أى مقاومة منهم بل على العكس تعاونوا معهم بشكل يفوق الوصف بل ومع ازدياد القيمة التجارية للمايكا لم يحتج البشر لنقل أعداد ضخمة منهم إلى هناك للعمل في التنقيب واستخراج المعادن لقد قام السودون بالعمل على أكمل وجه، في المقابل لم يعامل البشر السودون باحتقار أو دونية بل على العكس لقد غرسوا فيهم قواعد الحرية والعدالة وعلموهم أن للكون ربًا واحدًا هو الخالق له والمتصرف فيه وهو من تجوز له العبادة دون غيره ...

بعد قرنين من اكتشاف المايكا قرر البشر الاستفادة من القدرات الجسدية الخاصة للسودون في الحملات الاستكشافية القادمة بالعمل على تنشئتهم تنشئة أرضية خالصة (تعلموا اللغة والدين والعلوم الأرضية) ليصبحوا فيما بعد جنودًا وقادة وعلماء ومهندسين بل وقاد السودون رحلات استكشافية وإن لم تكن طويلة الأمد

بعدها بخمسة أيام:

كانت الاستعدادات على أشدها في المهبط الفضائي الخاص بالقاعدة الأرضية الرئيسية على المايكا، سفن الشحن يجري تزويدها بالعديد من المعدات الخاصة بالسودون وحوامات النقل تقوم بنقلهم إلى الفلك ... في الوقت الذي وقف فيه عدد ضخم من السودون يودعون أبناءهم وإخوانهم الراحلين ...

انتباه ...

صرخ بها جندي التأمين في حجرة القيادة في الفلك معلناً وصول يوسف إليها وكان أول ما فعله أن وجه رسالة إلى كل طاقم السفينة قائلاً:

أيها السيدات والسادة بعد ثمانية وأربعين ساعة من الآن ستبدأ مهمتنا الحقيقية سنكتشف الكون سوياً، سنبحر حيث المجهول سنغوص في أعماق الكون لن يساندنا أحد مطلقاً سنكون وحدنا تماماً ولربما لانرجع أبداً إلى الديار المغامرة ستكون كبيرة وأما الجائزة فهي المغامرة نفسها هي الرحلة في ذاتها ... لينظر كل منكم جيداً إلى من بجانبه لينظر في عينيه مباشرة ويستمد منها قوته ليستمد عظمة وحدتنا كأننا جسد واحد ... انتهى

أنهى يوسف حديثه ناظراً إلى الضابط التنفيذي قائلاً: أجمع هيئة الأركان وعلى ضابط الاتصالات تولى القيادة ...

هيئة الأركان على الفلك تتكون من:

القائد: الأميرالي يوسف أمير (رتبة الأميرالي تعطى لقادة السفن الاستكشافية وقادة الأسطول وهي أعلى رتبة عسكرية في الفضاء لا يفوقها إلا القيادة على الأرض).

النائب الأول من البشر: الضابط التنفيذي عميد سليمان داوود.

النائب الثاني من السودون: الضابط التنفيذي عميد سيمال شاتان.

رئيس هيئة الأركان العامة: الجنرال أركان حرب عبد الله سالم.

قائد القوات الجوية: الجنرال طيار آغا محمد.

رئيس هيئة أركان القوات الجوية: العميد طيار أركان حرب خالد هشام.

قائد القوات البرية: الجنرال سيف الدين شاهين.

رئيس هيئة أركان القوات البرية (من السودون): العقيد أركان

حرب تالون خير الدين.

قائد الشرطة: العميد قابيل عز.

كبير الملاحين على السفينة: الدكتور عبد الرحمن ذو الفقار.

كبير الفلكيين على السفينة: الدكتور يونس فرحان.

كبير المهندسين: سليم نور الدين.

كبير العلماء: الدكتور جلال شهاب.

بدأ الاجتماع داخل قاعة الاجتماعات وهي عبارة عن قاعة ضخمة

مستديرة الشكل في منتصفها طاولة كبيرة الحجم مستطيلة على

رأسها جلس يوسف وعن يمينه الهيئة المدنية لهيئة الأركان بداية

من الدكتور جلال ثم الدكتور يونس والدكتور عبد الرحمن وفي

النهاية المهندس سليم وعن شماله الهيئة العسكرية بداية من

رئيس هيئة الأركان إلى قائد الشرطة وجلس فيه رؤساء هيئة

الأركان الفرعية خلف قادتهم بمسافة قصيرة وجلس فيه الضابطان

التنفيذيان خلف يوسف مباشرة....

بدأ يوسف الاجتماع بقوله:

أيها السادة أريد تقريراً موجزاً عن المشاكل التي واجهتكم خلال

الرحلة من الأرض إلى المايكا لم أطلع عليها سابقاً.

تنحى المهندس سليم قائلاً في ارتباك:

واجهتنا بعض الصعوبات في المفاعل النووي الثاني جعلنا نخرجه

من الخدمة مؤقتاً منذ الساعة الواحدة بتوقيت السفينة ...

تبادل الجميع نظرات قلق شديدة وبدأت أمارات الانزعاج على الوجوه فأردف قائلاً:

نظم الأمان تجعل من المستحيل حدوث أى تسرب إشعاعى أو انصهار لقلب المفاعل كل ما فى الأمر أن إمدادات الماء احتوت على الكثير من الشوائب؛ وذلك بسبب خلل فى عملية التقطير وأثرت على حرارة المفاعل ففضلت ألا أخطر ريشما يتم إصلاح الخلل... بدت أمارات الارتياح على الوجوه وأردف يوسف قائلاً:

متى يتم الانتهاء من الإصلاحات ...

فى غضون عشر ساعات من الآن ...

حاول أن تنتهوا فى وقت أقرب من ذلك حتى يتم اختبار المفاعل قبل بداية الرحلة للتأكد من صلاحيته للعمل وإخباره...

أوماً سليم برأسه ونظر يوسف إلى الجميع قائلاً:

القيادة المركزية حددت عدة أماكن رئيسية لاكتشافها ورأيت أنه من الأفضل أن يدرس الدكتور يونس والدكتور عبد الرحمن جميع المناطق وإيفادنا بتقرير مفصل عنها ... نظر إلى الدكتور يونس قائلاً:

تفضل.

وقف الدكتور يونس وتوجه مباشرة إلى الجهة المقابلة من الجميع ثم أخرج من جيب سترته بطاقة ممغنطة مررها فى الهواء انخفضت إضاءة القاعة تدريجياً وأمامه تكونت خريطة مجسمة لجزء من مجرة درب التبانة مقسمة لعدة أقسام كل قسم اصطبغ بلون مختلف وبدأ الدكتور يونس بالتوضيح عليها قائلاً:

هناك منطقتان وردت في تقرير القائد يوسف أمير لنا، الأولى: تقع داخل قوس افتراضي ضخم مركزه المايكا بطول قدره خمسة آلاف سنة ضوئية مقسم إلى ثمانية مناطق رئيسية ثلاث منها تحتوي مجموعات شمسية احتمال وجود كواكب صالحة للحياة عليها تتعدى الخمسين في المائة، المناطق الأخرى تحتوي على أجرام سماوية مختلفة يجب دراستها ورصدها عن قرب حسب تقرير القيادة المركزية على الأرض، ولكن عند مناقشة الأمر مع الدكتور عبد الرحمن وفريقة وجدنا أن المنطقة الثانية ستكون بداية جيدة للرحلة الطويلة، اعتماداً على قربها النسبي من الأرض والمايكا في نفس الوقت، حوالي ستة سنوات ضوئية فقط تحتوي على مجموعة شمسية لنجم يسمى نجم السهم ولدينا من الدراسات ما يشير إلى احتمال وجود كوكب صالح للحياة هناك.

أنهى الدكتور يونس حديثه ثم أفل راجعاً إلى مقعده وساد الصمت بضع لحظات قبل أن يبدأ يوسف بتحريك أصابعه على الطاولة أمامه، والتي ترجمت إلى أسهم على الخريطة المجسمة أمامهم جميعاً وهو يقول:

المنطقة المحددة أمامكم لها الأولوية القصوى في الاستكشاف قبل غيرها، بل إن التقرير الصادر بخصوصها يتحدث عن ضرورة إرسال البيانات والمعلومات عنها إلى الأرض بشكل مباشر دون انتظار ... تبادل الدكتور يونس والدكتور عبد الرحمن نظرات يشوبها القلق قبل أن يتحدث الدكتور عبد الرحمن قائلاً:

سيد يوسف توجد لدينا مخاوف شديدة من الذهاب إلى تلك

المنطقة تحديداً؛ وذلك بسبب وجود تشويش غير مفهوم لهذه المنطقة تحديداً دون باقى الكون وشكوك حول وجود ثقب أسود أو أكثر لربما يكون هو السبب فى هذا التشويش ولكن بلا أدلة قوية ... اكتسى صوته ببعض العصبية ونظر إلى يوسف مباشرة محذراً بقوله:

سيد يوسف أستطيع القول إن تلك المنطقة مجهولة تماماً بالنسبة لنا، ولم تفلح أغلب مرادنا المختلفة فى الحصول على معلومات ولو ضئيلة منها ولا نملك أى معلومة قديمة مؤكدة عنها كل ما لدينا مجرد فرضيات لا أكثر ولا أقل ولكن الفرضية الأكثر ترجيحاً بالنسبة لى هى أن تلك المنطقة تقع بين ثقبين أسودين فائقي الكتلة يجذبان إلى بعضهما ومن الخطر الاقتراب من منطقة كهذه بل مجرد التفكير ربما يكون ...

أستطيع القول بأن ماتحدثت به منذ قليل ماهو إلا لوغاريتميات بالنسبة لى: الجنرال سيف الدين شاهين مقاطعاً لتخفيف حدة التوتر الذى طرأ بلا داعٍ تقريباً.

تنهد بقوة وخلع عنه نظاراته ونظر إلى الدكتور يونس قائلاً:

الدكتور يونس أفضل منى فى توضيح مثل هذه المسائل العلمية ...

قام الدكتور يونس من جديد إلى الخريطة ثم أشار إلى نقطة محددة منها تلونت بلون أحمر مباشرة قائلاً:

ما أشار له الدكتور عبد الرحمن بقوله الثقب الأسود فهو نجم عملاق انسحق على نفسه بفعل قوى عديدة أدت فى النهاية إلى تشكل جسم شديد الكثافة.. ملح نظرة غير مريحة على وجه

أغلب العسكريين فصمت قليلاً ثم قال:

تخيل معي الكرة الأرضية على ضخامتها وبكل ما عليها في حجم كرة صغيرة وبنفس الوزن وتدور حول نفسها بسرعة كبيرة جداً محدثة قوة جذب رهيبه لدرجة تمنع الضوء نفسه من الإفلات منها ... ظهرت علامات التعجب على وجه العسكريين مع بعض الذهول فأكمل قائلاً:

حينما بدأنا بدراسة تلك المنطقة ابتداءً اكتشفنا أنه لا توجد لدينا معلومات واضحة عنها في قواعد البيانات المتاحة من القيادة المركزية فبدأنا بالبحث في قواعد البيانات القديمة من بداية عصر الرصد الفضائي اكتشفنا أن تلك المنطقة أُشير إليها كثيراً باعتبارها تحتوي واحدة من أكثر النجوم لمعاننا في السماء، ومع التطور اكتشف وجود نجم ثنائي أحدهما كتلته أكبر من الشمس بمائة مرة، ويسمى فلكياً بعملاق فائق، والآخر أكبر بعشر مرات. وللأسف فخلال عصر الفوضى والتي شملت العالم كله لا توجد بيانات أو خرائط نجمية لتلك المنطقة من السماء مطلقاً، فبدأنا بمخاطبة الأرض والمايكا لرصد تلك المنطقة وإمدادنا بالمعلومات، ولكن ببساطة فإن ما جاءنا كان عبارة عن بيانات مشوشة وقررنا الاعتماد على مرصد الفلك الرصد البصري المباشر لا يقدم جيداً مرصد القياس (الأشعة السينية و الموجات الراديوية والأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء وأشعة غاما وموجات الميكروويف) لا تعطينا غير بيانات متضاربة لا تصل بنا إلى شيء محدد ببساطة هناك كم هائل من الفرضيات التي أستطيع أن أخبركم بها ولكن

ليس لدي معلومة واحدة أثق فيها أو أتثبت منها بشكل قطعي
الفرضية الأكثر قبولاً لنا جميعاً وهي ما تفضل به الدكتور عبد
الرحمن بوجود ثقبين أسودين فائقي الكتلة في تلك المنطقة وسبب
ترجيحي لها شخصياً ما لدينا من معلومات تشير إلى وجود نجم
ثنائي، والذي لربما تحول النجم الأكبر فيه إلى مستعر أعظم ثم
إلى ثقب أسود، وبدأ في امتصاص طاقة النجم الآخر والذي تحول
بدوره إلى ثقب أسود ورغم ذلك فهي فرضية ضعيفة جداً؛ بسبب
عدم قدرتنا على قياس موجات ثقالية ناتجة عن دوارن الثقبين
الأسودين حول بعضهما وقربهما من الاصطدام.. صمت قليلاً كأنما
يفكر في عمق ثم هز رأسه قائلاً:

ليس لدي أي تفسير مقنع أفسر به هذه الحالة الغريبة جداً
والتي أتعامل معها للمرة الأولى في حياتي ...

غرقت الغرفة في صمت طويل نسبياً قطعه يوسف بقوله:

أظن أنه قد حان الوقت لتطلعوا على واحد من أكثر الأسرار
خطورة وتعقيداً ... ثم نظر إلى الضابط التنفيذي سيمال شاتان
وهز رأسه بالإيجاب ...

قام مباشرة إلى نفس النقطة التي كان يقف فيها الدكتور يونس
منذ قليل وأخرج من جيبه بطاقة ممغنطة ومررها في الهواء ظهر
بعدها مشاهد لمجموعة من البشر تتجول في منطقة ما من كوكب
المايكا ثم بدأ سيمال يتحدث قائلاً:

حينما وصل البشر إلى المايكا اعتقدوا أن السودون الجنس الوحيد
الموجود على الكوكب ولكن بعد دراسته واكتشاف أجزاء كبيرة

منه عثروا على آثار حضارة عظيمة ... كانت العيون متسعة على آخرها مما يقول سيمال ومما تراه أعينهم فأمامهم كانت المشاهد تنقل صوراً لمبانٍ عظيمة وهيكل ضخمة لمخلوقات اعتبرت في تاريخ السودون أساطير يتناقلها الأجيال في الوقت الذي أكمل فيه سيمال حديثه قائلاً:

كان العثور على آثار تلك الحضارة ليمر مرور الكرام ولكن بالصدفة البحتة وبينما يقوم أحد المستكشفين بعملية فحص عادية داخل إحدى المنشآت فتحت أمامه قاعة ضخمة تراصت فيها حافظات حيوية (شبيهة بالتي نستعملها لعملية النوم الصناعي) لأجساد مخلوقات لم يبين الغطاء الزجاجي الخارجي شيء منها وقد حفظت في تلك القاعة منذ آلاف السنين نقلت الحافظات إلى الأرض فيما بعد دون إفقادها الطاقة أو توقفها عن العمل عددها خمسة وعشرون حافظة فقط صمت سيمال قليلاً ... المشاهد تنقل للجميع صور الحافظات الضخمة، والتي يبلغ طول الواحدة منها خمسة أمتار وعرضها يقترب من المترين. انتقلت المشاهد بعد ذلك إلى قاعة شبيهة بالقاعة الضخمة التي كانت محفوظة فيها غير إن إحداها قد فتحت ... ثم أكمل قائلاً:

وعلى الأرض كانت المفاجأة من نصيبنا نحن...

-٨-

ثلاث سنوات مرت وأنا هنا أعلى الجبل ... منذ وفاة أم زياد وزياد وأنا أحياء في سكيينة مطلقة استطعت بعد جهد جهيد أن أمنع نفسي من تذكر الماضي وما حدث فيه ... سكنت نفسي كثيراً وهدأ بركان الغضب في داخلي ورويداً ورويداً بدأت أستعيد روحي من جديد ... حوارى الأخير مع كل منهما كان له تأثير مباشر في ذلك ... مهنتي الجديدة أعطتني الكثير من الحكمة والصبر ووقتاً طويلاً من التأمل في ذاتي وفي الكون من حولي ... كبريائي وفخري تواضعا في الاعتناء بغنماتي... مهنة شاقة ومتعبة وتقتضي على الكثير من الصبر والمثابرة ...

وذات ليلة صافية أسلمت جفوني إلى النوم رائق البال فرأيت كما يرى النائم أنى أطوف حول البيت الحرام ومن خلفي أطفال كثير ووقر في داخلي أنهم أيتام حتى إذا انتهيت من الطواف جلست أستريح فالتفوا حولي فوضعت رأسي بين قدمي فيأتي كل واحد منهم ويأخذ منه قطعة صغيرة ويأكلها استيقظت مطمئن القلب ولست فزعاً ومن ثم سمعت الأذان ... ارتجف قلبي خوفاً ... قمت واقفاً أتلفت حولي أبحث عن مصدره كان في كل مكان كأنما يحملها الهواء ... أفقت أخيراً ومن حولي تناثرت غنماتي نائمة مطمئنة انتظرت قليلاً أفكر فيما رأيت وتناقت نفسي إلى بيت الله الحرام وما زلت كذلك حتى أسلمت نفسي للنوم من جديد ..

كيف حالك يا حبيبي آدم؟ أراك بخير الآن؟
من أنت؟

ضحكات ساخرة قال بعدها:

هل نسيتني بهذه السرعة؟!!! أعلم أنني مقصر معك لم آتتك منذ
مدة طويلة سأنفادي هذا الخطأ غير المقصود من الآن ...
تذكرته بعد طول نسيان ... سمعت صوت تصفيق شديد ثم
بعدها كنت أسمعهم كأنها هو بالقرب من أذني ...
جيد أنك تذكرتني يا عزيزي ... والآن لنعود إلى الأعمال وسأبدأ
بالسؤال التقليدي؟

كيف حالك يا حبيبي آدم؟ أراك بخير الآن؟

ارتسمت على شفتي ابتسامة ساخرة ... ثم وبصوت حزين قال:

هل تسخر مني؟ لا..لا.. لا لم أهد منك هذه الروح كنت دائماً
ثائراً ...

على كل حال أعرف كيف هو حالك صرت راعي غنم بعد أن كنت
قائداً ... صمت برهة من الوقت ثم قال:

هل تفكر حقاً بالرحيل من هنا؟ وإلى أين؟ إلى الصحراء هكذا أنت
دائماً تبحث عن المتاعب ...

لم أجهه بشيء مطلقاً ولكن صوته بدى أكثر عصبية ...

هنا أنت في مأمن لديك طعام وشراب يكفيك حتى آخر عمرك
(مناسبة الحديث عن عمرك لما تراجعته حينما كنت على الحافة؟

أتدري لماذا؟ لأنك جبان) ...

لست جباناً ...

ضحكات ساخرة مع تصفيق شديد ...

الآن تتحدث ... جيد يا حبيبي تقدم كبير سأعود إلى البداية كيف

حالك يا حبيبي آدم؟ أراك بخير الآن؟

ماذا تريد؟ نطقت بها بصرامة شديدة وصوت عالٍ... تنهد بشدة ..

لماذا دائماً أنت هكذا كلما تحدثت معك من أجلك تصرخ في

وجهي ... حبيبي آدم أنا أريد الخير لك ...

وما هو الخير الذي تريده لي؟

هل يرضيك العذاب الذي تحيا فيه؟ ليس أمامك إلا طريق واحد

تعرفه جيداً ...

هل تريد لي الموت؟ ...

لا مطلقاً أنت من تريده وليس أنا ... أريد لك الحياة الهائلة

البعيدة عن الآلام والمتاعب

من أنت؟

من جديد نعود إلى هذا السؤال السخيف.

أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدهد في السماء والفأر في

ال...

للمرة الأولى أضحك بسخرية حقيقية...

لا أصدق أذني هل أعجبتك؟ سأبدأ حديثي دائماً معك بنفس العبارة

(أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدهد في السماء والفأر

في ال).. اكتسى صوته بشيء من الصرامة وحمل صوته نوعاً من

التحذير:

لا تفعل ... لا تفعل ...

رددتها طويلاً حتى كادت أن تقتلني ضجرًا ومللاً لولا أن لفحتني أشعة الشمس فأفقت من نومي أخيراً لمكثت أستمع إلى كلماته حتى الموت مللاً... في ذلك اليوم لم يتوقف عقلي عن التفكير لحظة واحدة فما بين تعجبي من رؤيائي وغبابة كوايسي ... هل يجب أن أرحل من هنا؟ وإلى أين الحجاز هناك في قلب الصحراء؟... ولأسبوع قادم لم تنقطع عني تلك الرؤية وإن غاب طيفي القديم الجديد ... وذات ليلة قررت أن أرحل في الصباح فلعلها إشارة من الله تعالى لأمر ما لا أعلمه ولكنه أعلم به ... أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدهد في السماء والفأر في ال....

ماذا تريد الآن؟ ...

لا..لا..لا.. لا ماذا تفعل يامجنون هل قررت الموت أخيراً؟ عن ماذا تبحث؟ لا..لا.. لا لم أعهدك هكذا ... ارجع إلى عقلك ... إنما أنا ناصح أمين ... وما ضيرك فيما قررت؟

هناك في قلب الصحراء؟ ثم كيف تنوي أن ترحل هكذا على قدميك كل تلك المسافة أنت بالتأكيد جنت؟ ... ثم كيف لك أن تترك كل ما أنت فيه من نعمة وأمان لترحل إلى هناك إلى الجحيم؟ أي جحيم هذا إنها أرض الله الحرام! هناك يأمن الطير والحيوان على نفسه ألا آمن على نفسي وأنا في جواره سبحانه وتعالى؟ هل تصدق ما تقول فعلاً؟ ...

ولم لا؟ ...

ألم تذكر ما قاله ذلك الجندي؟ لا أذكر اسمه ... تذكرت عارف
أمين ...

أصاب قلبي شيء من الألم؛ لتذكري ما أردت نسيانه وفي حلقي غصة
شديدة ...

الآن تذكرت لقد انتهى كل شيء منذ زمن طويل جدًا... ثم يا
حبيبي آدم لقد تخلى الله عنكم منذ زمن طويل لقد ترككم ...
اصمت ياهذا ولا تتفوه بما لا تعلم

هل نسيت ما حدث منك من قبل لقد قلت هذا لأم زياد ...

أرحل أرجوك لم أعد قادرًا على سماعك أكثر من هذا ...

سأرحل ولكن لا بد أن تعديني بأنك ستبقى هنا في البادية بعيدًا عن
الصحراء أرجوك ياعزيزي ...

سأرحل غدًا إلى الأرض الحرام والبيت الحرام والبلد الحرام إلى جوار
الله ...

لن تتحمل ما ستراه بعينيك أنا مشفق عليك لا أكثر

في الصباح التالي توجهت إلى العاصمة لأراها للمرة الأخيرة تغيرت
كثيرًا جدًا منذ المرة السابقة فبدلاً من لون الدماء اكتست أغلبها
باللون الأخضر ورائحة الموت اختفت لتحل معها رائحة الحياة..
أعطاني مظهرها أملاً جديداً ... تجولت فيها منبهراً ... ولم يعكر
صفو تجولي إلا الهياكل العظمية المتناثرة في كل مكان ... توجهت إلى
وزارة الحرب من جديد ... نمت النباتات متسلقة جدرانها فأعطاهما
مظهراً مغايراً تماماً ... كنت أريد المتحف العسكري لأحصل على
خريطة وبوصلة قديمة تعيناني لرحلتي الطويلة والشاقة ... وهناك

قابلت عارفًا من جديد ... غلبني الفضول لأعرف ما يحدث في

العالم الآن ...

القائد آدم أهلاً بك من جديد؟

أهلاً بك ...

كيف أخبار العالم الآن؟ ...

لقد تغير كثيرًا جدًا عما كان ماذا تريد أن تعرف تحديداً؟

هل انتهى بناء السور؟

نعم انتهى بنائه منذ مدة طويلة ...

كيف حال شعبنا؟

للأسف معلوماتي ليست كثيرة في هذا الجانب ولكن من خلال

تحليلاتي فإن أربعين في المائة منهم توفي في الأعمال الشاقة التي

كلفهم بها العدو سواء في بناء السور أو المدينة والباقي هم عمال

في المصانع الضخمة التي أنشأها الغزاة ...

إننا لله وإنا إليه راجعون ...

رحل موتاي من الأرض إلى كوكبه الأم ونصب رئيسًا جديدًا وهو

تونككاي ...

أسماؤهم غريبة عجيبة ...

أغلب الأسماء القديمة من القادة السابقين للأرض ماتوا بطرق

غامضة ومريبة وتم استبدالهم بقيادة جلهم من الساناي ...

ابتسمت ساخرًا في الوقت الذي أكمل فيه قائلًا:

أغلب الفلاسفة والمفكرين السابقين في كل أنحاء الأرض تم اغتيالهم

بطرق شتى بعضهم تم إرساله إلى هنا ...

هنا أين؟

إلى منطقتنا لقد أصبحت سجنًا عالميًا بكل ما تحوي الكلمة من معنى ... من لم يقتل يتعرض لمحاكمة هزلية ثم يتم إرساله إلى هنا بلا مؤونة تقريبًا ويتركون لمصيرهم ...

من فترة لأخرى تقوم بعض حركات مقاومة سواء كانت سلمية أو مسلحة ولكن سرعان ما يتعامل معها الساناي وأعاونهم بقسوة شديدة وبحزم بالغ ... جهاز الاستخبارات والأمن الداخلي أصبح واحدًا من أكثر أجهزة القمع والتنكيل قسوة وجرمًا في التاريخ ولا ينافس أحده ...

رغم الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفطاي إلا أن قلبي امتلأ حزنًا ...

هل تملك أي معلومات أخرى؟

تقريبًا هذا ملخص ما يحدث في العالم ...

ماذا عن مدن القاع هل هناك شيء حولها؟

لا ...

تركت العاصمة بعد يوم كامل بين جنباتها رجعت إلى كهفي من جديد وقد عزمت أن أصبح بالغد راحلاً إلى البلد الحرام أغمضت عيني طالبًا لبعض الراحة فأمامي طريق طويل ...

أنت لا تدرك حماقة ما أنت مقدم عليه ستكون نهايتك الموت عطشًا تائهاً في دروب الصحراء ... كيف ينمو الأمل داخلك من جديد؟ ...

مازلت حيًا يا هذا ...

إذا لم تلقِ بنفسك إلى التهلكة؟ ... لتحيا ما بقي من عمرك في حياة
رغيدة هانئة بغير مشاق ولا تعب ...

كالحيوان أليس كذلك؟ ...

كالحيوان لا تقل هذا يا حبيبي بل كإنسان ولكنك بأمان بعيداً
عن المهالك ...

لا شأن لك بي ...

قلت لك سابقاً أنا أنت فكيف لا يكون لي شأن بك ... وبكل ما
تقدس لا تسألني سؤالك الكريه ...

لن تثنيني عن قراري أبداً أما تكون ...

يا حسرتاه على شبابك يا عزيزي أتمنى أن نلتقي مجدداً ...

في الصباح ذهبت إلى قبر أم زياد وأخبرتها بما أنوي أن أفعل ثم
قرأت لها ولزياد الفاتحة ... وكان أكثر ما حدث غرابة في ذلك

اليوم أن سمعت صليل حصان زياد (والذي أطلقته بعد وفاته
مباشرة) من خلفي ... نظرت إليه متعجباً ... وأدركت أن رحلتي

ميسرة وإن كانت طويلة ... أطلقت غنماتي مودعاً إياها بعد طول
صحبة ... رحمة الله عليها أم زياد كانت قد علمتني كيف أحفظ

اللحم لفترة طويلة فكان خير معين لي في رحلتي الشاقة فيما
بعد... ولكنني كنت قلقاً من غياب الماء وبالأخص أن أغلب مناطق

الجزيرة صحراء قاحلة لا ماء فيها ... أفردت الخريطة والبوصلة
وقررت أن أسير شرقاً حتى أصل إلى نهر الأردن ثم جنوباً وصولاً

إلى البحر الميت ومنه إلى مدينة معان ثم إلى العقبة بعدها أتجه
جنوباً إلى تبوك وهناك أقرر أي الطرق أتخذ ... أكملت استعدادي

وحملت زادي ووقفت طويلاً أنظر فيما حولي مودعاً الجمادات بعد
عدة سنوات قضيتها هنا ...

بدأت مسيري الشاق والطويل مررت على المدن العظيمة في الشام
وفلسطين أمست شامخة تعانق السماء فأصبحت ركام من فوقه
ركام ... قال لي عارف إنها دمرت وسوت بالأرض ولكن خيالي لم
يصل بي إلى تلك الدرجة من الوضوح رأيت بعيني حجم الدمار
لم يبق الغزاة حجرًا على حجر كأنما داستها قدم عملاقة فجعلت
عاليها سافلها ... مررت على البحر الميت فتذكرت جبريل حينما
وضع طرف جناحه ورفع القرية الظالم أهلها ثم هبط بهم رأسًا
على عقب ... كان الأمر سيان في الحالتين ... وصلت معان بعد
أسبوعين من السير الشاق والصعب على النفس قبل الجسد ...
نقص الزاد وشح الماء بقيت فيها يومين أقلب أحجارها بحثًا عن
الماء والطعام وجدت القليل بعد جهد كبير رضيت به وأكملت
المسير إلى العقبة وبينما أنا أسير بين الركام ملحت عيناى بعض
أوراق باقية على ما يبدو من كتاب ضخم قد لامست النار أطرافها
... تعجبت كثيرًا لم رأى هذه الأوراق فمنذ القدم لم تستعمل مثل
هذه الكتب الورقية ... في البداية ظننتها قرآن فأردت أن أرفع عنها
الأتربة والأوساخ ثم أحرقها فيما بعد ولكن حينما وقعت عيني
على أعلى الصفحة قرأت:

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة

ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام

لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها،

كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيًا منسيًا، إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعًا، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها عمت الخلائق، وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد، التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلا بأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه، ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنالله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). (الكامل في التاريخ لأبن أثير)

كأنما يصف بشيء من الدقة ما حدث هنا في زماننا غير أنهم أبادوا الجميع ظللت أقلب في الأوراق فما وجدت فيها غير ذكر

لحادثة التتار وما فعلوا بالبلاد والعباد كأنما هو نهج الظالمين على مر التاريخ تركتها في موضعها وأكملت مسيري وبعد يومين اثنين وصلت العقبة استرحت فيها يومين أيضاً قبل المسير إلى تبوك

-٩-

كأنه يوم الحشر آلاف من البشر تتقدم في واد ضيق بين جبلين
 في محاولة للوصول إلى تلك البوابة الكبيرة أمامهم ... الأنباء تتواتر
 بحصار العدو للعاصمة ولا أمل في النصر ... عشرات الجنود
 يمنعونهم من التقدم مهددين إياهم بالموت ... الأصوات ترتفع
 طالبة النجاة ... في المقدمة سيدة تحمل طفلاً رضيعاً تستجدي
 جندياً أن يحمله للداخل في الوقت الذي تقسم فيه أنها سترجع
 عن هنا ... يشير لها الجندي بعدم قدرته على تقديم يد العون
 لها ... مكبرات الصوت تنقل التحذير إلى الجميع بأنه من يبقى
 بعد العد التنازلي القادم فإنه سيموت ... قائد عسكري كبير يقف
 في الخلف ويتحدث بانزعاج إلى أحدهم ... تأتيه الأوامر بقتل كل
 من يقف عنده ... يتردد كثيراً في فعل هذا الأمر المشين ... ولكنها
 في النهاية الأوامر ولا بد من تنفيذها ... ينظر أمامه فلا يجد إلا
 كبار السن والعجزة ونساء وأطفال وقليل من الرجال ... الأوامر
 لا بد أن تنفذ بحذافيرها ... ولكن كيف سيأمر جنوده بإطلاق النار
 وبأي وجه سيقابل نفسه فيما بعد ... بعد قليل يأتيه اتصال
 آخر من القيادة يستعلمون منه عن التطورات ... يخبرهم بعدم
 استطاعته تنفيذ الأوامر لا هو ولا أحد من جنوده ... انتهى العد
 التنازلي ... لم يرحلوا بعد ... لم يكن الخيار متاحاً لهم فإما الموت
 بيد الغزاة أو بيد من يفترض بهم حمايتهم ... في النهاية قرر ذلك

القائد أن يدخل النساء والأطفال دون العاشرة فقط. الرجال على اختلاف أعمارهم لن يسمح لهم بهذا ومن يحاول العبور سيموت فوراً وعليهم الرحيل من هنا حالاً ودون تأخير ... زاد الصراخ من النساء والعيول في محاولة للسماح لرجالهم وأبنائهم وإخوانهم بالدخول ... كان الرفض قاطعاً بل ارتفعت الأسلحة في الوجوه ... غالبية الرجال انصاعوا للأمر وبدأت أسوأ المشاهد على الإطلاق وداع الأهل إلى المجهول ... بعض النساء رفضن الدخول وقررن الرحيل مع رجالهم البعض الآخر بعد إلحاح شديد ووعود باللقاء قريباً دخلو إلى هناك ... تشابك الأيدي طويلاً وتعانقت الأجساد وانهمرت الدموع كالأنهار ... بعدها بفترة بدأت البوابة الضخمة في الانغلاق التدريجي وخلي الوادي أو يكاد ممن كان فيه ... أكملت البوابة إغلاقها وبعدها مباشرة بدأ عد تنازلي آخر لم يكد ينتهي حتى سمعت أصوات انفجارات عديدة انهمرت بعدها الصخور إلى الوادي لتغلقه ولتختفي البوابة من الوجود إلى الأبد ...

صراع يحتدم بين اثنين من الرجال أحدهما هو القائد العسكري الكبير السابق الذكر والآخر هو الرئيس المدني للمدينة الثانية ... يدور النقاش المتزايد الحدة حول كيفية القبول بإدخال هذا العدد الضخم من الناس إلى هنا:

كيف يمكنك أن تفعل هذا ليس لديك السلطة الكافية لهذا الأمر

سأرجع إلى القيادة وسأقوم بعزلك في الحال؟

ألا تملك أي قلب في داخلك هؤلاء نساء وأطفال؟ ...

لدينا هنا مهمة أكبر وعمل شاق؟ ...

هؤلاء نساء وأطفال ...

وإن كانوا ... أنت لم تعطِ لهم الحياة بل الموت ولنا جميعًا لن نتحمل المدينة أبدًا هذا العدد الضخم من الناس، ولا يمكن لها أن تتحمل أبدًا، ولا يوجد لدينا أماكن كافية لوضعهم في ثبات اصطناعي، ثم أن مهمتنا ليست حماية أنفسنا بل حماية الحضارة والتاريخ من الاندثار لقد قتلت المهمة في مهدها ولن يمكننا إصلاح الأمر الآن

أقول لك نساء وأطفال وتقول لي مهمة هؤلاء حاضرننا وماضيها ومستقبلنا، هؤلاء أهلنا كيف تريد أن تلقي بهم إلى الصحراء أو بين أنياب العدو ...

هذا قدر الله لهم ...

لا ... بل هو ما جنته أيدينا نحن ... هؤلاء سيبقون هنا وإن أصرت على عدم وجودهم فلتخرج أنت وبقية هؤلاء العلماء ونحن سنقوم بحماية الحضارة ...

سأتحدث إلى القيادة ...

فلتفعل ما شئت ...

بعدها بخمس سنوات:

أجسام نحيفة وعيون بارزة ووجوه محتقنة ... الأصوات تتعالى كأنها هم على وشك معركة شرسة ... يزيدون على المائة بقليل تضمهم قاعة مستديرة ضخمة يجلسون في حلقات مستديرة بعضها خلف بعض، إن قام أحدهم للحديث تحولت جميع المقاعد باتجاهه، في المنتصف مجسم لمركبة ما تدور حول محورها بهدوء...

أكبرهم سنًا يتحدث قائلاً:

أختلف معك بشدة دكتور خالد فمن حماقة استخدامها إنها خطر علينا أكثر مما نحن فيه ... أيها السادة لابد أن نفكر في أمر آخر بخلافها حتى لو اضطررنا للصعود إلى السطح وتسليم أنفسنا إلى الغزاة فإنه أفضل من أن نخوض المجهول فنفقد حاضرنا ومستقبلنا وماضينا إلى الأبد هناك بدائل أخرى أقل ضرراً.. لا أستطيع أن أجزم بواحد منها ولكن لربما كانت لدينا فرصة بإرسال رسالة ما إلى السفن الاستكشافية المنتشرة في ربوع الكون، لقد صممت لتبقى لألاف السنين في الفضاء دون الحاجة للعودة إلى الأرض ... لو أرسلنا إلى إحداها رسالة فتصل إلينا في غضون سنوات قليلة لتنفذنا مما نحن فيه ...

قاطعته أحد الجالسين بصوت خشن أجش بقوله:

هذه هي حماقة بعينها سيكتشف الغزاة حتماً مثل تلك الرسالة ويتبعون مصدرها ويصلون إلى هنا ...

ضجت القاعة بالأصوات بين مؤيد ومعارض وكادت أن تتحول إلى ساحة صراع، لولا أن قام أحدهم وبدأ ينادي فيهم قائلاً:

يا سادة لابد أن يكون اختلافنا بشكل أكثر لباقة مما يحدث الآن نحن نقرر مصير أمة بأكملها هناك الملايين ممن يعتمدون علينا الآن وما أراه يحدث هنا ليس إلا صراعاً ... لي طرح كل واحد منا حلاً للمشكلة التي نواجهها دون أن ينال أحد منا من الآخر أو يقاطعه ريثما ينتهي ...

اهتزت الرؤوس علامة الموافقة صمت قليلاً يجول بناظره إلى جميع

الحضور عليه يجد أحد معترضًا ثم أردف قائلاً:

إذا لدينا أرضية مشتركة نستطيع أن نبدأ منها أتمنى من الدكتور أحمد أن يوضح لنا حله للمعضلة التي تواجهنا بشيء من البساطة وعدم الخوض في أمور فلسفية أو استخدام مصطلحات علمية معقدة، ثم السبب في رفضه التام لمقترح الدكتور خالد والذي أظن أنه قد طرح رؤيته بالشكل الكامل أليس كذلك؟ ... نظر إليه متسائلاً فأجاب بالإيجاب ...

الدكتور أحمد أحد أكبر الأعضاء سنًا، وواحد من أكثر العلماء تميزًا في مجاله تجاوز السبعين بقليل، قام مستندًا إلى عصاه وبدأ يقول: أيها السادة في البداية أشكر للأخ والصديق الدكتور أمين أن استطاع أن يتيح لي الفرصة كاملة لعرض وجهة نظري بشكل قد يطول وأتمنى أن تستمعوا إلي بآذان وقلوب واعية وأرى أن أبدأ بعرض المشكلة مكتملة الأركان بداية قبل الخوض في الحل فكما هو معروف لديكم فلقد أنشئت مدن القاع أولاً للحفاظ على الحضارة والعلوم وليست لإيواء الناس؛ والسبب هو عدم وجود وقت كافٍ لذلك، ولما بدأ العد التنازلي لإغلاق المدن فوجئ الحرس بقدوم آلاف من البشر للاحتفاء بها؛ هربًا من بطش الغزاة في البداية تعجبت من كيفية معرفة كل هذا العدد بأماكنها رغم المحاولات الحثيثة لإبقاء الأمر سرًا في النهاية اكتشفنا أن السر انتقل من خلال العمال الذين ساعدوا في بنائها من الأساس، فأغلب من عرفهم ذووهم أو أصدقاؤهم ... في النهاية أصبحت المدن الخمس مليئة بالعديد من البشر تتجاوز طاقتها الاستيعابية بكثير بشكل ربما

ينهي على الهدف من إنشائها إبتداءً، ومشكلتنا تكمن في عدم توفر ما يكفي من الغذاء لإطعام كل الأفواه الجائعة لعدة أشهر قادمة قد تتجاوز حاجز السنة بقليل، وأصبحت الخيارات المتاحة أماننا ضئيلة جدًا عرض الدكتور خالد استخدام المركبة الزمنية وهذا أمر خطير جدًا ينطوي على الكثير من المجازفة الغير محسوبة، وفيه تهور شديد؛ لعدة أسباب أذكر منها واحد فقط أنها لم تصمم في الأساس لما يريد الدكتور خالد أن يفعل بها، ومنطقه يعتمد على فرضية قديمة وليست لها أساس علمي نستطيع الانطلاق منه لإنجاح الأمر ... ما عرضته أن نرسل إلى أرجاء الكون رسالة استغاثة لربما تصل إلى إحدى السفن الاستكشافية العديدة، والتي انطلقت منذ سنوات طويلة فتأتي لإنقاذنا مما نحن فيه، وتقوم بإخلاء المدن الخمس من سكانها والهرب بهم إلى كوكب آخر صالح للحياة أو الوصول إلى المايكا في حالة لم يقع بعد تحت الاحتلال مثلنا. لنبدأ من جديد حتى نصل إلى المرحلة التي تمكننا من بناء حضارتنا، ويأتي اليوم الذي نعود فيه إلى الأرض من جديد سادة عليها ... أعلم المخاوف التي لديكم من أمر كهذا وسأفندها لكم بشيء من التفصيل، أولاً: هو كيف يمكن أن تقترب سفينة ضخمة كهذه من الأرض في وجود الغزاة في الخارج، الأمر ينطوي على مغامرة كبيرة ولكن مهما كانت ضخمة فالأرض أضخم منها بكثير، ومهما كانت قدرات العدو فليس بإمكانه مراقبة المحيط الخارجي للأرض بالكامل ... بالنسبة لإرسال الرسالة نستطيع أن نحملها على أي قمر صناعي خارجي ويبدأ بإرسالها إلى الفضاء العميق. بالمناسبة لقد

أطلقنا الآلاف من الأقمار الصناعية في السابق، ولدينا من الإمكانيات والأجهزة ما تستطيع البحث عنها وإرسالها إليها دون الحاجة إلى إرسالها بشكل مباشر من هنا فيكتشف العدو مكمنا ... ولكن تبقى المعضلة الأكبر بالنسبة لي ولهذا الحل بشكل عام هل ستصل الرسالة في الوقت المناسب ثم تصل إحدى السفن إلى الأرض أيضًا في الوقت المناسب

جلس صامتًا بعدما تحدث في الوقت الذي شملت فيه القاعة صمت قصير قطعه الدكتور أمين بقوله:

أشكر للدكتور أحمد العالم الجليل والأب الفاضل على ما تفضل به منذ قليل وأشكره على طرحه المميز والشامل، والذي ناقش جوانب فكرته كاملة بالإضافة لنقاط ضعفها، هل يتفضل أحدكم بطرح رأي آخر غير ما قدمه الدكتور أحمد والدكتور خالد ... تلفت حوله لينظر من يقوم، فقام أحدهم والذي لم يتحدث بشيء مطلقًا من بداية الاجتماع، كان طويل القامة بشكل ملحوظ ذا وجه صارم حاد النظرات بدأ بالحديث قائلاً:

ما سمعته منكم منذ بداية اجتماعنا لا يرقى لأن يكون حلاً لمعضلتنا فكل ما طرح يتطلب وقتًا طويلًا جدًا وهو ترف لا تملكه، أيها السادة أفيقوا أماننا بضع شهور قبل أن نتقاتل على الطعام... بضع شهور قبل أن يأكل أحدنا الآخر (قال جملته الأخيرة بحدة كبيرة وبصوت عالٍ جدًا) ما تقترحونه يأسدة ليس إلا أحلام يقظة أفيقوا بالله عليكم، مصيبتنا في كثرتنا وقلة مواردنا، لا بد أن نؤمن أنفسنا وأهلنا أولاً قبل التحدث عن حلول قذ تستغرق مئات

الأعوام

تلقت الحاضرون مرددين عبارات التأكيد لفكرته قبل أن يقوم أحدهم موجهًا كلامه له قائلاً:

وكيف تقترح دكتور هيثم أن نؤمن أنفسنا هذا المصير الغامض؟ أولاً لا بد أن يكون هناك قائد واحد فقط لكل المدن الخمس، قائد يلتف الجميع حوله، يمتلك من الحكمة والعقل ما يؤهله لقيادة هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا بشكل خاص وتاريخ أمتنا بشكل عام ... ألقى عبارته الأخيرة كأنها ألقى قنبلة في وسط الحاضرين فارتفعت الأصوات مؤيدة بشدة ومعارضة أيضاً... استمر الأمر طويلاً هذه المرة ولم يقطعه إلا صوت أكبر العسكريين رتبة، والذي صمت الجميع حينما بدأ حديثه بقوله:

أيها السادة ما يقوله الدكتور هيثم هو أفضل ما سمعت اليوم منكم جميعاً، نحن في حاجة لقيادة قادرة على العبور بنا إلى بر الأمان ومما رأيت اليوم فإن أغلكم لا يصلح لها ولكن هناك رئيس فعلي لكل مدينة سيادة الجنرال أمجد ويرأس طاقم إداري على أعلى مستوى ...

نظر إليه في غضب قائلاً:

من أدب الحديث ألا تقاطع أحد وهو يتكلم وأتمنى ألا تكررهما ثانية معي أو مع غيري وهذا لكم جميعاً ... أعود ثانيًا فأقول نحن نريد قائداً وليس رئيسًا، زعيمًا وليس إداريا ... القائد بيتكر حلاً جديدة ولكن الإداري أو الرئيس فهو يتصرف في حدود المتاح أمامه... رفع قبضته أمام وجهه وجال بنظره بينهم قائلاً:

ياسادة نريد قائداً زعيماً ...

صمت الجميع بعد حديثه قطع الصمت الدكتور أحمد قائلاً:
ومن هنا لديه هذه المقدرة سيادة الجنرال أم تريد أن نعطيها
لك؟ ...

رغم سؤالك المستفز ولكنني أرشح الدكتور هيثم ليكون قائداً
وزعيماً وأنا أول من أضع يدي في يده وأقر له بالزعامة ومن
خلفي كل العسكريين ...

ظهرت الصدمة والمفاجأة على الدكتور هيثم الذي قال:
سيادة الجنرال لست أهلاً لهذه المهمة الكبيرة أبداً، هناك من هو
أفضل مني في هذا الأمر ... فأرجو منك أن تختار غيري أو على
الأقل اجعلوا الأمر بالانتخاب ...

عدد العسكريين في القاعة أكبر من النصف فحتى لو كان الأمر
بالانتخاب فستحصل عليها في النهاية، اقبل بالأمر الواقع لم يعد
هناك مجال للتراجع قضي الأمر

قام رئيس المدينة الأولى متحدثاً بنوع من الهدوء قائلاً:
مهلاً سيادة الجنرال أنت تفرض رأيك بقوتك وحدها دون أن تأخذ
رأينا جميعاً، وهذا أمر له عواقب وخيمة في المستقبل أتمنى أن
يحدث انتخاب بيننا أفضل من أن يفرض الأمر علينا فرضاً هكذا،
فإن كان الدكتور هيثم فهو ما أردت منذ البداية وإن غيره كان
لزماً عليك أن تتبعه كما تبعت الدكتور هيثم وإلا فإن النفوس
لربما جال بخاطرها أنه أمر دبر بليل بينك وبين الدكتور هيثم،
فلم يكذب يطرح اقتراحه إلا وكنت أول من أيد بل وبايع ... وأقترح

على الجميع أن لا يتدخل أحد العسكريين مطلقاً في هذا الأمر ويكون الأمر بيننا نحن العلماء ورؤساء المدن وأطقمهم الإدارية ... فوجئ بعاصفة من التأييد من كل المدنيين الحاضرين، ثم نظر إلى الجنرال أمجد قائلاً:

أظن من الأفضل أن تغادر أنت ورجالك القاعة سيادة الجنرال ريثما نحدد من يكون القائد للجميع ...

سأخرج وستبقى فرقة من رجالي كمراقبين دون التدخل المباشر في العملية... خرج الجنرال وعلى وجهه ارتسمت ملامح الغضب مما حدث، ولكنه أثار المصلحة العامة رغم ما تعرض له (مما قد يوصف بإهانة عند صغار العقول) ...

لم يكد جل العسكريين أن يخرجوا حتى التفت رئيس المدينة الأولى إلى الجميع قائلاً:

الدكتور هيثم رجل من خيرة الرجال، ولقد تعاملت معه كثيراً في الفترة السابقة، وأنا أؤيد بقوة أن يصبح قائداً للجميع ... من يريد منكم أن يرشح أحد أو يرشح نفسه فليتفضل تبادل الجميع النظرات فيما بينهم متعجبين من موقفه وإن كانوا مؤيدين لقوله ... قام بعضهم للحديث وأثنى عليه وعلى قدراته وحسن خلقه، حتى الدكتور أحمد والمعروف عنه سخريته من الجميع وعدم الاعتداد بأحد... كانت هناك شبه موافقة جماعية على قبول الدكتور هيثم زعيماً وقائداً، ثم قام رئيس المدينة الأولى من جديد قائلاً:

إذا أيها السادة لقد أصبح الدكتور هيثم قائداً للمدن الخمس

جميعها، وعليه ستلقى مسؤولية عظيمة وكبيرة، ولا بد لنا أن نساعدته جميعًا في هذا الأمر بكل ما أوتينا من جهد وقوة، وأتمنى أن يعلم الدكتور هيثم أن الأمر منوط بنجاحه وليس بدعم العسكريين له، وريثما نصح في أمان مما نحن فيه فأنا أول من سأخلع تأييدي عنك وليس لسبب في نفسي، ولكن لكل مرحلة رجالها وأنا أرى أنك أفضل الجميع في هذه المرحلة الدقيقة ولا أدري أتكون أهلاً لما بعد أم لا

قام هيثم يتحدث في الحاضرين بارتباك ظاهر قائلاً:

لقد ألقيت على مهمة عظيمة وكبيرة ولم أطمح لها ولا أريدها ولكنه.... صمت قليلاً ثم قال:

أستأذنكم قليلاً... قالها وهو يخرج من القاعة مسرعاً متوجهاً إلى غرفة صغيرة بالقرب منها أغلق بابها خلفه، وانزوى في أحد أركانها واضعاً رأسه بين قدميه، وبدأ يبكي بهستيرية كبيرة ولم تمض عدة دقائق حتى سمع طرقاً على الباب ثم فوجئ بالجنرال أمجد يدخل عليه ويغلق الباب من خلفه، نظر إليه نظرة حانية بصدق ثم بدأ بالحديث قائلاً:

هون عليك ...

ومن خلف بكائه ودموعه قال:

لقد أقحمتني في هذا الأمر ولا بد لك من أن تخرجني منه لن أتحمّل مسؤولية كل هؤلاء النساء والأطفال ... هذا قدرهم وقدرك ...

نحن مخيرون ولسنا مسيرون لماذا أصررتم جميعاً على أنا لقد

ربطتم قدركم بي ...

هل تظن حقًا أنك مخير في كل حياتك؟

نعم ولكنكم الآن تجبرونني على القبول بأمر عظيم لا قبل لي به
لماذا لا تختارون غيري؟ ...

هل تظن حقًا أنك مخير في حياتك؟

توقف عن البكاء وانعدت حاجباه ثم قال:

لماذا أعدت السؤال مرتين؟ ...

لاشيء ولكن هل تظن حقًا أنك مخير في حياتك؟

نعم ... قالها بحذر وبخفوت ...

جلس أمدد على الأرض بجانبه ونظر إليه قائلاً:

أتدري لي صديق قديم كنا دائماً على تواصل فيما بيننا، غير أننا لم
نلتق منذ عدة سنوات طويلة، والتقينا قبل معركة العاصمة بأيام
قليلة، وشئت الأقدار أن يرحل كل منا في اتجاه، هو بقي هناك
في العاصمة ليدافع عنها، وأنا جئت إلى هنا كي أحمي هذه المدن،
ولكن هل حقًا لو أراد العدو أن يقتحمها هل سأستطيع أن أمنعه
منها مع رجالي؟ في قرارة نفسي أعلم أنني سأموت. صديقي القديم
يعلم أنه سيموت في النهاية. وهو أمر لا مفر منه سواء واجهنا أو
هربنا ... هذا قدرنا الذي رسم لنا، ولكن طريقة تنفيذه تركت
لنا ... قدرك أن تكون زعيمنا، ولكن هل ستكون قادرًا على النجاح
أو الفشل فهو أمر منوط بك وحدك ... سأتركك الآن لكي تهدأ
وسأنتظرك في الخارج ...

مرت ربع ساعة أو يزيد ثم خرج هيثم بغير ما دخل نظر إلى

أمجد نظرة امتنان وشكر ثم قال:

أتمنى أن تتبعني سيادة الجنرال ...

دخل هيثم القاعة يتبعه أمجد وصمت الجميع ناظرين له...
اختلفت نظرة وجهه عما كانت قبل رحيله، واكتسى وجهه بصرامة
معهودة وبدأ حديثه قائلاً:

أيها السادة سيادة الجنرال أشكر لكم جميعاً ثقتكم بي، وأما ما
ألقيتم على من مهمة عظيمة، وأمر جليل، فالله المستعان وتعلموا
جميعاً أن الأمر بيننا بالشورى فلا انفرد بقرار دونكم، فإن رأيت
أمراً شاورتكم فيه فإن اختلفتم وانقسمتم كان الرأي ما أرى والأمر
لي وإلا فأعلموني من الآن فاخلع عني رداء الزعامة وأقلده لمن
تختارون غيري ... صمت قليلاً متجولاً بنظره في وجوه الحاضرين
عنه يلمس اعتراضاً من أحد فلما لم يجد أكمل قائلاً:

إذا فإن أول قرار أصدره هو إنشاء مجلس الشورى، وسيتكون
من أكبر الأعضاء الحاضرين عمراً وبعضوية عشرين شخصاً فقط،
ستكون مهمتهم الأساسية هي تقديم المشورة والرأي لي، وسيبقى
رؤساء المدن كما هم وبأطقمهم الإدارية أيضاً، الباقي من العلماء
سينقسمون إلى ثلاث مجموعات ... المجموعة الأولى سيكون على
رأسها الدكتور خالد وسيتمحور عملها على إحصاء أعداد البشر
المقيمين في المدن الخمس، ثم تنظيمهم وتوزيعهم عليها بالتساوي.
المجموعة الثانية سيكون على رأسها الدكتور تميم وسيتمحور عملها
في إيجاد حلول عملية للاكتفاء الذاتي بالطريقة التي يرونها مناسبة.
المجموعة الأخيرة سيكون على رأسها الدكتور سليمان وسيتمحور

عملها في تحديد جميع القطاعات في المدن الخمس، وأعداد الناس فيها والكمية التي ستكفيهم من الغذاء يوميًا، مع العمل على تقليل نسب الغذاء بشكل دوري على الجميع في خلال الأشهر المقبلة ..

الحرية المطلقة لرئيس كل مجموعة في اختيار من يراه مناسبًا من العلماء أو الأطقم الإدارية أو حتى العسكريين ليساعده في عمله، بالإضافة إلى الحرية التامة في اختيار الطريقة التي ينفذ بها عمله المنوط به دون المساس بأي من قاطني المدن الخمس بالسوء، وأمام الجميع شهر واحد من الآن لتقديم المقترحات المناسبة للبدأ في تطبيقها على الفور ... أتمنى من السيد ثابت غريب أن يحدد العشرين شخصًا الأكبر سنًا من الحاضرين ...

قام شاب في أواخر العقد الثالث من العمر أخرج من جيبه ورقة مطوية فردها وبدأ يحرك إصبعه عليها مرددًا أسماء العشرين شخصًا المشكلين لمجلس الشورى ... كان الاسم الأول هو الدكتور أحمد زايد.

فلما انتهى قال هيثم:

على السادة رؤساء المجموعات البدء فورًا في تحديد المساعدين لهم وتقديم الأسماء لى في فترة أقصاها خمس ساعات ... أتمنى من الجميع الخروج في الوقت الحالي ماعدا مجلس الشورى والجنرال أمجد ورؤساء المدن ... مرت عدة دقائق حتى كانت القاعة خالية إلا ممن ذكرهم هيثم فبدأ قائلاً:

السادة رؤساء المدن من الآن فصاعدًا ولمدة شهر كامل ستبدؤون في

العمل على تقليل الوجبات الغذائية المعطاه إلى الجميع وبالأخص الرجال هذا من ناحية، من ناحية أخرى أريد تقريراً مفصلاً منكم عن حالة الماكينات الضخمة التي نحى بها وطريقة عملها وقدرتنا على الاعتماد الطويل عليها والمشاكل التقنية التي واجهتكم سابقاً ... بإمكانكم المغادرة الآن ... ثم توجه إلى مجلسه للشورى قائلاً:

ستكون مهمتكم الرئيسية هي العكوف على دراسة مقترحات الدكتور أحمد والدكتور خالد بشيء من التفصيل الشديد، والجلوس مع العلماء بل وحتى العامة من الناس ومعرفة مقترحاتهم للخروج من الأزمة على المدى البعيد، بالنسبة للدكتور أحمد فستكون له مهمة مختلفة تماماً وهي العمل على دراسة كل الرحلات الاستكشافية التي انطلقت من الأرض أو المايكا ولم تعد حتى هذه اللحظة، وإمكانية الاتصال بها... الأمر الآخر أنتم ستكونوا المعيار الرئيسي لقراراتي فرأيي منكم وإليكم ... بإمكانكم المغادرة الآن ... خرج الجميع من القاعة ولم يبق غيره هو وأمجد والذي اقترب منه قائلاً:

على ما يبدو أنك ستنتجح ...

أشكرك على ما فعلت من أجلي ... اكتفى أمجد بابتسامة ثم أكمل هيثم قائلاً:

أريدك أن تختار أفضل رجالك وأقواهم، وتكون لي فرقة منهم تكون جاهزة في أي وقت ... انعقدت حاجبا أمجد قائلاً:

هل تنوي الصعود إلى السطح ...

نعم ولكن ليس الآن وليكن الأمر سرّاً بيننا ...

- ١٠ -

عشر سنوات مرت منذ وصل توماي مع ابن الإمبراطور إلى كوكب الغفتاي شهوره الأولى كانت عذاب لا يُطاق ... تحول بين ليلة وضحاها من مقاتل عظيم وقائد كبير إلى مربي أطفال ... كان يعامله بشيء من القدسية دون وعي بمتطلباته كطفل صغير، ورفض تمامًا أن يلمسه أحد أو يساعده على الاعتناء به، وزاد صراخ الطفل يومًا بعد يوم ولم يستسلم في النهاية استطاع صوماي أن يقنعه بأن قربه الزائد من الصبي سيقتله، ولا بد للرهبان أن يعتنوا به بشكل مستمر، وعلى ممرض أعطاهم إياه ولكن تحت رقابته اللصيقة تمر الأيام والشهور على توماي مملّة وكئيبة ولم يخرج منه إلا ساعات التدريب الشاق مع صوماي ورجاله ارتبط الصبي به ارتباطًا قويًّا جدًّا وتمرور الأيام بدأ قلبه الذي ملئ قبلًا بالقسوة والشراسة يرق له ... وحينما بلغ الطفل الثالثة من عمره تعلم الكلام على يد توماي الذي لم يدخر جهدًا في تعليمه كل ما يعرف، وكاد أن يبدأ دروس القتال معه لولا تدخل صوماي والكاهن الأعظم لصغر سنه ظهرت على الصبي علامات النبوغ المبكر، والذكاء الشديد فقرر الكاهن الأعظم أن الوقت قد حان لبدء تنفيذ الخطة التي وُضعت خصيصًا للصبي ... وفي صبيحة أحد الأيام جمع الكاهن الأعظم بعض الرهبان مع توماي والصبي وانضم إليهم صوماي ...

كما هي العادة فلقد جلس الكاهن الأعظم في وسط دائرة صنعها

الرهبان مع توماي وصوماي والصبي وبدأ حديثه والذي وجهه في الأساس إلى الصبي قائلاً:

تاماي لقد كبرت منذ جئت إلينا والآن لا بد لك أن تعلم من أنت... ولكن قبل هذا لا بد أن تعلم أولاً من أين جئت ... ظهرت على الصبي أمارات الاستفهام ونقل بصره إلى توماي مستفهماً، ولكنه كان غارقاً في نوم عميق رغم جلوسه فأكمل الكاهن الأعظم قائلاً: كلهم نيام ولكنهم يستمعون إلينا الآن

لماذا لا أنام مثلهم؟

لأنك من سلالة الماتاي وليس باستطاعتي أن أفعل بك كما أفعل بهم ...

الماتاي ماذا تعني؟

ستعرف كل شيء بعد قليل ولكن أولاً ألا تريد أن تعرف من أين جئت؟

نعم.

لقد جاء بك توماي من الماي منذ أن كنت طفلاً صغيراً ...

ماهو الماي؟ ...

لا تتعجل يا بني ستعرف كل شيء في وقته والآن لا بد أن تعرف أنك جئت من الماي ... والماي كوكب كبير الحجم مثل هذا الذي نحى عليه الآن، ولكنه يختلف عنه كثيراً هل ترى القمر في الليل يا تاماي؟ ...

نعم ...

على الماي يوجد سبعة منه ... اتسعت عينا الصبي انبهاراً مردداً:

سبعة..

نعم ولكنهم لا يُروا في ليلةٍ واحدٍ إلا كل خمسة آلاف عام وبها نؤرخ لعصورنا المتعاقبة ... منذ الأزل لم يكن هناك أحد على الماي، بل كان يملؤه التراب على الجبال وفي السهول وقرب البحار وعلى ضفاف الأنهار، بل وحتى الغابات كان التراب كثيراً وكثيفاً، ولما اجتمعت الأقمار السبعة للمرة الأولى نزل الماء من السماء وظل الماء ينهمر مائة عام كاملة، وحول التراب إلى طين وبدأت الشمس تلتفح الطين مائة عام أخرى حتى صار صلصالاً، ولكنه تكون في أربعة أماكن فقط من الماي، فهناك على أعلى جبل وفي السهل الأوسط وقرب مصب أكبر الأنهار وعند الغابة الشرقية، أما الباقي فقد تحول إلى تراب من جديد ... ولمائة عام أخرى رسم وشكل الصلصال في الأماكن الأربعة كل مكان كان به تمثالان لذكر وأنثى ... كيف رُسمت وشُكلت؟ ومن رسمها؟ صمت قليلاً ثم قال:

إنه الإله

من هو؟

هو الخالق من أعطانا الحياة ... ولمائة عام أخرى ترك ما شكل من الصلصال حتى أصبح جافاً وتغير لونه قليلاً إلى السمرة ... ثم جاء الهواء ودخل في الصلصال الجاف، والذي تحول لفخار فوهبنا الحياة ... كل بقعة رسم فيها الصلصال نشأت سلالة من السلالات الأربعة تختلف فيما بينها اختلافات جزرية، فعلى الجبال نشأت سلالة اللاتاناي، وفي السهل نشأت الماتوناي، وعند الغابة نشأت التاي، وعند مصب النهر نشأت الماتاي ...

الماتاي الأضخم جسداً والأقوى والأطول عمراً بين كل السلالات (متوسط الأعمار ألفان عام تقريباً) ولكنهم أقل عدداً من الباقي، فيما بعد صاروا هم الأباطرة على كل السلالات، وأنت تنتمي إلى هذه السلالة ياتاماي ... أصاب الصبي شيء من الفخر بنفسه أدركها الكاهن الأعظم وتجاهلها مكملاً:

يأتي بعد ذلك التاي الحكماء أصحاب العقول المفكرون العظام والعلماء المتميزون، هم العقل المفكر للساناي بشكل عام، متوسط أعمارهم ألف عام تقريباً...

أنت منهم؟

نعم ياتاماي أنا منهم

اللاتاناي المحاربون الشجعان والمقاتلون المتمرسون قلوبهم لاتعرف الرحمة، الحرب والقتال لهم غاية والموت في ساحاتها شرف عظيم، ومتوسط أعمارهم سبعمائة عام تقريباً... حانت من الصبي التفاتة إلى توماي فقال:

نعم يابني توماي منهم ...

في النهاية يأتي الماتوناي السلالة الأقل شأنًا بين الجميع والأكثر عددًا، يكفي أنهم يمثلون النصف تقريباً من كل الساناي اليد العاملة للإمبراطورية الضخمة، أغلبهم لا يملكون القدر الكافي من الذكاء، ولكن قلوبهم مليئة بالحب والعاطفة، لا يملكون الحضارة المادية، ولكنهم يملكون الحضارة الروحية، ومتوسط أعمارهم بين الخمسمائة والألف عام تقريباً... تلفت الصبي ناظرًا في وجوه من حوله لعله يجد أحدًا منهم فأشار الكاهن إلى صوماي ...

هذه يابني السلالات التي تكون الساناي، والتي خلقت وتكاثرت في العصر الأول من التاريخ، وحينما اجتمعت الأقمار من جديد كان الوقت قد حان لبداية عصر الحروب العظيمة، فبدأ القتال والذي لايعرف تحديداً من بدأه ... جميع السلالات غارقة حتى أذنيها فيه ... استمرت الحروب لعصرين كاملين من إراقة الدماء بين السلالات بل بين السلالة الواحدة نفسها، قامت خلال تلك الحرب مناطق نفوذ للسلالات المختلفة، شكلت فيما بعد دول وإمبراطوريات مختلفة ... وفي أقصى الجنوب نشأت دولة تحت حكم إحدى العائلات من سلالة الماتاي يقودها الإمبراطور العظيم غامستاي ... وتحكي الأسطورة أنه أصيب بجرح كبير في إحدى المعارك وشارف على الموت لولا أن تحدث إليه الإله، وأنزل عليه رمحاً من السماء أمراً له بتوحيد الكوكب كله تحت حكمه، وللدلالة على ذلك جمع الأقمار السبعة له قبل أوانها بألفي عام كاملة ... وبدأ عصر جديد في تاريخ الساناي عصر الإمبراطور الواحد بعد خمسمائة عام صار الكوكب كله تحت حكمه.... قضى خلال تلك الفترة على كل الدول والإمبراطوريات المختلفة في سلسلة ضخمة من الحروب والمعارك والتي لم يهزم في أغلبها ... عم السلام والهدوء أرجاء الكوكب كله ولتثبيت أركان حكمه له ولمن بعده من أبنائه وأحفاده قسم السلالات إلى طبقات لا تستطيع طبقة أن تعلق الأخرى أو تتجاوزها إلا في حيز دقيق جداً ...

الطبقة الأولى هي طبقة الإمبراطور والعائلة الإمبراطورية، وهم أبناء وأحفاد الإمبراطور العظيم غامستاي، ولا يحق لأحدٍ أبداً أن يطالب

بالحكم إلا منهم... بالمناسبة فهو جدك الأكبر ...
 الطبقة الثانية هم الأمراء من سلالة الماتاي أيضًا، ولكنهم ليسوا
 من عائلة غامستاي تحالفوا معه منذ بداية حروبه، وخضعوا له
 خضوعًا كاملاً ...

الطبقة الثالثة قادة الجيوش وهؤلاء لهم تقسيم خاص جدًا،
 أعلاهم رتبة هو القائد العام للجيوش تحته سبعة قادة لسبعة
 جيوش، سميت الجيوش باسم كل قمر من الأقمار السبعة، ولكل
 جيش المخططون الإستراتيجيون والعسكريون له، ولكن بشكل عام
 فهناك مخطط إستراتيجي كبير يخضع لقائد الجيوش العامة ...
 الطبقة الرابعة مجلس القادة يضم الكثير من القادة السابقين
 للجيوش وبعض الأمراء ورؤساء العائلات الكبرى من مختلف
 السلالات، وله مهمة واحدة فقط وهي الحكم في حالة موت
 الإمبراطور لفترة زمنية معينة، ريثما يتوج الإمبراطور القادم أو
 حينما يصل إلى السن المؤهل له لقيادة الساناي، وتصدر قراراته
 بإجماع تام من جميع الأعضاء، أيضًا له سلطة اختيار الإمبراطور
 القادم في حالة موت الإمبراطور وعدم توليته لأحد من بعده أو
 وجود أكثر من وريث للعرش.

الطبقة الخامسة العلماء والمفكرون والمهندسون أصحاب العقول
 اللامعة وأغلبهم من سلالة التاي.

الطبقة السادسة قادة الوحدات العسكرية المختلفة.

الطبقة السابعة صغار القادة العسكريين.

الطبقة الثامنة المقاتلون.

الطبقة التاسعة الإداريون.

الطبقة العاشرة رؤساء العمال.

الطبقة الحادية عشر العمال والخدم وجلهم من سلالة الماتوناي.

لقد تعبت أريد أن أعب الآن ... ابتسم الكاهن الأعظم قائلاً:

إذا فلنكمل في الغد ياتاماي، ولكن لا تجهد نفسك كثيراً ...

انطلق الصبي سريعاً في الوقت الذي استفاق فيه الجميع من

حولهم بدأ توماي الحديث بعد فترة قليلة قائلاً:

في اليوم الأول لي هنا قلت إن هناك خطة رسمت للصبي خاصة في

حالة استيلاء عمه على الحكم ...

ليس الآن ياتوماي لا تتعجل ستعرف كل شيء في وقته ... قام بعدها

الكاهن الأعظم مغادراً المكان، ولم يشغل توماي باله بمكان ذهابه

ولكنه نظر إلى صوماي قائلاً:

لنبدأ تدريباتنا فلقد اشتقت إلى هزيمتك ثانياً...

ابتسم صوماي قائلاً:

أنا أنساهل معك كثيراً أيها القائد ...

ظهرت أمارات الغضب على توماي فقال صوماي وقد ارتسمت

على وجهه ابتسامة بلهاء:

لا أقصد أن أوجه إهانة لك لقد كنت أمزح معك ...

هيا بنا نتدرب الآن ... قالها توماي بشيء من الحدة والغضب

في الوقت الذي ظهرت أمارات الفزع على صوماي، وبدأ يلعن

اللحظة التي اختار فيها الإمبراطور توماي من بين كل قادة الحرس

الإمبراطوري أو حتى أحد الخدم ...

هيا لقد بدأ صبري ينفذ ... صاح بها توماي.

في صباح اليوم التالي اجتمع الكاهن من جديد ولكنه لم يكذب ييداً

حتى التفت إلى صوماي قائلاً:

أسمع أنين قلبك من الأم ... بطرف عينيه نظر إلى توماي الذي بدا

وديحاً هادئاً كأنما الأمر لايعنيه ثم قال:

لقد تدرينا بالأمس مع القائد توماي أنا ورجالي ولكني الأفضل

حالاً ...

ابتسم الكاهن دون تعقيب ونظر إلى الصبي قائلاً:

الطبقة السادسة من الطبقات التي وضعها جدك هي؟ ...

غرق في التفكير لبضع لحظات قبل أن يقول:

المفكرون والعلماء.... لا ... قادة الوحدات العسكرية.

جيد اليوم سنتحدث عن المواجهة الأولى للساناي مع أمة أخرى،

ولكن هذه المرة من الفضاء الخارجي ... بعد رحيل جدك الأكبر بدأ

عصر الحضارة المادية للساناي، وهنا برزت سلالة التاي دون غيرها

من السلالات، وسمي ذلك العصر بعصر التاي إنجازات معمارية

عظيمة وتطورت العلوم بشكل كبير جداً، وبرزت الحاجة إلى المقوم

الروحي فلا بد للحضارة المادية من ضمير يحكمها ويهذب أخلاقها

فنشأت الرهبنة، وتولى التاي أيضاً تقديم الرهبان إلى المعابد وتعليم

الساناي السمو الروحي، ومن خلال هذا النظام يقسم المواليدي

الذكور إلى قسمين رئيسيين، القسم الأول يخص ويسلم إلى الكهنة

فيقومون على تعليمه والاعتناء به، القسم الثاني يتعلمون العلوم

المادية من الصغر ليصبحوا فيما بعد العلماء والمفكرين واستمر

هذا العصر ما يقرب الألفي عام، ونسى الساناي أو تناسوا الحروب والقتال وعلقت الأسلحة على الجدران للزينة والتفاخر ... ثم جاء عصر مظلم من الحروب المستمرة فقد فيه الماي ما كان ينعم به من السلام والهدوء ... جاؤوا من السماء ليبدأ عصر اللاتاناي عصر المحاربين العظام والمقاتلين الأشداد... جاءت الحرب إلينا ولم نسع لها ... بدأ النظام العسكري وهو ما لم ينته إلى الآن جمع المواليد من اللاتاناي وبعض المواليد من الماتوناي يؤخذون من ذويهم ويخضعون لتدريب عسكري صارم منذ نعومة أظفارهم؛ ليصبحوا فيما بعد محاربين عظام ومقاتلين متمرسين... استمرت الحروب على الماي لألف عام قادمة حتى النصر وجلاء الأعداء تمامًا عنه. سفنهم الفضائية التي تركوها ومعداتهم المتقدمة كانت عاملاً رئيسياً في انتقال العلوم لدينا نقلة ضخمة، مكنتنا من بناء جيش كبير وسفن فضائية عملاقة، كان أولها هو الرمح الأسود تيمناً برمح الإمبراطور العظيم غامستاي، ولكن هذا الأمر استدعى خمسمائة عام أخرى، ولما اكتمل استعدادنا غزوناهم في عقر دارهم وقهرناهم بعد سلسلة من المعارك والحروب استمرت مئتي عام أخرى انتهى هذا العصر المظلم بانتصار ساحق، وليبدأ عصر الاكتشافات العظيمة والغزو الفضائي لكل جنس عاقل في أرجاء الكون الكبير، وبدأ تحديداً منذ ما يقرب من عشرين ألف عام ... انتهى دور الكهنة تماماً وأصبحت الكلمة العليا للدم الذي غرقنا فيه ... زاد تعطش الأباطرة إلى المزيد من المجد الزائف بقهر جنس جديد والاستيلاء على خيراتهم ... ولا بد لهذا الأمر أن يتغير ...

- ١١ -

بفخر وزهو شديد اقتحم موتاي غرفة العرش الإمبراطوري وقد
غطى جسده بدماء أخيه يحوطه نخبة من كبار قادته وهيئته
الاستشارية تقدم ناحية العرش قائلاً:

أنتظرِكَ منذ زمن بعدما دنس هيبتك ذلك القذر ... جلس على
الكرسي ناظراً في وجوه جميع من حوله ليبادروا مباشرة بالإنحناء له
جميعاً ... بيد أنه لم يجد تابعه هتكاي ليلبغ منه الغضب مبلغاً
كبيراً، في تلك الأثناء دخل عليه ومن خلفه رجاله يقيدون ثلاثة
من الأسرى وبدأ بالحديث قائلاً:

وجدناهم عند الممر المؤدي للغابة الصفراء لقد اختفى توماي مع
الصبي ...

ذاك اللعين شومتاي لقد خطط لك شيئاً...

أرسل من يأتيني بكبير الكهنة وكل كهنة المعبد حالاً ...

ماذا أفعل مع هؤلاء سيدي الأمير ...

سيدي الإمبراطور ياهتكاي إمبراطور: صرخ بها في وجهه ... تراجع
هتكاي للخلف قليلاً وهو يردد:

آسف سيدي الإمبراطور ...

لا تنس ثانية وإلا كانت رأسك الثمن ... أقتلهم وأسرع بالإتيان
بالرهبان وكبيرهم ...

لم تمض لحظات حتى كانوا جميعاً أمامه وقد عروا من ثيابهم

وجئ بهم بشكل مهين بدأ موتاي بالحديث مباشرة:

أين الصبي يا كبير المخرفين ...

لا أدري ولو عرفت لن أخبرك أبداً ...

هتكاي أقتل نصف هؤلاء المخرفين والباقي ابدأ بعذابهم حتى

يموتوا واجعل هذا المخرف الكبير يشاهدهم ويسمعهم ...

لم يدنس أحد المعبد أو الكهنة كما تفعل وأحذرك عواقب هذا

الأمر ...

ارتسمت على موتاي ابتسامة دموية ولمعت عيناه في شراسة وأردف

بقوله:

سأجعلك تتمنى الموت حتى تخبرني بمكان الصبي ...

اقتحم أحد الطباط الكبار القاعة في أثناء حديث موتاي ودنا من

هتكاي وتحدث معه للحظات قبل أن يغادر وبدأ حديثه مباشرة

مع موتاي قائلاً:

سيدي الإمبراطور الرمح الأسود أنشئت ممرًا دوديًا واختفت فيه

من نطاق رصدنا المباشر قبل محاصرتها، وهناك دعوات من

مجلس القادة للانعقاد

وقف الإمبراطور موجهاً حديثه إلى كبير الكهنة قائلاً: يبدو أن أوان

عذابك لم يحن بعد، سأقوم بحل بعض العضلات ثم أتفرغ لك..

نظر إلى أحد ضباطه قائلاً:

احتجزهم في القصر وامنع عنهم أي اتصال بأي مخلوق كان ...

ثم وجه حديثه إلى هتكاي قائلاً:

أخفوا جثة ذلك البائس واجمع مجلس القادة الآن، ولو اضطررت

لجرهم جرًّا ولا يجتمعون إلا هنا، وأغلق العاصمة والكوكب بالكامل، وأرسل من يأتيني بهاناي حالاً، وإن رفض اقتله على الفور، وأعلن أنه مشارك في المؤامرة على الإمبراطور السابق ... هم هتكاى بالمغادرة ولكنه استوقفه بعدما صرف الجميع قائلاً:

كل الجنود الذين رأوا ذلك البائس القذر عديم الهيبة اقتلهم جميعاً ... ولا تنس أن ترسل من يحاصر مدن الماتوناي...

تردد هتكاى قليلاً قبل أن يقول:

أمرك سيدي الإمبراطور ...

رجع موتاي إلى كرسي العرش وقد أبرقت عيناه بوحشية منقطعة النظر، وفي الوقت الذي خرج فيه هتكاى لتنفيذ الأوامر ... اقتاد عدد من الجنود الكهنة وكبيرهم إلى إحدى القاعات المنعزلة في القصر وأغلقوا عليهم ... نظر كبير الكهنة إلى البقية في صمت فجلسوا جميعاً في دائرة ضخمة يتوسطها هو بنفسه، وأغمض عينيه وبدأ يتمتم في خفوت والكهنة صامتون، وهناك في القطب الشمالي للكوكب جلس هاناي مغمضاً عينه وقد أدرك ما هم مقبلون عليه، وبطريقة ما استطاع أن يتحدث مع كبير الكهنة وبدأ بقوله:

لماذا؟

لا نستطيع أن نبوح بأمر الطفل لابد أن يظل أمره بعيداً عن موتاي ولا أعرف هل نستطيع جميعاً تحمل ما نحن مقبلون عليه أم لا؟..

لقد استطاع توماي أن يهرب به، والرمح الأسود اختفت هي الأخرى، والباقي أصبح على عاتقك أنت والكاهن الأعظم. والآن لابد لي من الرحيل ... شعر هاناي بالأسف على رفيق دربه، ولكنه المسار الذي

اختاروه بأنفسهم من قبل ... بدأوا يتساقطون واحدًا تلو الآخر حتى لم يبق غير كبير الكهنة الذي اتسعت عيناه بشدة وبدأت الدماء تسيل منها لعدة لحظات ثم هوى جسده ...

خرج هتكاى من قاعة العرش وتوجه مباشرة إلى ساحات القصر الخارجية مجتمعًا مع كبار الضباط وبدأ يصدر أوامره إليهم لتنفيذ رغبات الإمبراطور، وكان أول أمر أصدره إلى الضابط تاناي بالذهاب مع فرقته إلى القطب الشمالي؛ ليلقي القبض على هاناي الخائن على حد وصفه، الباقي أمرهم بالقبض على جميع أعضاء مجلس القادة والإتيان بهم إلى هنا، أما الباقي من ضباطه فأمرهم بالبداية في تنفيذ الخطة الشاملة لإغلاق العاصمة والكوكب وحصار مدن الماتوناي، ولم يكذب ينتهي من إصدار أوامره حتى انطلق الجميع لتنفيذ الأوامر ... انتظر قليلاً حتى ابتعد الجميع ثم نظر إلى أخلص رجاله (تاغاي) قائلاً:

أجمع كل جنود الفرقة الخامسة في أربع طائرات وأخبرهم أنهم ذاهبون لتنفيذ مهمة خطيرة في القطب الجنوبي، وما إن يصبحوا فوق المحيط أسقط جميع الطائرات وتسجل أسماءهم في سجل المجد الإمبراطوري ...

ابتسم تاغاي في وحشية وانطلق لتنفيذ المهمة ...

تحولت العاصمة في دقائق معدودة إلى ثكنة عسكرية يتجول فيها الجنود والآليات العسكرية مانعين الجميع من الخروج بأوامر الإمبراطور، في الوقت الذي اقتحم فيه ضباط هتكاى منازل أعضاء مجلس القادة وأتوا بهم في غلظة شديدة، ومن رفض الخروج

معهم وقاوم قُتل على الفور ...

اقترب تاناي من القطب الشمالي ومن خلفه خمسة آلاف جندي تحملهم ثمان طائرات ضخمة هم تعداد فرقته المقاتلة، بينما هو في طائرة القيادة يعتصر الخزي والعار قلبه وجسده، يكذب عينيه تارة ويصدقها تارة، ففي لحظة خاطفة رأى موتاي وهو يقتل الإمبراطور وللأسف من الخلف، تجلت أمارات الاستنكار والاشمئزاز من هذا الذي يقتل أحدًا من ظهره، وفي قلبه فريقان متصارعان. فهو من ناحية غير قادر على تقبل الإمبراطور الجديد بكل ما يحمله هذا الأمر من تبعات، ومن ناحية أخرى فهو بنفسه شارك في قتال الحرس الإمبراطوري واقتحام القصر، ثم يعود ويقنع ذاته بأن الأوامر هي الأوامر ولا بد أن تنفذ، ولكن كيف يمكن لقائد الجيوش أو الحرس الإمبراطوري أن يفكروا في الغدر به أصلاً تدور به أفكاره وتعود إلى ذاك المشهد الذي لن ينساه طيلة حياته ... لقد رأته: صاح بها دون أن يدرك من حوله ما الأمر نظروا إليه نظرة استفهام دون أن ينطق أحدهم بشيء أو ينتبه هو....

دقيقة واحدة باقية على الوصول هل نحاصر المنطقة كلها ياسيدي؟ أخرجت الكلمات السابقة تاناي من استغراقه في التفكير وظل صامتًا لعدة لحظات قبل أن يقول:

لا داعي فهو رجل واحد فقط ولكن ليبق الجميع على أهبة الاستعداد لأي طارئ ... هبط من طائرتة على الثلوج الممتدة أمامه بلا نهاية تقريبًا، ووقف يتطلع بانبهار شديد إلى المبني الذي أمامه، فهو ذو قبة واحدة عالية جدًا يرفعها أربعة أعمدة منقوش

عليها بلغة لم يستطع تبيانها وإن كانت مضيئة بلون أخضر يومض في هدوء، غلب على الأعمدة اللون الأبيض مع قليل من السواد بشكل جميل وتتصل فيما بينها بجدار يصل إلى منتصفها تقريبًا، رسمت عليه تاريخ الساناي منذ عرفوا التدوين في لوحة فنية غاية في الإبداع والجمال، ويكفي أن تاناي نفسه اتسعت عيناه وتدلّى فكه مما يرى ولكنه تدارك نفسه سريعًا وبدأ يخطو باتجاه المعبد الشمالي كما يسمى ... لم يميز تاناي أي مدخل يستطيع الولوج إليه أو النفاذ منه للداخل، ولكنه مازال يقرب و في قلبه يحتدم الصراع بشدة ...

لا تحزن على الماضي فتبقى فيه أبدًا ...

سمع العبارة في عقله ولم يسمعها بأذنيه، ولكن هذا لم يمنعه من التلفت حوله متحفزًا شاهراً سلاحه أينما توجه وبدأ يردد:
من هناك؟ من أنت؟ أين أنت؟

إن أردت الدخول إلينا فلا تدخل بسلاح ...

توقف تاناي عن الحركة وأمامه تشكلت في الجدار فجوة يستطيع الدخول منها وترددت العبارة من جديد:

إن أردت الدخول إلينا فلا تدخل بسلاح ...

تردد تاناي قليلاً قبل أن يحسم أمره وترك سلاحه وولج من خلال تلك الفجوة، أحس بنوع من القشعريرة الباردة تعتريه في أثناء دخوله، ولكنه لم يعرها أي انتباه ولا تلك الفجوة التي أغلقت بعد دخوله، فإن عينيه وقعت على ما لم تقح عليه من قبل، فأمامه ممر طويل ارتصت على جانبيه ما يشبه الأشجار بلا لون تقريبًا،

داخلها خطوط متصلة تمتد من أسفلها إلى أعلاها كأنها هي أوردة الجسد، يتحرك فيها سائل يميل إلى الأزرق وتتلاً أطرافها بلون أبيض جميل يضيء المكان من حولها، أما الممر نفسه فقد غطي بالزجاج وتحت قدميه تسير المياه في مشهد لا يقل جمالاً ولا إبهاراً.. تسمر في مكانه للحظات قبل أن يقرر أن يسير في هذا الممر للنهاية التي أغلقت بباب نقشت عليه عبارة:

لا تفنى الروح وقد مات الجسد سعيداً.

وما إن اقترب منه حتى بدا له وكأنها يتلاشى، لم يتوقف عنده كثيراً، فما كشفه الباب كان أكثر إبهاراً وتعجباً، لقد فتحت أمامه غرفة الأسرار رأى بعينه وسمع بأذنه فهنا تاريخ الساناي لا يكتب ولا يقرأ وإنما تسجله وتعرضه جدرانها بواقعه وشخصياته كفلم حي لا يمحي أبداً، وهناك مشهد واحد يعرض أمامه ويتكرر باستمرار، موتاي وهو يغدر بأخيه الإمبراطور. توقف كثيراً أمام هذا المشهد كيف وصل إلى هنا ... وفي منتصفها يجلس هاناي حامي غرفة الأسرار.. يخطو تاناي داخلها ولم يكذب يفعل حتى انهار على ركبتيه وقد أمسك جانبي رأسه في ألم وتجلت أمارته على وجهه وجحظت عيناه لم يستمر هذا الأمر كثيراً؛ فسرعان ما دخل في عالم الأحلام وسقط مغشياً عليه ...

لدقائق ظل الوضع على ما هو عليه، تاناي ساقط على الأرض وهاناي في جلسته كما هي فجأة هب تاناي واقفاً على قدميه قائلاً:

أسرع فسرعان ما يكتشف هتكاي ما سوف نقوم به ويلحق بنا

بفيلق كامل ... طائراتنا لا تستطيع السفر خارج الكوكب لذلك لابد أن نستولي على إحدى السفن الفضائية كان يحدث هاناي في طريقهما خارج المعبد، والذي بدأت قبته تهبط بشكل تدريجي باتجاه الجدار، وما إن التصقت به حتى بدأت الأعمدة في الهبوط أيضًا، أكملت طريقها حتى اختفت داخل الأرض في الوقت الذي خرج فيه تاناي وهاناي مسرعين بدأ المعبد كله بالهبوط إلى أسفل حتى اختفى تمامًا ولم يعد له وجود ...

رأى تاناي رجاله وهم ممدون على الأرض كأنهم قتلى ولكن سرعان ما طمأنه هاناي بأنهم سيقومون خلال لحظات وبالفعل بدأوا جميعًا في القيام وتعاونوا فيما بينهم وصاح فيهم جميعًا قائلاً: أيها المقاتلون الشجعان لقد عرفنا جميعًا الحقيقة وما حدث من غدر للإمبراطور السابق سنشكل من الآن فرقًا ثورية، سيحكم علينا جميعًا بالإعدام فمن أراد منكم الانسحاب فليفعل وإلا فليركب كل منكم في طائرته ... وتوجه مباشرة مع هاناي إلى طائرته أمرًا الطيار بالإقلاع فورًا والتوجه إلى أقرب قاعدة فضائية ...

وما إن هبطوا بعد عدة دقائق حتى خرج تاناي وحده والذي استقبله أحد الضباط قائلاً:

أهلاً بالقائد تاناي ...

لا وقت لدي للتحيات ما هي السفينة الجاهزة للسفر الفضائي ...

السفينة السابعة ولكن لم تسأل؟ ...

ليس هذا من شأنك هذه أوامر الإمبراطور

ولكن الأوامر الصادرة لي منذ قليل تمنع خروج أي سفينة فضائية،

لقد تم إغلاق الكوكب بالكامل ... في نفس الوقت بدأ جنود تاناى فى الاصطفاف خلفه وبعضهم يحوطون هاناى كالأسير فأكمل الضابط قائلاً:

لابد لى من إبلاغ القيادة قبل أن أسمح لك بالصعود إلى السفينة ... نظر تاناى إلى عينيه فى شراسة قائلاً:

إن أردت أن تتحول إلى طعام لجنودى فحاول منعنا ... أين هى السفينة السابعة أشار إليها وهو يقول فى تحد واضح: على الأقل سأبلغ القيادة بما حدث هنا ... قالها وتاناى بالفعل يتوجه إليها ومن خلفه جنوده والذي عقب قائلاً: أبلغ من شئت ...

وما إن استقر بداخلها هو وجنوده حتى توجه إلى المقصورة الرئيسية وبدأ يحدث الطيار قائلاً: هل تستطيع قيادتها ... بالتأكيد ...

جيد أريدك أن ترفع قدرات محركها وتنطلق من هنا بسرعة الضوء ...

ولكن هذا سيخرج القاعدة من العمل لوقت طويل جداً ... وهذا تحديداً ما أصبو إليه ...

وفى هذه الأثناء كان الضابط المسؤول عن القاعدة يتوجه لإبلاغ قادته بما حدث، وهو يتوعد تاناى بالويل والثبور، ولم يكذب ينتهى من حديثه حتى غشي عينيه ضوء ساطع وانفجرت جميع الأجهزة والمعدات أمامه

جمع مجلس القادة في أحد القاعات الملحقة بالقصر الإمبراطوري ولم يسمح لهم التحدث مع بعضهم أبدًا، ومن يخالف التعليمات يُضرب أمام الجميع ويُهَان بشكل مخز، اقتحم موتاي القاعة فجأة قائلاً دونها انتظار:

شومتاي الخائن مع الحرس الإمبراطوري قتلوا الإمبراطور وولي العهد وزوجته ولما بلغتنى هذه المعلومات أمرت قواتي بحصار القصر الإمبراطوري للثأر منهم على جريمتهم ...

قاطعهم أحدهم في قوة قائلاً: كيف يغدر الحرس الإمبراطوري بالإمبراطور يا موتاي؟ لقد قتلته أنت ولم يفعلها غيرك لطالما كنت حاقداً عليه ... لم يستطع أن يكمل كلامه فموتاي لم يعطه الفرصة، لقد انطلق نحوه كالصاروخ مخرجاً سيفه طاعناً إياه على مرأى ومسمع من الجميع ... رسمت على وجوههم جميعاً علامة الذهول وعدم التصديق، ولكن أحدهم لم يحاول أن يعترض فقد بات واضحاً أن الموت هو مصير كل صوت يخالفه...

رجع موتاي إلى مكانه كأن شيئاً لم يكن قائلاً:
من الآن فصاعداً من يناديني بغير الإمبراطور موتاي فسوف يكون هذا هو مصيره ...

ولقد جمعتمكم هنا الآن حتى تنصبوني إمبراطوراً كما هي العادة، ولن يكون هناك احتفال كبير، فما زال الخطر محدقاً بالإمبراطورية ...

رددوا جميعاً بصوت واحد:

أنت إمبراطورنا فاحكم كيفما شئت ...

أمر موتاي أحد ضباطه بالإتيان بالسجل الإمبراطوري، ثم أمرهم جميعًا بالمباركة على تنصيبه؛ حتى تكتمل مراسم التتويج ويصبح إمبراطورًا فعليًا لكل الساناي ...

لما انتهوا مما أمرهم به خرج من القاعة ثم أمر ضباطه بقتلهم جميعًا، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة دموية قطعها هتكاي الذي أقبل عليه وعلى وجهه بدت علامات الانزعاج والغضب، وبدأ بالحديث قائلاً:

الكاهن الأكبر وكل كهنة المعبد قتلوا أنفسهم ... وهاناي استطاع الهرب ...

- ١٢ -

لعدة دقائق توقف سيمال عن الحديث بعدما أشار له يوسف بالتوقف وبدأ بالحديث قائلاً:

أيها السادة ما أنتم على وشك الاطلاع عليه لا يجب أن يخرج من هذه القاعة أبداً مهما كانت الظروف ...نظر إلى سيمال من جديد وأشار له بإكمال ما بدأ ...

في الوقت الذي نقلت فيه الحافظات الحيوية إلى الأرض اكتشف العلماء على المايكا أمراً في غاية الغرابة، وهو أن آثار تلك الحضارة لم تكن سوى سفينة فضائية عملاقة، وهذا رجح كون تلك الحافظات مخصصة لنقل الطاقم من مكان إلى آخر، ولكن بعد مزيد من البحث اكتشفت آثار أخرى لها، ولكنها هذه المرة كانت مدن حقيقية، وظل أمر هذه السفينة غامضاً ومجهولاً ... بدأت الفرق التقنية بدراسة السفينة دراسة وافية، وبدأت عملية إعادة تشغيلها من جديد، ومن خلال الاطلاع على سجل السفينة اكتشف أن بداية الرحلة كانت من نفس المنطقة المشار إليها سابقاً، ولكن وجهتها لم تكن المايكا بل كوكب آخر في مجرة الكلب الأكبر، وهي تبعد خمسة وعشرين ألف سنة ضوئية عن الأرض، ولكن المفاجأة الحقيقية هي أن بداية الرحلة كانت قبل عشرين ألف سنة تقريباً من اكتشافها ... وضعت العديد من الفرضيات لهذا الأمر الغريب، غير أن ما حدث على الأرض زاد الأمر تعقيداً وغرابة، فبعد كم

المعلومات التي وردت إلى الأرض كان لابد من فتح الحافظات الحيوية وإخراج من فيها لاستجوابه ... تغير المشهد ليظهر مجموعة من البشر يلتفون حول إحدى الحافظات، وقد لبسوا ما يشبه بذلات الفضاء، ومن خلفهم مجموعة كبيرة من الجنود متحفزين لأي شيء ... أكمل سيغال قائلاً:

توقع العلماء وجود مخلوقات ضخمة؛ وذلك بسبب ضخامة الحافظات، ولكن عند فتح أول حافظة وجدوا مخلوقات صغيرة الحجم متراسة بجانب بعضها البعض، لم يكونوا غير أطفال صغار وللأسف كانوا جميعاً قد فارقوا الحياة، وإن حفظت أجسادهم بشكل مذهل ... ولم تكن تلك آخر المفاجآت، فعند فتح الحافظة السادسة عثر على جسدين لذكر وأنثى بالغين، كان الذكر يناهز المترين ونصف طولاً قوي الجسد، أما الأنثى فكانت أقل من ذلك بقليل ولكنها للأسف كانت قد فارقت الحياة، في حين أن الذكر كان ما يزال حيّاً، تم نقله إلى منشأة بالغية سرية متحفظاً عليه، باقى الحافظات كانت تحوي أجنة مخصبة محفوظة لكائنات مختلفة وفشلت فيما بعد عملية توليدها، وإن عثر على مختبر في السفينة يرجح أنه من الممكن توليدها فيه الدراسات والاختبارات مازالت مستمرة حول هذا الأمر وبخلاف ما سبق لم يعثر على أي شيء جديد داخل الحافظات

ماذا حدث للمخلوق الذي عثر عليه: نطق بها الدكتور جلال بعد أن غلبه فضوله العلمي وأجاب سيغال قائلاً:

بعدما تم نقله إلى إحدى المنشآت السرية بدأت عملية دراسته

دراسة وافية جدًا، وتم أدخاله في حالة من التخدير المستمر ريثما تنتهي الاختبارات... ظهرت على يوسف أمارات الاشمئزاز وإن لم يتفوه بشي في الوقت الذي أكمل فيه سيمال:

تحليل الحمض النووي أظهر أنه من جد بشري ... وكأما ألقى قبلة في القاعة، فجميع الأعضاء المدنيين قاموا مستنكرين صارخين وبدأوا في توجيه أسئلة علمية لسيمال، في الوقت نفسه كان العسكريون يتبادلون نظرات الاستغراب والاستفهام مما يحدث أمامهم ولم ينه تلك الحالة الجدلية غير يوسف، حينما أمر الجميع بالصمت ريثما ينتهي سيمال من حديثه واعدًا إياهم بإعطائهم كل البيانات التي تخص هذا الأمر لدراستها والاطلاع عليها ...

كان الأمر صادمًا ومحيرًا بشدة، واستمرت دراسة الحمض النووي أكثر، وأثبت أن جده عاش على الأرض في الفترة الممتدة من خمسين ألف عام قبل هجره إلى خمسة وأربعين ألف عام قبل الهجرة، وعاش قبل طوفان نوح عليه السلام، وأثبت أيضًا أنه من سلالة غير سلالة نوح نفسه، فهو لا يتصل بصلة قرابة نهائيًا بأي من أبناء نوح (سام وحام ويافت) ولكن لهما نفس الجد ...

أنا لم أفهم هذا الجزء الأخير من كلامك سيد سيمال: قاطعه العميد قابيل عز، نظر يوسف إلى الدكتور جلال قائلاً:
من فضلك دكتور جلال اشرح لنا جميعًا ما تحدث به السيد سيمال منذ قليل ...

تنحى الدكتور جلال وعدل وضع نظارته قبل أن يقول:
بداية أنا لدي الكثير من علامات الاستفهام حول ما قاله السيد

سيمال، ولا أظن أنه قادر على إجابة أغلب استفهاماتي، بالنسبة لما قال منذ قليل فهو يتحدث عن الحمض النووي وهو المخطط التفصيلي لوصف الكائن الحي، مهمته الأساسية هي تمكين الخلية الحية من صناعة البروتينات للمساعدة في بناء خلايا جديدة وصولاً إلى الأنسجة ثم الجسم ككل من خلال عملية معقدة لاداعي للخوض فيها، ونستطيع القول بأن الحمض النووي أو الشفرة الوراثية هو المهندس المسؤول عن تشكيل جسم الكائن الحي من النباتات إلى الإنسان ... ذكر السيد سيمال أن تحليل الحمض النووي لذلك المخلوق أثبت أنه من جد بشري، وهو أمر من الممكن تتبعه من خلال الحمض النووي، فهو في الأساس يأتي مناصفة من الأب والأم ولكن الأب ينقل للابن طريقة تنظيم الحمض النووي، ومن خلال تتبع طريقة التنظيم نفسها نستطيع أن نحدد الجد المشترك لأي مجموعة عرقية على الأرض، وتحديد أين عاش ومتى تقريباً، في هذه الحالة لدينا شيء فريد جداً، شخص يحمل الحمض النووي لسلالة مختفية عن الأرض منذ آلاف السنين، لقد رحلت عن الأرض في الفترة بين هبوط آدم عليه السلام وطوفان نوح عليه السلام...

ران الصمت على الجميع لعدة دقائق قبل أن يكمل سيمال حديثه قائلاً:

كان لابد من استخلاص المعلومات من الكائن مباشرة، وهنا انقسم العلماء إلى فريقين فريق أراد أن يصدمه بحقيقة أن رحلته فشلت تماماً وهو الناجي الوحيد، الفريق الآخر أراد له أن يدرك نجاح

الرحلة ووصوله إلى الهدف المنشود، ولكن أمام هذا الاقتراح عقبات أهمها هي اللغة، الأمر الآخر صلته بالأنتى التي كانت معه في نفس الحافظة، واستمر التداول كثيراً بين الفريقين في النهاية انتصر الفريق الأول ولكن دون تدخل مباشر من العلماء، فليكتشف كل هذا بنفسه في الوقت الذي يتم فيه مراقبة ردود أفعاله المختلفة... تم بناء سفينة هيكلية مشابهة للسفينة التي نقلوا منها بنفس أبعادها، وتم وضع الحافظات في قاعة مشابهة للقاعة التي كانت فيها من قبل، وبدأ العد التنازلي لاستيقاظه تنحى سيغال إلى اليمين قليلاً ليتيح للجميع متابعة العرض الهولوجرامي لما حدث... انزاحت القبة الخارجية للحافظة التي كان بها، وبدأ صوت أنينه الخافت معلناً استيقاظه بعد سنوات من النوم الصناعي، وكان أول ما فعل أن أخرج جسده بصعوبة بالغة منها، وانهار مباشرة على الأرض سرعان ما استند على الحافظة قائماً مخرجاً ما يشبه حافظة الإسعافات الأولية من أسفلها، وأخرج منها قناع تنفس صناعي واضعاً إياها على أنفه وفمه، وأخرج كذلك محقن يحتوي على مادة قرمزية اللون وحقن بها نفسه، ولم يكذب يفعل حتى تجلت أمارات الألم عليه لعدة لحظات قبل أن يخلع القناع ويقف منتصباً مشرق الوجه كأنما هو نائم الأمس وليس منذ عدة آلاف من السنوات، توجه مباشرة بعدها إلى آخر القاعة ومرر يده على جزء منها عدة مرات متباعدة بدأ الانزعاج والحيرة على تفاصيل وجهه، اتجه بعدها إلى نفس الحافظة التي كان بها، وأخرج جسد الأنتى التي معه وفعل معها مثلما فعل مع نفسه، ولكن جسدها

لم يستجب لشيء، وبعد عدة محاولات أدرك أنها ماتت، ظهرت على وجهه علامات التأثر الشديد، وصل إلى بكاء صامت استمر الأمر بضع دقائق قبل أن يحملها ويضعها برفق من جديد داخل الحافظة ووقف أمامها في صمت ...

ظل هكذا قرابة الاثني عشر ساعة على ما يبدو فقد كان نوعاً من التكريم، قالها سيغال.

تسارع العرض حتى توقف وبدأ في فتح الحافظات واحدة تلو الأخرى، ازداد توتراً وتأثراً كلما فتح واحدة مكتشفاً أن من فيها قد انتهى، وبدأ في الصراخ المتواصل ... هنا قرر العلماء التدخل لئلا يصل إلى حالة من الجنون أو الصرع فتفقد التجربة الهدف منها، عقب سيغال.

نقل العرض بعد ذلك دخول خمسة من الجنود شاهرين أسلحتهم في وجهه ومن خلفهم أحد العلماء يحاول التحدث معه ... توقف عن الصراخ ناظراً لهم في صدمة حقيقية، ثم فجأه تحرك بسرعة ولكم أقرب الجنود إليه فقذف به عدة أمتار للخلف ... أصبحت المبادرة في يديه وتفاجأ الجنود بما حدث وبسرعة حدوثه، ولم تمض بضع لحظات حتى أجهز عليهم جميعاً ثم اقترب في ببطء من العالم وعلى وجهه ارتسمت كل أمارات الغضب التي في الكون ... حاول العالم التراجع للخلف وهو يردد العديد من العبارات بلغات مختلفة ولكنه قابله بترييد كلمة وحيدة بلغة ما ... قبض على رقبته ثم حطمها ... تراجع إلى الحافظة التي كان فيها ومن الطرف الآخر مرر أصابعه على جزء منها ... كشفت عن فجوتين

أدخل يديه فيها ثم أخرجها وقد التف حولها مادة سوداء اللون سرعان ما أحاطت بجسده بالكامل وقف بعدها عدة لحظات أمام الحافظة قليلاً قبل أن يغادر القاعة، وهناك قابل ثمانية عشر جندياً قتلهم وأكمل طريقه ...

استدعى الأمر فرقتين مدرعتين وآلاف الجنود قبل القضاء عليه، قالها سيمال، في الوقت الذي انتهى فيه العرض بدا الارتياح على وجه العسكريين وغرقت القاعة في صمت من جديد استمر بعض دقائق قبل أن يكمل سيمال قائلاً:

نفس الخطوات التي اتبعتها بعد استيقاظه تم تجربتها على السفينة الأصلية لم توصل إلى شيء محدد، العائق الرئيسي عدم قدرتنا على ترجمة اللغة التي كتبت بها المعلومات والإرشادات في السفينة، وليس لها صلة بشكل أو بآخر بالكلمات القليلة التي قالها وهي غريبة تمامًا عن لغة السودون.

مهلاً سيد سيمال، لقد قلت منذ قليل إن العلماء استطاعوا أن يستخرجوا بعض المعلومات من سجل الرحلة مثل بدايتها ونهايتها والفترة الزمنية، قاطعه الدكتور يونس.

نعم هذا حدث كل تلك المعلومات أخذت من خلال المقارنة بالخرائط النجمية المسجلة على السفينة بما لدينا من خرائط ... لربما تكون هناك معلومات أكثر قد تم دونها بها من الأكوام الهائلة للبيانات عن السفينة والحادثة، وستسلم إليكم جميعاً بعد نهاية الاجتماع ... الفرضية الأكثر شيوعاً عند كل من درس هذه الحالة أن السفينة خرجت في مهمة لاستمرار الجنس، وأن الكوكب الأصلي

تعرض لكارثة ما أنهت على وجوده بالكلية، ولكنها لا تفسر سبب تركهم بالكلية لكوكب المايكا ... أغلب التقنيات والمواد التي وجدت على السفينة ساهمت بشكل كبير في تطوير العديد من التقنيات، سواء العسكرية أو المدنية، وفتحت أماناً مجالات جديدة للعلوم، في المقابل قدمت العديد من الأسئلة بلا جواب واضح ...

عاد سيمال إلى مقعده من جديد وبدأ يوسف الحديث قائلاً:

الأوامر الصادرة من القيادة حددت هذه المنطقة كهدف أول لرحلتنا الاستكشافية، مهمتنا دراسة المنطقة بشكل دقيق وعميق ... التعامل مع المستجدات يتم وفق بروتوكولات الاستكشاف الفضائي... في حالة الحرب يتم تطبيق القانون العسكري وفرض حالة الطوارئ القصوى ... السادة المدنيين هل لدي أحدكم أي استفسار أو تعليق يود طرحه قبل إنهاء الاجتماع؟ ...

سيد يوسف أنا لم أكون صورة فعلية للوضع في تلك المنطقة، ولكن على فرض وجود حضارة متقدمة فيها قبل عشرين ألف عام من الآن، بلغت من التطور ما لم تبلغه حضارتنا في الوقت الراهن، هل من الحكمة الذهاب إليهم بألة حربية عملاقة كالفلك بما فيها وما عليها؟

دكتور عبد الرحمن الفلك في ذاتها ليست آلة حربية، وإنما هي وسيلة من وسائل التواصل بين المخلوقات المختلفة، وفي ذات الوقت فهي آلة حربية للدفاع عن نفسها أولاً وأخيراً وليس للاعتداء على أحد، وفي حالة فقدان الفلك لأي سبب من الأسباب فهي قادرة على حماية ما فيها من أسرار ...

ونحن؟! ...

الدكتور يونس معقبًا ولم يجد ردًا مباشرًا، بل نظر له يوسف نظرة أدرك منها ما يراد أن يقال

ران الصمت على القاعة عدة لحظات قبل أن يقطعه يوسف قائلاً:
أشكر للسادة العلماء حضورهم وأتمنى أن يضطلع كل منكم بمهامه،
وعند حدوث أي مشكلة أو خلل فأتمنى إبلاغي فوراً دون تأخير،
وإذا لم يكن هناك شيء آخر للمناقشة فالاجتماع قد انتهى ...
غادر العلماء القاعة بالإضافة إلى المهندس سليم، وبدأ اجتماع من
نوع آخر ناقش فيه يوسف مع العسكريين الإستراتيجيات المختلفة
والتكتيكات القتالية، ومدى تعلم الضباط والجنود بالأخص جنود
السودون، استمر الأمر بضع ساعات قبل أن ينهيه يوسف ويتوجه
إلى حجرة القيادة ...

اختار الدكتور عبد الرحمن بمساعدة الدكتور يونس الطريق الأمثل
للوصل إلى تلك المنطقة المجهولة والمحيرة ...
الخامس والعشرون من شهر جمادى الأولى للعام السادس بعد
المائة الثالثة للألفية الثانية للهجرة النبوية...
الساعة السادسة بتوقيت السفينة ...
العد التنازلي بدأ ...

أول التقارير يرسل للأرض مع بداية الرحلة الفعلية للفضاء ...
أغلب الطاقم الأرضي دخل في حالة نوم اصطناعي، الضابط سيمال
هو قائد السفينة ...

-١٣-

اقتحمت الصحراء العربية من شمالها الغربي، هدي في الأول الوصول إلى تبوك؛ لأتزوّد منها وأكمل مسيري حتى الحجاز، ساعدني كثيراً أن أغلب الطرق ما زالت على حالها إلا قليلاً، فلم يتوجب علي قطع مسافات كبيرة داخل الصحراء المقفرة ... كغيرها من المدن والقرى التي مررت عليها لم يكن حالها بأفضل مما رأيت سابقاً ... وفي ذهني تكونت صورة بشعة لما يمكن أن تكون عليه الأراضي المقدسة ... وصلت تبوك وقد أوشكت الشمس على الغروب وعلى أطرافها وضعت رحالي وأرحت حصاني، والذي أشكو إليه ما في قلبي ... أشعلت ناراً مما جمعت من حطب ... جلست أتأمل السماء حتى غلبني النعاس

أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدهد في السماء والفأر في ال....

ابتسمت بسخرية مما سمعت لقد عاد الصداق من جديد ...

اكتسى الصوت بشيء من الحزن قائلاً:

سأشكوك إلى نفسك هل أنا صداق ... أنا شفاء لدائك يا حبيبي؟

وما دائي؟!

داؤك الأمل يا روعي ... الأمل في المستقبل في الغد ... وسيقتلك يوماً

ما، وستكون أنت قاتل نفسك بنفسك ... أنت كالظمآن في صحراء

تسعى كالمجنون خلف السراب ...

يبقى الأمل ما دام قلبي ينبض ...

هذا ما نلقنه للأطفال ونعلم جيداً أنه لا فائدة منه ...

ماذا تريد الآن؟

أن أعلمك كيف تحيي الواقع من حولك، هل فقدان عينك اليسرى أثر على نظرك؟ ألا ترى؟ ... ياعزيزي عش واقعك كما هو ...
لن أطيل الغياب سأعود قريباً جداً ...

استيقظت وقد أوشكت شمس النهار أن تشرق، قمت أملم حاجاتي بشيء من العجلة، دخلت تبوك أخيراً بعد شهر كامل من المسير وقررت في داخلي أن أمكث فيها حتى أتزود بكل ما يكفيني من زاد... رغم مرور العديد من السنوات ولكنني ما زلت ألبس ملابس العسكرية، وساعدني على ذلك أنها صنعت من مواد صناعية ذكية سرعان ما تعود سيرتها الأولى بعد برهة من الوقت، حتى أنني لم أكن في حاجة إلى تنظيفها، ووجدت أنه من غير الملائم أن أدخل البلد الحرام بها ولكنني لم أكن قادراً على التخلي عنها أيضاً ... بعد الكثير من البحث وجدت غايتي بعد أن دفنت عظام صاحبها، سروالاً فضفاضاً وقميصاً طويلاً يصل إلى ركبتي مشقوق من الجانبين إلى وسطي تقريباً، كانت مريحة وتلائم الوضع الجديد، وجدت أيضاً عمامة لفتت بها رأسي اتقاءً للشمس ... تحولت من قائد عسكري كبير إلى لم أعرف وقتها إلى أي شيء تحولت، راعي غنم أم مجرد مرتحل يبحث عن الطعام أينما يجده ... من أنا حقاً؟! لم تكن هناك إجابة واضحة وقتها.

ثلاثة أيام بلياليها أقلب ركام المدينة بحثاً عن الزاد والملابس ... كان زادي في الأساس الأغذية المعلبة من مخلفات المدن الضخمة والمياه

المعبأة، أما حصاني فكان يأكل عشب الأرض ...

كانت لهيأتي الجديدة تأثير نفسي كبير على كما لو أن ثقلاً كبيراً قد زال عن كاهلي بعدما طويت ملابسني العسكرية وخبأتها في رحالي... من اليوم أنا آدم عمر فقط بلا ألقاب أو تشريفات، بل وحتى إحساسي بالكبرياء والفخر إحساس القوة والغرور الذي تملكني طويلاً زال بلا رجعة.. لقد ولدت ذلك اليوم من جديد. تلون الأفق بضوء الشمس بعدما قضيت ليلتي الأخيرة في تبوك رحلت عنها بغير ما جئتها، وللمرة الأولى منذ المعركة الأخيرة أبتسم، نعم لقد ابتسمت ... لن أنظر للخلف مجدداً.

بعد أسبوعين تقريباً وصلت إلى مدينة ينبع، ومنها قررت أن أرتحل إلى المدينة المنورة أولاً قبل الدخول إلى مكة ... لا أدري تحديداً إلى وقتي هذا أو لا أملك سبباً مقنعاً لي على الأقل لقراري ... وكأن هناك قوة خفية تحركني بلا إرادة مني ولكن على أي حال هذا ما حدث ... تمنيت من داخلي ألا أراها كغيرها من المدن التي مررت عليها ... تمنيت لو أن المسجد كما هو ... ولكن وما نيل المطالب بالتمني ... وصلتها بعد الظهر ... ريحها طيب ... ملأت صدري من هوائها ... قصدت المسجد ... لا أدري بأي وجه أقابل قبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أبوجه الأمس وكلي فخر وكبرياء؟ أم بوجه اليوم وكلي عار وخزي؟ أم بوجه المقاتل المهزوم؟ أم بهذا الوجه الذي لا أعرفه؟ ...

اقتربت بحذر أشق طريقي بين الركاب والبقايا العظمية المتناثرة ... دمر بالكامل ... حاله كغيره مما مررت عليه ... شهرين كاملين لا

هم لي إلا إزاحة الركام عن قبر النبي وصاحبيه ...
اعترتني الكثير من المشاعر وأنا راحل عنها ... إن كانت العاصمة
هي الفخر والعز الحضاري لنا، فهنا مجدنا الأبدي ومصدر عظمتنا
الحقيقية فتحت ركامها نور يملأ ما بين المشرق والمغرب ...
لم أجد ما يدلني على ميقات أهل المدينة (ذي الحليفة) فلما
وجدتني قد أدبرت المدينة قاصداً جنوبها الغربي متجهاً إلى مكة
نويت أن أؤدي العمرة احتراماً وإجلالاً للبيت العتيق. في الوقت
الذي أقبلت فيه غرة ذي القعدة قررت الحج أيضاً تقرباً إلى الله
تعالى لعله يسامحني على تطاولي وتجريي عليه ...
أقبلت أطلالها فاستحيت منها وتواريت عنها خجلاً من دخولي
إليها نهائراً فتلومني حجارتها على ما حدث ... هبط الليل فتقدمت
منها أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، أتوارى من هول ما ألم بها ...
تقدمت أتلمس طريقي بين الأطلال بإحدى يداي شعلة من نار
تنير الطريق أمامي، وبالأخرى أسحب حصاني خلفي ... بدأت
السكينة تلفني فعلمت بقرب المواجهة... حصاني لا يستجيب لحتي
له بالتقدم أكثر، زاد إصراري وزاد عناداً ... أدركت اقترابي منها فتركته
على حاله ... أدور حول نفسي في حلقات لا أدري أين أنا، قررت
البقاء مكاني إلى الصباح ... أبوح للظلمة حرجي من لقائها وخفت
عتابها ...
للمرة الأولى من زمن آخر ساجداً لله أبكي ... انقشع الليل بسواده
وأنارت الشمس الأرض بضيائها ... الدمار بلغ كل شيء إلا هي تهتك
كسوتها ولكنها كما هي ... اعتمرت يومها باكيًا ...

كانت الكعبة في الوسط يحوطها تلال من الهياكل العظمية لآلاف وربما الملايين ... احتموا فيها خوفاً من القدر المحتوم، هؤلاء ممن قرروا البقاء ... طاف بعقلي مشهد النهاية وهم يتضرعون هلعاً من مصير محتوم ... غلقت يومها أبواب السماء وحيل بينهم وبين خالقهم ... وقيل اخسؤوا فيها فلا نجاة اليوم ... اليوم يوم الدم فالأرض عطشى ... في القدم جاءت طيراً أبابيل بحجارة من سجيل فأعلت قول عبد المطلب (للبيت رب يحميه) ولكن يومها لا طير ولا حجارة ...

على أطراف صحن الطواف بنيت منزلاً لي من الخشب والحجارة المتناثرة وأطلقت حصاني ... قررت أن أقوم بتنظيف الصحن كاملاً مما فيه ... سأعيد له سيرته الأولى... وأجلت حجي إلى العام القادم ريثما أنتهي ...

بعدها بثلاثة أيام وبينما أنا أزيح بعض الحجارة والأوساخ قريباً من الكعبة إذ نضحت الأرض بالماء ... بئر زمزم فجعلت أحوط الماء بذراعي، وبنيت بناءً حول تلك البقعة يرتفع لمتر واحد، ارتفعت فيه الماء إلى الوسط ولم تعلو عن ذلك ...

كان عملاً شاقاً مرهقاً ولكن قلبي كان مطمئن بلا وجل ... أخذ مني الأمر ثمانية شهور كاملة، استطعت فيها أن أنظف صحن الطواف بالكامل ... دائرة ضخمة تحيط بالكعبة بطول خمسمائة متر تقريباً ... خارجها جبال من الركام كانت تشكل جزءاً من المسجد والمسعى... قررت أن أبدأ بتنظيفه بداية من الغد أو على الأقل توضيح الجبلين، الصفا والمروة، وتعبيد الطريق قدر المستطاع

بينهما

استفتقت من نومي قبل الفجر توضأت ويممت وجهي شطر الكعبة مصلياً، ولم أكد أكبر تكبيرة الإحرام حتى سمعت حركة من خلفي ... كبرت وفات الأوان لأعرف أكان شراً أم خيراً ... قرأت الفاتحة بصوت عالٍ لأستجمع شجاعتي، فقد بدأ الخوف يدب في أوصالي انتهيت منها على مفاجأة ...

أصوات متداخلة تأمن خلفي ... لك أن تتخيل مقدار سعادي ... أنهيت صلاتي سريعاً ونظرت خلفي فلم تكن مفاجأة سماعهم بمفاجأة رؤيتهم ... أربعة من الشباب لا يتعدى عمر أكبرهم تسعة عشر ربيعاً وأصغرهم خمسة عشر ... من شدة ارتبائي وفرحي قمت إليهم أسلم عليهم وأقبل فيهم حاضناً لهم ... بادلوني شعور المحبة والسعادة وإن علت وجوههم نظرة ارتباك من شدة حفاوتي بهم وبدأت الحديث قائلاً:

أبشر أنتم أم ملائكة؟ ... تبادلوا النظرات فيما بينهم حتى قال أكبرهم:

بل بشر ياعماه، أنا عبد الله وهؤلاء إخوتي مصطفى وسليمان وعبد الرحمن ...

الحمد لله رب العالمين أن ألحقكم بي لقد كاد الجنون يلتهم عقلي من قلة حديثي مع أحد ... تفضلوا استريحوا ولا تؤاخذوني، فلقد كدت أموت خوفاً لما سمعت حراككم خلفي عند الصلاة ...

وقبل أن نجلس قال أصغرهم وهو عبد الرحمن:

هل عندك ماء؟

نعم.. البئر هناك ... وسأذهب لآتي لكم بطعام ...

توقف الحديث بيننا في فترة طعامهم أقبلوا إليه إقبال الجائع المحروم ... أكبرهم عبد الله شاب أسمر البشرة نحيل البدن ذو قوة بادية، وعلى وجهه سمات أهل اليمن، ولا يختلف أحد من إخوته عنه في شيء لولا أن لاحظت أن سليمان ومصطفي متقاربين في الملامح، عرفت فيما بعد أنهما توأمان، أما عبد الرحمن فهو نسخة مصغرة من عبد الله

كان السؤال الأول الذي تبادر إلى ذهني من أين جئتم؟ ولم جئتم إلى هنا؟ ... ما قصتكم؟!... تبادلوا النظرات فيما بينهم وبدأ عبد الله الحديث قائلاً:

نحن من جنوب الجزيرة العربية ... مات أبي منذ عدة سنوات وتركنا مع جدي وأمي ... لنا تجارة بسيطة كفلت لنا العيش الكريم بلا حاجة من أحد وماتت أمي قبل الحرب بشهور ... جدي كانت سيدة مسنة تخطت حاجز المائة بقليل، ولما بدأ الناس بالرحيل من حولنا بعد الهزيمة لم نستطع الرحيل معهم لكبر سنها وأصرت على البقاء لتموت في بيتها الذي عاشت فيه كل عمرها تقريباً ... لم نملك وقتها قدرة على اتخاذ قرار الرحيل طمعاً في قليل من الأمان بجوار جدتنا التي أظلت علينا بود ومحبة كبيرين، وقبل القصف بيوم واحد أمرتنا أن نحملها إلى قبر أبي وأمي لتقرأ عليهما الفاتحة لإحساسها بدنو أجلها، ويشاء الله أن نجوا جميعاً من الموت المحقق ذلك اليوم، وماتت جدي بعدها بيومين فقط ولم نعرف ماذا نفعل بها، حفرنا قبراً ووضعناها فيها ...

وطوال السنوات الماضية عشنا في نفس المنطقة نقتات على القليل من الطعام من بقايا المدن والقرى التي حولنا ... ومنذ سنه تقريباً بدأ يأتينا جميعاً رؤيا واحدة وهي أننا نطوف بالكعبة مع الكثير مثلنا وأمامنا رجل، ولما انتهينا من الطواف جلس واضعاً رأسه بين قدميه وأكلنا منها ... (اتسعت عيني ذهولاً مما سمعت إنها رؤياي) ... وصراحة فلقد صدمنا حينما رأيناك فأنت هذا الرجل الذي رأيناه في الحلم بعمامتك البيضاء المتسخة، وملابسك المهترئة، بل وعينك اليسرى ال

لقد خسرتها في الحرب ... كانت محاولة مني لأشاركهم قصتي، مستعوضاً عن سنين بلا حديث مع أحد ... سعيد بوجودهم معي خائفاً من المستقبل متحيراً في تلك الرؤيا التي جاءتهم وجائتني، أهي تصاريف القدر لا أعلم ... ماذا أستطيع أن أقدم لهم؟! ... ولم أنا تحديداً؟! ... أسئلة بلا إجابات ...

كيف فقدتها يا عمه؟! ... كان سؤالاً مباشراً من عبد الرحمن، والذي باغتني به مخرجاً إياي من تفكيري للحظات، لم تكن لدي الرغبة لأحكي لهم قصتي الآن ... فلقد عذمت على تنظيف المسعى مما به من ركام وقد أشرقت الشمس فقلت لهم:

ليس الآن فأمامي الكثير من العمل استريحوا وبالليل أحكي لكم ما تريدون.

ماذا نستطيع أن نفعل معك؟

لا عليك يا عبد الله، أريحوا أجسادكم بعد سفركم الطويل هذا ولا تقلقوا فأمامنا الكثير من العمل ... أشرت لهم إلى غرفتي التي

أقمته على أطراف صحن الطواف؛ ليستريحوا فيها اتقاءً لشمس مكة ريثما أبني لهم واحدة أخرى في الأيام القادمة ... حينما اعتمرت سابقاً كنت أسعى بين الجبلين فوق أكوام من الركام والحديد ... جلست أفكر كثيراً كيف سأقوم بهذا العمل مع ضخامة القطع الحجرية الضخمة وأطنان الحديد ... الوضع مختلف عن صحن الكعبة فأغلب ما كان فيها كان عبارة عن قطع صغيرة من الحجارة أكبرها كنت قادراً على حمله ولكن الوضع هنا مختلف، سأحتاج إلى آلات كبيرة لحمل الركام وقواطع من الليزر لقطع الحديد، ولكن أين أجد مثل تلك الآلات وقد انتهى كل شيء ... في ذهني تشكلت فكرة ما ولكنها تحتاج إلى الكثير من العمال وليس لدي إلا أربعة فقط أشك في تقبلهم لهذا العمل الشاق، ولكن في النهاية قررت أن أبدأ بنفسي ... قسمت المنطقة الواقعة بين الجبلين إلى عشرة مناطق، كل منطقة على حسب صعوبة السير فيها، فأكثرها صعوبة كانت لها الأولوية القصوى في تنظيفها أو على الأقل جعلها يسيرة قدر الإمكان ريثما يقضي الله أمراً كان مفعولاً ...

قضيت اليوم كله في التخطيط قبل المغرب بساعة تقريباً رجعت إلى مكمني من جديد ... كان الشباب يغطون في نوم عميق جداً لم أرد أن أوقظهم من النوم أكلت قليلاً من الطعام وجلست برهة من الوقت حتى نمت

الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله ...

استيقظت متسائلاً على صوت الأذان والذي أسمعهُ للمرة الأولى منذ زمن طويل ... لم أعتد بعد على وجودهم معي ... صلينا الفجر وبعدها سألني عبد الرحمن بشغف أن أحكي لهم حكايتي.. سردت عليهم كل ما مر بي من أحداث مختصراً بعضها ومستفيضاً في بعضها ... كانت علامات الانبهار واضحة على وجوه الجميع بلا استثناء، ولما انتهيت قال عبد الله في انفعال واضح:

سوف نتبعك أنا وأخوتي من اليوم إلى أن يفرق الموت بيننا ... ابتسمت من ردة فعله المفاجأة قائلاً:

لا عليك مني الآن فأنتم المستقبل والحاضر، وأمامكم حياة جديدة لها قوانينها الخاصة، حياة لم أحيها من قبل، وما زلت أعاني فيها من الماضي ولن أكون ذا نفع فيها لكم ... والآن دعوكم من هذا الحديث هناك أمر أريدكم أن تساعدوني عليه ...

طرحت عليهم رؤيتي وما أريد القيام به، كانت حماسهم أبلغ من أن توصف ... بدأنا بالأماكن الأكثر وعورة في المسعى نكسر الحجارة حتى تستوي الأرض فيكون السير عليها أهون وأقل خطراً.. استمر الأمر على هذا المنوال أسابيع عديدة يتخللها أوقات البحث عن الطعام في مخلفات المدينة الضخمة...

في الواقع كان الأمر في النهاية مخيباً للآمال؛ فلم نستطع رغم كل هذه المدة عمل الكثير كنا نحتاج لآلات عملاقة وآيادٍ أكثر بكثير مما لدينا، ولكننا لم نياس على الأقل جعلناها أقل وعورة وخطراً من ذي قبل، لقد فعلنا كل ما بوسعنا ولم يعد هناك ما نستطيع القيام به ...

بدأ الأمر في التغيير المفاجئ، منذ اليوم الأول من شهر ذي القعدة من العام الثاني لي في مكة، فمنذ الصباح بدأت أعداد كبيرة من البشر تهوي إلى الحرم من أماكن شتى، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ... لم تكد لتستقبل أحدهم فتستعلم منه حتى يأتي غيره فرادى ومجموعات، استمر الأمر شهراً كاملاً حتى بلغ عدد القادمين في النهاية إلى ألفي نفس تقريباً، أعمارهم بين الخامسة عشر إلى الستين كلهم من الذكور ... افترشوا الصحن نياماً بالليل سجداً بالنهار... وملأوا أركان المسجد بأصوات الدعاء والقرآن ليلاً ونهاراً ...

تركت قضية إعادة الإعمار إلى أجل فنحن بحاجة إلى الطعام الآن ... أقبلت العشر الأوائل من ذي الحجة، كنا نعاني نقصاً شديداً في الغذاء الأمر الذي دعاني للطلب من بعضهم المساعدة في البحث عنه في أرجاء المدينة الكبيرة، وتشكلت الفرق من المتطوعين لهذا الأمر ...

ليلة الخامس من شهر ذي الحجة وقفت فيهم منادياً:
 أني قد عزمت الحج هذا العام إحياءً لركن الإسلام الخامس وتطهراً من الذنوب ... فهلم بنا نحيي هذا الفرض بعد سنوات من القطيعة ...

كانت الاستجابة متفاوتة بين الجميع، ولكن في النهاية وبعد مداورات ومشاورات اتفق الكل على هذا الأمر ... خلال الشهر الفائت كنت أقدم للإمامة بالناس دون طلب مني أو سعي لذلك، حتى يوم التاسع من ذي الحجة في طريقنا إلى عرفات وبعد إقامة

الصلاة قُدمت إماماً، فلما فرغت منها إذ جاءني رجل على وجهه علامات الصلاح والتقوى وبدأ يصيح في الناس قائلاً:
أيها الناس والله لا يستقيم أمرنا إلا بتولية أحد منا علينا؛ ليكون لنا قائداً وحكماً، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ... أمسك بيدي ورفعها عاليًا قائلاً:

ومنذ قدمت إلى هنا فلم أجد من هو أفضل من هذا الرجل ليكون لنا قائداً وإماماً ... فمن رأى منكم غيره فليقدمه إلينا ... كنت في حالة من الصدمة والمفاجأة؛ فمن هذا الذي يؤمرني على قوم لا علم لي بهم ولا علم لهم بي؟ ... ولكن أكثر ما صدمني هو ردة فعلهم، فلم يكذب ينتهي حتى انطلقت الأصوات من هنا وهناك مؤيدة له في رأيه، وكان أكثرهم حماسة هم عبد الله وإخوته وقام بعدها الناس متجهين إلي يبائعونني قائداً لهم وإماماً ... نظرت إليهم قائلاً:

أيها الناس إنما أنا كمثلكم تقاذفته الأيام والسنين ولا علم لي ولا دراية بسياسة الناس والقيام عليهم فاختاروا غيري ... ثم أمسكت بيد من نادى فيهم قبل قليل قائلاً:

أوليس هذا أحق بها ففي وجهه علامات الصلاح والتقوى ...

لا والله ما أنا لها، إنما نريد قائداً، فابسط لنا يدك نبايعك واعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لَا تَسْأَلُ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ، وَكَلِّتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا) ... تم الأمر، وبين ليلة وضحاها أصبحت قائداً من جديد هذه المرة لأيتام الزمان وفرقاء الأيام

-١٤-

عدة دقائق مرت عليه مغمض العينين يراجع بعض التفاصيل في عقله وإن لم يستطع منع ذاكرته من استعادة بعض الذكريات التي مرت عليه قبل العزو أنين متصل بجانبه أخرجه مما هو فيه ... فتح عينيه ونظر إلى العبارة التي تكونت أمامه في الهواء ... أغمض عينيه من جديد وهو يحدث نفسه قائلاً:
الآن هو وقتك يا أمجد ...

ترك غرفته متجهًا إلى قاعة بعيدة نسبيًا عنها ... وفي الطريق تداعى إلى عقله ذكريات خمس سنوات مرت منذ أن أصبح رئيسًا للمدن الخمس، وكيف استطاع مع مجلس الشورى ومجموعة العلماء إيجاد الحل المناسب لمشكلة الغذاء بعدما استبد بهم اليأس فترة من الزمن ... كان الأمر في غاية الغرابة والبساطة في آن معًا ...
لم لا نزرعها!!

ما زالت الكلمة ترن في أذنيه إلى الآن بعدما فجرها الدكتور تميم بينهم في الاجتماع التالي مباشرة لتوليته الرئاسة وبدأ عقله في تذكر تفاصيل هذا الاجتماع، والذي بدأه تميم بعبارته السابقة ففتحت مجالاً واسعاً من الذهول والاستنكار والاندھاش معاً في أرجاء الحاضرين، قبل أن يطلب منهم جميعاً الصمت ليعرض رأيه كاملاً فبدأ يقول:

يا سادة لما لا نزرعها الأمر غاية في البساطة فوق ما تتخيلون

نحن نملك كل المقومات اللازمة لهذا الأمر، التربة الصالحة والمعادن المفيدة بل والبذور المعدلة وراثيًا لتنمو بسرعة ... ربما لا يدرك بعضكم أن المدن الخمس بُنيت عميقًا في داخل القشرة الأرضية مقتربة من الوشاح الداخلي للأرض، ونستمد طاقتنا بأثرها من الطاقة الحرارية الهائلة للوشاح الداخلي، والذي يحتوي على أطنان من المعادن اللازمة لجعل التربة أكثر خصوبة وقابلية للزراعة ... صمت قليلاً كأنما يفكر في شيء ما، ثم أكمل قائلاً:

ما استوقفتني حقيقة ليس الموارد فهي حولنا وبكثرة ولكن أين يمكننا الزراعة ...

حينما بدأت أستعرض المخططات الهندسية للمدن وجدت أماكن كثيرة جداً ومساحات لا أقول إنها ضخمة ولكنها كبيرة بما يكفي ليصبح لدينا الاكتفاء الذاتي المنشود ... صمت طويلاً هذه المرة قبل أن يستحته هيثم على المتابعة فأكمل قائلاً:

ربما تتهمونني بالجنون، ولكن بعد دراسة مستفيضة وجدت أن الحل الأمثل لمثل هذا الأمر هو إخلاء مدينة بأكملها واستزراعها ... لم يكذب ينتهي من جملة حتى فوجئ بعاصفة من الاستنكار والاستغراب من أغلب الحاضرين ... ولكنه أشار إليهم بالترث قليلاً وأكمل بقوله:

يا سادة لنأخذ الأمر بشيء من الواقعية حتى تنجح هذه الفكرة، لا بد من توفير البيئة الملائمة لهذه المحاصيل لاستنباتها بالشكل الأمثل والحصول منها على غايتنا دون أن تموت الفكرة في مهدها، وكما كنت أقول فإن المدن تحتوي على الكثير من المساحات

الضخمة والقاعات الغير مستغلة في الوقت الراهن، بإمكاننا إخلاء إحدى المدن وإحلال الناس في هذه الأماكن ريثما يتم استزراعها بالكامل بالشكل المثالي، ثم نبدأ بإسكانها بمن سيصبحون فيما بعد عماد استمرارنا، ولكن بعد تدريبهم وتعليمهم، فالمساحة ليست هي المشكلة الوحيدة، ولكن أيضًا الأيدي العاملة المدربة القادرة على الاعتناء بكل تلك المساحة الضخمة ...

ران الصمت على الجميع لفترة وجيزة قبل أن يقطعه أحدهم بقوله:

وماذا عن المياه دكتور تميم؟ أظن أنك أهملت هذه النقطة تمامًا..

لقد ذكرت سابقًا أن الموارد متوفرة بشكل كبير جدًا ... ولكن السؤال الحقيقي هو كيف نحصل نحن على المياه في الأساس؟ ...

تبادل الجميع النظرات بتعجب قبل أن ينهيه بقوله:

حينما بدأت البحث عن هذا الأمر اكتشفت أن المهندسين الأوائل الذين بدأوا المشروع اختاروا أماكن المدن جميعها بالقرب من خزانات جوفية ضخمة قادرة على إمدادنا بالمياه لآلاف السنين بلا مبالغة ... وربما تكون هذه معلومة جديدة على أسماعكم وليس لها دخل مباشر بما نناقشه، ولكنها معلومة أحببت أن أشارككم بها فعندما كنا نستعرض الأرشيف اكتشفنا أن المدن الخمس قد بدأ العمل بها قبل أكثر من أربعين عامًا، وليست بعد المعركة الفضائية الثانية مباشرة ولكن أُضيف إليها الكثير من التعديلات والتحسينات بعدها، ومنها بناء الأنفاق الواصلة بينها ولكنني لا أظن أن مثل هذه المعلومة قد تفيد الآن، أحببت فقط أن أشارككم

بها ...

ورغم أنها معلومة مبهمة إلا أنها لم تغب عن ذهن هيثم، ولكنه حاول تجاوزها دون الخوض فيها قائلاً:

يا سادة الآن لدينا اقتراح أوافق عليه شخصياً وأدعم الدكتور تميم فيه إلى النهاية، ولكن كما اتفقنا مسبقاً فإنني لن أقطع أمراً دون رأيكم جميعاً بصفة عامة ورأي المجلس الاستشاري بصفة خاصة فما رأيكم؟ ... ران على القاعة الصمت لعدة لحظات قبل أن تخرج الأصوات تباعاً بالموافقة الجماعية فأكمل هيثم قائلاً:

إذاً دكتور تميم ما هي المدينة الأقرب لتصورك لتكون هي المطلوبة؟..

المدينة الثالثة تجتمع فيها جميع الصفات المطلوبة، وكذلك وجود حافظات الحبوب بها، الأمر الآخر قلة عدد ساكنيها بالمقارنة بالمدن الأخرى ...

إذاً ستكون أنت رئيس المشروع من الآن، ولتختار من تشاء من العلماء لمساعدتك، وسيوفر لك الجنرال أمجد ما تحتاجه من الرجال لتهيئتها للاستزراع ... نظر هيثم إلى الدكتور خالد والدكتور سليمان قائلاً:

هل انتهيتما من مهمتكما؟ ...

نعم لدينا إحصاءات دقيقة عن كل من في المدن الخمس وقطاعاتهم وكمية الغذاء المطلوبة لكل قطاع... عقب خالد

جيد، الآن عليكم البدء في نقل سكان المدينة الثالثة وتوزيعهم على باقي المدن مع الحفاظ على التوازن بقدر الإمكان ... وسيكون

على الدكتور خالد بمشاركة الدكتور تميم تحديد الأعداد اللازمة مستقبلاً للاعتناء بكل قطاع مستزرع في المدينة الثالثة، في الوقت الذي سيبدأ فيه الدكتور تميم بمساعدة الدكتور علي بوضع منهج تعليمي في مدة لا تتجاوز الثلاثة شهور؛ لتدريب المتطوعين من الشباب والرجال والنساء للمساعدة مستقبلاً في الاعتناء بما سيقوم به الدكتور تميم مع رجاله من عمل ... وأتمنى أن توفقوا جميعاً فيما أنتم مقبلون عليه ...

انتهت ذكرياته بمجرد ولوج القاعة المنشودة (مخصصة لتدريب الجنود واختبار التكتيكات العسكرية) حينما اخترقت أذناه صيحة قتالية عالية، تحول بصره إليها ليرى مجموعة من الجنود يتدربون بحماسة شديدة، توجه إليه أمجد بمجرد أن رآه قائلاً:
نحن الآن على أهبة الاستعداد لقد اخترت المجموعة بنفسى وسوف أقودهم ...

ستخرج معهم يا أمجد؟ هذا خطر كبير عليك وهي مهمة بسيطة في الأساس ...

أنا هنا منذ عشر سنوات تقريباً والثأر يملأ قلبي ...
ولكننا لا نعرف ما سوف تواجهونه هناك ...

أتمنى أن تسمح لي بقيادة رجالي ولو للمرة الأخيرة في ساحة المعركة...

لك ما تريد، ولكن عدني بأن تبذل قصار جهدك لتعود أنت ورجالك سالمين، لا أريد أي اشتباكات مباشرة مع العدو إن قابلتموهم، أنا أريد أن أعرف ما يدور هناك بالتحديد وهل بإمكاننا أن نساعد...

أدي أمجد التحية العسكرية لهيثم في قوة وصرامة، وبإدلة هيثم التحية ثم احتضنه بقوة هامساً في أذنيه لا تلقي بنفسك في التهلكة، ورحل عنه مغادراً القاعة ...

وقف أمجد قليلاً قبل أن يلتفت إلى أحد ضباطه قائلاً:

أجمع الرجال ... لم تمض لحظات حتى كان أمامه صفين من الجنود، في كل صف عشرة منهم، وأمامهم ضابطان أقل رتبة من أمجد الذي خطب فيهم قائلاً:

أنا لم أشك يوماً في قوتكم وصلابتكم، ولكن المهمة التي نحن بصدها غاية في الخطورة والسرية، فلن يعلم بها أحد أبداً، فمن ير في نفسه ضعفاً فليبلغني الآن ولا ضير عليه ... صمت قليلاً ناظراً في وجوه الجميع وأكمل قائلاً:

هذا ما عهدته عليكم ... سوف نخرج إلى السطح في مهمة محددة وبسيطة نعرف ما يحدث هناك، لن نخرج بسلاحنا الكامل ولا ملبسنا العسكرية، فقط السلاح الشخصي لك منا ... ثم أخرج من جيبة حبة صغيرة ورفعها أمامهم مكماً:

وهذه لمن لم يعرفها سم قاتل يقضي على الإنسان في لحظات بمجرد ابتلاعها، ولا تستخدمها إلا إذا وقعت في الأسر فقط ... أمامكم ساعة واحدة من الآن لتستعدوا ... وملتقي عند المصعد الخامس ... انصراف ...

بعد ساعة واحدة كان هيثم ومجلس الشورى بأكمله يودع أمجد ورجاله عند المصعد ...

في أثناء الصعود تضاربت المشاعر بداخل أمجد ورفع يده إلى قلبه

يتحسس صورة ابنته وزوجته... أغمض عينه يسترجع آلام طامها
 حاول أن يخفيها في أعماق أعماق قلبه ...
 هل ستتركنا يا أمجد ...

لا يا حبيبي، أنتم هنا في أمان في أكبر المدن تحصينًا في العالم، ثم
 إن الغزاة لا يقتلون النساء والأطفال فلا خوف عليكِ أو طفلتنا
 أبدًا، ثم إنني وكل رجال الجيش سندافع عنكم ما دامت أرواحنا
 بداخلنا ...

أرجوك لا ترحل، لماذا لا نرحل مع الراحلين إلى الحجاز لقد سمعت
 أم صالح تقول إن الشيخ ضاحي إمام المسجد قال إنه المسيح
 الدجال ولا قبل لنا به ومأمنا هناك في الحرمين؟ ...

لا تستمعي إلى هذا الكلام يا روحي، ثم إنني لن أكون بعيدًا عنكِ،
 سأكون هناك في وزارة الحرب وسأرسل إليك من يحملك بعيدًا إلى
 إحدى مدن القاع التي أنشؤها لحماية لنا لن يطول غيابي عنكِ ...
 رحل عنها وهي متشبسة به ... يتذكر تلك الساعات التي قضاها في
 وزارة الحرب ليرقى إلى رتبة جنرال أول، ثم ليُكلف بعدها بالذهاب
 إلى المدينة الأولى من مدن القاع؛ ليقوم على حمايتها، كم كانت
 سعادته جمّة وهو يحث الخطى إلى منزله ليصحبها معه وهناك
 كانت الصدمة ...

حبيبي أمجد أعلم أنك لن تعود أبدًا أكتب إلى روحك لعلها تأتي
 إلى هنا يومًا، أنا وزهرة حياتنا ننتظرك على أبواب النعيم سلام
 على روح آيتنا وسلام عليك ... بمداد من دم كتبت حبيبته تلك
 الكلمات قبل تجرعها السم الزعاف هي وطفلته ... احتضن طفلته

طويلاً بلا دموع ينظر إلى زوجته بحيرة ...

أخرج الصوت الآلى للمصعد أمجد من ذكرياته معلناً الوصول، ولم تمض لحظات حتى فتح كاشفاً عن صحراء قاحلة انتشر رجاله حول المصعد بشكل مدروس ليراقبوا المنطقة المحيطة بهم ... انتظروا للحظات قبل أن يجتمعوا مجدداً مشكلين حلقة كبيرة، وقد غطوا رؤوسهم ببساط ما جعل الناظر إليهم من الخارج لا يفرق بينهم وبين المنطقة المحيطة بهم ... تقدم أمجد مع الضابطين إلى منتصف

الحلقة وقد أخرج خريطة وبدأ يتحدث موضحاً عليها قائلاً:

موقعنا الحالي على بعد مائة كيلو متر جنوب العاصمة أدهم سيتقدم إليها من جهة الشرق، وعلي سيتقدم إليها من الجنوب، وأنا من الغرب، أذكركم من جديد مهمتنا ليست الاشتباك مع العدو أبداً بل نجمع المعلومات فقط، احفظوا كل شيء في ذاكرتكم ... نلتقي بعد ثمان وأربعين ساعة من الآن ...

انطلقت كل مجموعة في اتجاهها ناحية العاصمة، أكثر ما أثار انتباه أمجد هو عدم وجود أضواء من العاصمة ... بعد عشر ساعات تقريباً استطاع أن يصل إلى ضواحيها كان الأمر مربكاً له ولمن معه

بعدها بثمان وأربعين ساعة اجتمع الرجال من جديد ووجوههم تعبر عما يجيش في صدورهم ... بدون حديث انتظروا بضع دقائق قبل أن تنشق الأرض عن المصعد، والذي دلفوا إليه بتردد قبل أن يبدأ رحلة الهبوط ...

هيثم ومجلس الشورى في انتظارهم، وحينما تم اللقاء ارتبك

الجميع مما بدى على الوجوه وكان أول من تحدث هو الدكتور
أحمد قائلاً:

ماذا بكم؟! ماذا رأيتم على السطح؟ ...
أجاب أحد الجنود بسخرية لم يخفها:
لا شيء ...

بعدها بعدة دقائق كان هيثم يجتمع مع أمجد في إحدى الغرف
المغلقة والذي بدأ الحديث بقوله:
ماذا رأيتم؟

لم تعد هناك دولة لنا يا هيثم البشر والجماد والحيوان كل شيء
انتهى ...

لا أدري صراحة قدرتك على التحدث معي بشيء من التفصيل في
الوقت الحالي ...

هذا هو التفصيل ياهيثم لا شيء لنا هناك أمتنا انتهت عن بكرة
أبيها ...

أغمض هيثم عينيه مرارة وألمًا ... اتجه ناحيته وربت على ظهره
قائلاً:

لا أجد من الكلمات ما أهون به على نفسي ونفسك ولكن نحن
مازلنا هنا ...

في جحور كالفئران ... قاطعه صارخًا وانهار في نوبة من البكاء
الشديد ...

بعد عدة ساعات كان مجلس الشورى منعقدًا يرأسه هيثم والذي
بدأه بقوله:

حان الوقت للعودة للسطح والبدء من جديد ...

لا أظن أن الأمر سيكون بهذه البساطة سيد هيثم، الآلاف هنا ما زال الأمل يحدوهم للقاء أهلهم من جديد، كيف سيكون ردة فعلهم إن علموا أن كل شيء انتهى بلا رجعة؟ ولقد رأيتهم ما حدث للعسكريين لا أظن أنها فكرة سيديدة في هذا الوقت يلزمنا البدء في خطة شاملة لتهيئة الناس للأمر قبل صدمهم بشكل مباشر ... وكيف ترى الأمر دكتور يحيى؟ ...

لا أدري تحديداً ولكن أرى أنه من الخطأ الخروج الآن، لنتنظر بضع سنين أخرى ...

هناك أمر يشغل بالي منذ ولجنا إلى هنا، ما مصير من سيبقى على السطح ... تقرير السيد أمجد يتحدث عن دمار شامل للعاصمة، واختفاء كامل للبشر منها، ولكن ما أذكره جيداً أن أغلب الدول قد استسلمت بعد الرسالة التي أرسلها زعيم الغزاة، ما مصيرهم أيضاً هل انتهى بهم المطاف مثلنا أم أن هناك أمر آخر حدث؟ ... اتفق مع الدكتور يحيى في عدم الإسراع بالخروج إلى السطح ريثما نتبين حقيقة الأمر ... ولا ننسى أنه مهما كانت العاصمة ضخمة فإنها جزء يسير من دولتنا، لا بد لنا من تبيان حقيقة الأمر كاملة.. تعالت الأصوات بالموافقة على رأي الدكتور يحيى والدكتور داوود قبل أن يقول هيثم:

إذا لا بد لنا من جولات استكشافية أخرى ...

لا داعي لذلك سيد هيثم، لقد كنت فيما مضي مسؤولاً عن تطوير محايي بشري (ذكاء اصطناعي) لوزارة الحرب، كانت مهمته الرئيسية

هي جمع البيانات وتصنيفها لصناع القرار، أظن أنه سيكون ذا نفع كبير لنا ...

كيف الوصول إليه دكتور توفيق؟

هناك في أقيية وزارة الحرب من الممكن الحصول على وحدة التخزين له، ولكن مكانها تحديداً فهذا أمر لا أعرفه ومن الممكن الحصول على المعلومات منه مباشرة، فمن ضمن خصائصه مساعدة ضباط هيئة الأركان، ولكن لا أدري هل مازالت الطاقة تع قطع حديثه دخول أحد جنود التأمين للقاعة متوجهاً إلى هيثم وهمس في أذنه بكلمات، فأشار له بالموافقة ولم يكد الجندي يخرج حتى دلف أمجد واستأذن في الحديث فأذن له:

منذ أن وطئت هذه المدينة وأنا أعد العدة لمغادرتها، انتظرت طويلاً جداً ربما يهبط علينا أحدهم ليخبرنا أن الأمر انتهى ولا داعي لبقائكم هنا، ولما تناول الزمان أدركت أن الكارثة قد حدثت ولا مجال للمغادرة في الوقت الراهن الآن، وبعدما اكتشفنا ما حدث هالني الأمر في البداية، ولكنني أدركت أن الحياة دول يوم لك ويوم عليك ... الآن أنا أتمنى أن تسمحوا لنا جميعاً- نحن العسكريين- بالخروج إلى السطح بكامل سلاحنا ومعداتنا للبحث عن العدو وقتاله أينما وجد ...

ضجت القاعة بأصوات الاستهجان الشديد لما يريد أمجد القيام به بخلاف هيثم الذي ظل صامتاً، وإن بدت عليه علامات التفكير الشديد ... تزايدت حدة التوتر، في الوقت الذي بدأ أمجد يتحسس سلاحه الشخصي كأنها سيلجأ إليه لحسم الصراع لصالحه ... وقف

هيثم وبدأ الحديث في خضم هذه الأصوات المتداخلة، ولكن أحدا لم يستجب له ... في الوقت الذي كان أمجد يواجه الجميع بعصبية لا حدود لها ... أخرج سلاحه ووجهه للجميع ... تعالت الأصوات بشكل أكبر وأصبحت تُسمع من خارج القاعة في سابقة هي الأولى من نوعها ... اقتحم مجموعة من الجنود على رأسهم عدد من الضباط لمؤازرة قائدهم باللغة الوحيدة التي يعرفونها، القوة ... ظهرت المفاجأة على وجه أمجد ولكنه في قرارة نفسه أدرك أنه وصل إلى نقطة اللاعودة... بدا أن حمائمًا من الدم على وشك الوقوع ... لم تخف عصبية أعضاء مجلس الشورى بل زادت ... في النهاية سيطر أمجد على الوضع تمامًا... أمر جنوده بالقبض على الجميع والتحفظ عليهم في ذات القاعة مقيدين في أغلالهم ... توالى الأحداث بشكل سريع... تم إعلان الأمر للجميع في المدين الخمس وفرضت حالة الطوارئ وتهديد الرافضين بالقتل الفوري ... وأعلن أمجد نفسه رئيسًا عامًا للمدن ... إخلاء المدينة الخامسة (قرب ديار بكر) من المدنيين ونُقل أغلب العسكريين إليها ... خرجت العديد من فرق الاستطلاع في كل اتجاه... توالى المعلومات العسكرية ... وأدرك أمجد ورجاله الوضع على السطح بالكامل ... أنشأ جهاز مخابرات بما توفر له من ضباط، وشكل هيئة أركان... تم التخطيط لشن حرب عصابات طويلة الأمد مع العدو ... بعدها بسنتين تقريبًا أفرج أمجد عن هيثم ومجلس الشورى ومن تم التحفظ عليه من العلماء والإداريين والمهندسين ممن رفضوا تحركه في البداية، وانتقل كل العسكريين إلى المدينة الخامسة..

واستقل عنهم تمامًا دون الخضوع لهيثم أو مجلس الشورى ...
ولكنه فرض عليهم حصة من الغذاء شهرياً ...
وبدأت حلقة جديدة من الصراع ...

-١٥-

تاماي ... تاماي

استيقظ الفتى فرغاً من صوت توماي الهادر كذلك صوماي الذي بدأ يحدثه قائلاً:

ماذا هناك أيها القائد توماي!!!؟

أخذت الإذن من الكاهن الأعظم للبدأ في تدريب تاماي ...

اتسعت عيناه فرغاً ناقلاً بصره بين الطفل الذي بدا على وجهه علامات الحيرة وعدم الإدراك لما يحدث ...

ماذا!!!؟ ... تدريب الطفل ... ولكنه مازال صغيراً بعد لتنتظر عدة سنوات أخرى أرجوك أيها القائد ... سنتين فقط ...

موتاي لن ينتظر طويلاً، على الأرجح الآن أنه يرسل حشراتهِ إلى أرجاء الكون للبحث عنه، وسيتوجب علينا مغادرة الكوكب بعدها.. هيا ياتاماي ...

تحرك الفتى باتجاه توماي وهو ينظر إلى صوماي نظرة استجداء ... عندما بدأ الصبي يدرك ذاته رأى صوماي وتوماي الأقرب إليه من بين الجميع، فكأنهما هما أبواه وإن كانت في توماي غلظة شديدة فإن صوماي كان أكثر حلماً به مما جعله أقرب إليه من توماي ... مرت أسابيع قليلة منذ بدأ في تدريبه حتى انتشرت الجروح على جسده الصغير ... كان قاسياً جداً في تدريبه ... تدخل صوماي لإيقاف تدريب الصبي بهذا الشكل القاسي، واستطاع بعد جهد طويل أن يقنع توماي بالبدأ في تدريبه أولاً ريثما يعلمه المبادئ الأساسية ثم

بعد ذلك يتولى تدريبيه ... في الوقت الذي وقف فيه كهنة الغفتاي على الحياد، فمهتم الأساسية هي البناء العقلي للإمبراطور القادم وتركوا مهمة البناء الجسدي لتوماي وصوماي ...

كان صوماي وتوماي يمثلان مدرستين قتاليتين مختلفتين تمامًا عن بعضهما البعض، ففي الوقت الذي كان صوماي يعتمد على خفة الحركة والسرعة العالية واستغلال المنطقة المحيطة به في أثناء القتال كان توماي على العكس تمامًا منه، القتال بالصدمة مستغلًا قوته الجسدية الخارقة ولكل منهما مميزات وعيوبه ... لم تنقطع الجلسات الدورية بين تاماي والكاهن الأعظم وبعض الكهنة لتعليمه العلوم الأساسية وتاريخ الساناي وفنون القيادة وأساليب الحكم ...

بلغ تاماي الخامسة والعشرين من عمره، أصبح مقاتلاً لا يشق له غبار وتفوق على معلميه... وهنا قرر الكاهن الأعظم أن الوقت قد حان لبدأ رحلته الفعلية لتغيير واقعه وواقع الساناي بالكامل.. وتبقى الجزء الأخير من تعليمه وتدريبه ...

كانت العادة أن يجتمع توماي وصوماي مع تاماي وبعض الكهنة في الجلسات الصباحية التي يعقدها الكاهن الأعظم، ولكن هذه المرة انطلق تاماي مع الكاهن الأعظم وحيدها، ودخلا الغرفة المحرمة في سابقة هي الأولى من نوعها أن يدخلها أحد غير الكهنة ... وفي منتصفها جلس الكاهن الأعظم وأمامه جلس تاماي ...

سوف ترحل قريبًا ياتاماي لتلاقي قدرك، ستواجه وحيدها منفردًا أعظم وأقوى آلة حربية عرفها الكون كله، ومهما بلغت قوتك

فستكون بحاجة إلى قلبك وعقلك معًا، تمازجهما سيجعلك قائدًا عظيمًا ... واعلم أن الفرد أصل كل شيء فأنت أنت لا غيرك طيبًا كنت أم خبيثًا ... وهي حياة بعدها موت فكن فيها طيب الأثر رحيم الطبع جيد الصورة... تذكر دائمًا أن الخير جوهر كل عمل، ولكن رب خير لك شر لغيرك فحكّم قلبك واستشر عقلك... وأنت مقبل على أمر عظيم فاختر صحبتك والزم رأي من حولك ولا تنفرد بقرار وإن كان الصواب، فإنك إن خالفتهم خالفوك، ولا تجبرهم ولا تحيرهم فكن كالسيف قاطع الرأي حازم الهمة ... ولا تأمر بشيء لا تفعله، وكن أمامهم ولا تكن خلفهم، وعامل بالإحسان دون انكسار.. ولا تظهر ضعفك لأحد ... قاتل بلا رحمة ... وارحم إن ملكت ... واعلم أن المجد لا يأتي على دماء الضعفاء، فكن لهم حاميًا ومعينًا.. صمت طويلًا قبل أن يبدأ جسده في الارتفاع عن الأرض في الوقت الذي بدأ جسد تاماي في الارتفاع أيضًا ولكن بدرجة أقل، وحولهما تشكلت هاله ضوئية في الوقت الذي انخفضت فيه إضاءة الغرفة بشكل كبير، وكأما شعاع من الضوء يتحرك من صدر الكاهن حتى يصل إلى تاماي فيزداد تألقًا ووهجًا

بعدها بقليل كان تاماي يخطو خارج الغرفة المحرمة وعلى يديه يحمل الكاهن الأعظم بعدما فارق الحياة ... وفي مشهد مهيب من صباح اليوم التالي تجمع آلاف الرهبان من شتى بقاع الكوكب، ولما اكتمل العدد بدأت مراسم الموت لأعظم كاهن في تاريخ الساناي قاطبة ... في حلقات متصلة بعضها خلف بعض حول جسد الكاهن الأعظم جلس الرهبان كاشفين عن صدورهم يتمتمون جميعًا في

وقت واحد بإيقاع منتظم، يراقبهم تاماي وتوماي وصوماي ورجاله من ربوة عالية ... وبدأ الجسد بالارتفاع عن الأرض سابقًا في الهواء إلى أعلى حتى اختفى عن الأنظار تمامًا ...

بعدها بعدة أيام كانت السفينة التي جاءت بهم سابقًا على أهبة الاستعداد للانطلاق من جديد، ولكن هذه المرة حاملة توماي وتاماي وصوماي فقط، فرجال الأخير قرروا البقاء هنا إلى الأبد استمرت لحظات الوداع بين صوماي ورجاله برهة من الوقت قبل أن يلتحق بتوماي وتاماي في السفينة التي سرعان ما انطلقت لتخترق الغلاف الجوي للكوكب، بعدها بلحظات كان الجميع قد دخلوا في حالة من النوم الصناعي

بعدها بوقت طويل ...

على حافة الكون هناك حيث النهاية في أبعد نقطة منه وأكثرها ظلمة، يسبح في مدار غريب غير خاضع لأي قوة من قوى الكون المختلفة، الماغارك كوكب الظلام كما يسميه الساناي هناك حيث يختفي الضوء تمامًا ...

بدأت أجهزة الإنعاش توقظ الجميع، وكان تاماي أول من استيقظ ولفترة من الوقت لم يستطع أحد منهم التحرك ... خرجت أنابيب دقيقة من أسفل كل واحد منهم لتتصل بأجسادهم في أماكن متفرقة قبل أن يندفع سائل ما عبرها فتنتفض أجسادهم للحظات، ثم يغطون في نوم طبيعي لعدة ساعات أخرى قبل أن يستفيقوا جميعًا بنشاط جم

اتخذ توماي مقعد القيادة في السفينة وبجانبه صوماي في الوقت

الذي جلس فيه تاماي خلفهما ... اخترق الغلاف الجوي للكوكب الغامض تبعًا للمسار الذي حددته السفينة، فلم يكن أمامهم غير الظلام ... رويدًا رويدًا اهتز بدن السفينة بشكل طفيف، ثم تزايدت حدته تدريجيًا ... غشى أعينهم ضوء مفاجئ كان أمرًا صادمًا ... مرت لحظات قبل قدرتهم على الرؤية من جديد، وأمامهم أغرب وأعجب المشاهد التي نظر إليها مخلوق قط...

أشجار على مد البصر في جميع الاتجاهات ليس هذا مصدر العجب الحقيقي، وإنما مصدر الضوء الذي غشى أعينهم سابقًا ... بلورات سداسية الأضلاع ضخمة الحجم بألوان مختلفة تعطي تمازج عجيب من الألوان، والأغرب أنها معلقة في السماء تدور حول محورها ببطء ... تابعت أعينهم ما يشاهدون بتعجب وانبهار شديدين ... في الوقت الذي واصلت في السفينة طريقها اعتمادًا على طيارها الآلي حتى توقفت في السماء فوق بقعة بعينها ...

سnehبط تمامًا في البقعة التي نقف فوقها، وسيتوجب عليك السير من خلال هذا الدرب، ولا أعلم تحديدًا ما سوف تلاقي هناك، لن نكون أنا أو صوماي بجانبك هذا طريقك ولا بد أن تسير فيه وحيدًا ... لن تحمل أسلحة حديثة سيتوجب عليك أن تحمل واحدًا فقط من هذه الأسلحة ... نظر إلى صوماي الذي اتجه مباشرة إلى أحد أركان السفينة مخرجًا صندوقًا كبيرًا يحتوي على (سيف ورمح وفأس) ... لقد صنعناها أنا وصوماي قبل عشر سنوات من الآن، وما ستختاره سيكون سلاحك للأبد، الأمر الآخر ستكون عاريًا تمامًا إلا من قطعة واحدة تستر عورتك ...

توماي يشرح له ما استخرجه من أرشيف السفينة والبروتوكول الإمبراطوري على مجسم ضخم يتوسط حجرة القيادة لما يتوجب عليه فعله حتى يستحق أن يكون سليل الماتاي ...

بدأ توماي الهبوط بالسفينة حتى استقرت على الأرض وكأنها تباعدت الأشجار لتسمح لهم بالهبوط، اختار تاماي السيف ليكون رفيقه في رحلته الغامضة، اتجه مباشرة إلى باب السفينة ... فتح بتلقائية هبط إلى الأرضية التي غاص فيها بقدميه قليلاً مدرّجاً أنها أرض رخوة ستكون عائقاً كبيراً أمامه، أدار جسده إلى توماي وصوماي وهاله نظرات توماي القلقة ودموع صوماي التي يراها للمرة الأولى في حياته ...

عد سالمًا إلينا سوف ننتظرك ... كلمات توماي الأخيرة قبل أن يرتفع بالسفينة تابعها بنظره ليرى للمرة الأولى السماء ملبدة بغيوم سوداء قائمة يتخللها ومضات البرق... ترجع الأشجار سيرتها الأولى تاركة لتاماي طريقاً واحداً ومساراً جريئاً عليه اتخاذه ...

سار مسافة كبيرة في طريقه دون أن يرى نهاية واضحة له ... سيره أصبح أبطأ كلما تقدم، فالأرض تصبح رخوة أكثر فأكثر ويغوص فيها بقدميه ... تناهى إلى مسامعه أصوات لم يستطع تمييزها في البداية، ولكنه سرعان ما أدرك أنها حوافر تنهب الأرض بسرعة، ومن بعيد لاح أمامه أعجب مخلوق رآه قبلاً ... ضخم الجسد ذو أربعة أقدام ترفع جسده الثقيل بمقدار كبير عن الأرض، له قرن وحيد بلا أعين وتبرز أسنانه الحادة من بين فكّيه، وعلى ظهره بلورة كتلك التي رأى مثلها في السماء ترتفع بمقدار ضئيل ولا تنفصل عنه، لا

تغوص قدماه في الأرض مثله كأنما لا وزن له... ألجمته المفاجأة برهة من الوقت، سرعان ما استعاد رباطة جأشه ... مدرِّكاً عدم قدرته على المناورة السريعة توصل إلى خطة متأملاً نجاحها ...

اقترب الحيوان بشدة منه ... مازال ثابتاً في موقعه لا يتحرك انتظاراً للحظة الفاصلة ... أحنى الحيوان رأسه موجهًا قرنه إلى جسده ... قبل الاصطدام بلحظات انحنى إلى الخلف بكامل جسده ملتصقا بالأرض ليتمر الحيوان من فوقه ليطعنه في صدره، ولكنه سحبه معه لعدة أمتار للأمام، وسرعان ما سحب سيفه ليطعنه من جديد في أماكن متفرقة لكيلا يعطيه الفرصة لأخذ زمام المبادرة في هذا القتال غير المتكافئ ... يرتفع مستنداً على قوائمه الخلفية ليهبط على جسده ساحقاً إياها ... تدحرج بسرعة متفادياً الضربة القاتلة ليقف على قدميه سريعاً مسدداً ضربة قوية ليقطع رأسه بضربة واحدة ... ترنح قليلاً ثم مال على جانبه وبدأت قوائمه تتحرك بسرعة على غير هدى، ثم توقفت تماماً لتنفصل البلورة عن ظهره لتتعد إلى السماء متخذة لها مكاناً بين أقرانها ...

تتلاحق أنفاسه بسرعة ... ظل واقفاً في مكانه لدقائق ليتخلص من انفعاله الزائد الذي لحقه نتيجه هذا الصراع ... أكمل مسيره في ذات الطريق الرخو العجيب، وتذكر كيف أنه حينما نام عليه بكامل جسده لم يغص فيه ... أصبح السير أصعب وأصعب في الوقت الذي غاصت فيه قدماه إلى المنتصف تقريباً

تصطدم ركبته بأرض صلبة تحسسها بيديه قبل أن يصعد ليكمل سيره مسرعاً من خطواته ...

تاماي بن شوماي بن ثاتاي ...

سمع اسمه يتردد بخفوت كأنها يحدثه شخص في أذنيه مباشرة، تلفت حوله في ترقب لم ير شيئاً غير أن الأشجار من حوله بدأت تتمايل ذات اليمن والشمال ... من العدم ظهر قصير لا يكاد يصل لركبتيه يحمل عصاً بطوله تقريباً، نظر إليه في وجل وترقب اختفى فجأة كما ظهر ... أكمل مسيره بشيء من التحفز ... ظهر من جديد ولكن هذه المرة عاد بعد عدة خطوات قليلة أمامه ... رأسه أكبر ما فيه ذو فم عريض وشفتان غليظتان بلا أذنين، عيناه صغيرة ضيقة حدقاتها بيضاء بلا قزحية، باقي عينيه قد غلب عليها السواد ببقع خضراء صغيرة ... لم يحرك فمه ولكن تاماي سمع اسمه يتردد من جديد مراراً وتكراراً داخل رأسه، في الوقت الذي بدأت البقع الخضراء في عينيه تومض رويداً رويداً ...

تجمد المشهد فلا يبادر أحدهما إلى الآخر غير أن اسمه ما زال يتردد في أذنيه ... أعطاه المخلوق ظهره يسير أمامه وللمرة الأولى يرى تلك البلورة خلف ظهره ... صمت الصوت قبل أن يسمعه من جديد يقول:

أنا قغفن اتبعني ولا تسأل حتى أحدثك ...

كالمسلوب الإرادة تبعه في صمت لفترة من الزمن حتى وصلا إلى منطقة دائرية ما إن دلف إليها حتى أغلقت الأشجار من خلفه ... التفت إليه قغفن كما سمى نفسه من قبل توقف تاماي متحفظاً قبل أن تبدأ الأرض في الهبوط وتتشابك أغصان الأشجار من فوقه حاجبة السماء وحاجزة معها الضوء لفترة قبل أن يسمع تاماي

بضع طرقات لتضاء بعدها حلقة من الكلمات حوله تمامًا تقول:
هنا يقف سليل الأباطرة تاماي بن شوماي بن ثاتاي ... بعدها
بقليل أُضيئت المنطقة من حوله لتكشف له عن كهف ضخم،
على جدرانه نُقشت صور للعديد من المحاربين الأشداء في النصف
العلوي منها، أما النصف السفلي فقد نُقشت عليه أيضًا صور
لمحاربين وإن كانت أقل هيبة وقوة، يفصل بينهما خط من
البلورات الصغيرة تتقلب في ألوانها بشكل جميل في الجهة المقابلة
منه، وقرىبا من الحائط حفرة متوسطة الحجم مملوؤة بسائل
ذهبي اللون يتخلله خطوط من سائل أسود اللون ...
رجع بنظره يجول في صور المحاربين حتى وقعت عيناه على محارب
مهيب الشكل يحوطه هاله من الضوء تختلف عن البقية ...
هذا أبوك الإمبراطور المغدور ...

تمازجت المشاعر في داخل تاماي فهي المرة الأولى التي يراه...
أغمض عينيك وتقدم ببطء ... نفذ تاماي ما ألقى على مسامعه
حتى أمر بالتوقف وفتح عينيه ... كان على وشك الولوج لتلك
الحفرة الذهبية ... سمع ترانيم غريبة بلغة لم يفهمها ثم أمر
بالولوج إلى الحفرة ... بحذر وضع قدمه فغاصت حتى كعبه ...
زادت الترانيم قوة ... تهبط الحفرة للإسفل حتى غاص عن آخره
... تزداد الترانيم صخبًا وقوة ... يبدأ رحلة الصعود من جديد وقد
اختفى السائل الأسود والذهبي ليحل محلها سائل فضي ... توقفت
الترانيم ... في الخلف تكونت صورة تاماي على الجدار ووجدت
لنفسها موطئًا بين المحاربين وإن كانت أقلهم هيبة وقوة ...

أخرج للكون محاربًا أميرًا في عروقتك تجري دماء الأباطرة العظام أنت سليل الإمبراطور غامستاي، على صدرك ينقش اسمك وعلى ظهرك ينقش رمز الساناي الأوحده الرمح الأسود لجذك العظيم، وعلى سيفك ينقش أسماء كل أباطرة الساناي ... الآلام تنتشر في صدره وظهره وعلى سيفه ظهرت أسماء آباءه وأجداده ...

تقدم من جديد إلى مكانك الأول ... بدأت الإضاءة تخبوا رويدًا رويدًا ... وبدأت رحلة الصعود إلى الغابة العجيبة من جديد ... لن يكون طريقك سهلاً أبداً، سيرافقك الموت حتى ترحل عنا لتستحق في النهاية أن تكون سليل العظماء ... كان آخر ما سمعه قبل أن تفك أغصان الأشجار تلاحمها كاشفة عن السماء من جديد ... تملكه شعور غامر بالقوة ظل للحظات يتحسس بيديه وشم صدره وظهره ويتأمل سيفه ...

تباعدت الأشجار من جديد لتكشف له عن طريق العودة، ولم يكده يخطو خطوة واحدة حتى انشقت السماء عن أربعة من المقاتلين ليشكلوا سدا من أجسامهم أمامه، صبغت أجسادهم باللون الأبيض والأسود لتضفي رهبة وقوة عليهم، يحمل كل واحد منهم سلاحًا بدائيًا مختلفًا، متخدين وضعيات قتالية متحفزة، على ركن شفثيه ارتسمت ابتسامة ساخرة وانطلق نحوهم شاهراً سيفه مطلقاً صيحة قتالية مفزعة ...

قتل أقربهم إليه بضربة واحدة وتفرق الباقي محدثين فيه جروحاً سطحية في يده وظهره، تجاوزهم حتى أصبح ظهره لطريق العودة وبدأ يتراجع إلى الخلف بحذر ليقاتلهم فرداً فرداً ... أدركوا خطته ...

انقضوا عليه كرجل واحد من ثلاثة اتجاهات مختلفة ... مال
بجزعه إلى الخلف قاطعاً رأس المهاجم الأيمن بسيفه قبل أن يطعن
من أمامه طعنة قاتلة ... تراجع المهاجم الأخير للخلف وقد أدرك
قوة خصمة ظلاً يحومان حول بعضهما لبعض الوقت قبل أن تلتقي
سيوفهما في مبارزة قصيرة أنهاها تاماي لصالحه قبل أن يطلق
صرخة منتصر ...

أحدث فيه قتاله السابق بعض الجروح والتي سالت منها الدماء
لتغرق جسده، لم يعطها أي اهتمام يذكر وأكمل طريق العودة...
سار مسافة من الوقت ... وصل إلى منطقة لم يكن قد رآها عند
قدومه ... فسيحة إلى حد كبير وأمامه طريقان قد كشفت عنهما
الأشجار ... أخذ منه الأمر بضع لحظات قبل أن يقرر أن يسلك
الممر الأيسر ... سار فيه مسافة حتى تناهى إلى سمعه صوت
أقدام عديدة تقترب منه بسرعة عالية تأتي من الخلف والأمام ...
لحظات قبل أن تظهر مخلوقات صغيرة شبيهة بالمخلوق الضخم
الذي واجهه في بداية رحلته ... كان مكوثه في مكانه درباً من
الجنون؛ فهي تطبق عليه من الجانبين كاشفة عن أنيابها الحادة...
انطلق إلى الأمام عدواً قاتلاً كل من يضعه حظه العثر في طريقه...
انطلقت إلى السماء تلك البلورات العجيبة بأعداد ضخمة ولكن
بدا أنهم لا ينتهون أبداً، التعب والإنهاك يتمكنان منه رويداً رويداً
وفي غمرة انشغاله استطاع أحدهم أن ينبش مخالفه في فخذه من
الخلف، ظهرت أمارات الألم والغضب عليه معاً قبل أن يطبق
على رقبتة ملقياً إياه على أقربهم منه ... النهاية قريبة فهو لن

يستطيع أن يقاتل إلى الأبد ... تماسك بإرادة من فولاذ حتى لا يقع
 فيكون طعامًا لهذه المخلوقات... تحول لآلة قتل صماء بما تبقى
 له من طاقة ... الدماء تغطيه من مفرق رأسه لأخمص قدميه ...
 بعد عدة ساعات من القتال استطاع أن يقتل آخرهم مخلفًا أكوامًا
 من الجثث خلفه ... سقط من شدة التعب ليلتقط أنفاسه قبل أن
 يكمل طريقه ... يجر قدمه خلفه لشدة الألم بها ... سار بها مسافة
 حتى انكب على وجهه من جديد تذكر تلك المنطقة الرخوة التي
 قطعها في البداية، وأدرك لحظتها أن السير فيها درب من المستحيل...
 قاوم بما تبقى من قوة ... آلام جسده تتصاعد ... قطع مسافة
 قصيرة في وقت طويل ... تصم أذنيه زمجرة قوية أمامه كان ذات
 المخلوق الذي واجهه في البداية وقاتل صغاره منذ قليل، اتسعت
 عيناه رعبًا وخوفًا، فقدماه مكبلتان بشكل كبير وليس في جسده
 طاقة على المقاومة أكثر من هذا ... وبما تبقى من إرادة في داخله
 رفع سيفه الذي أحس للمرة الأولى بثقله ... بدا أن المخلوق يقترب
 منه ببطء على غير العادة ... قدماه لا تغوص مثله في تلك الأرضية
 الرخوة ...

على بعد عدة أمتار قليلة انطلق فجأة في حركة مفاجأة مخترقًا
 صدره بقرنه رافعًا إياه إلى الأعلى ملقيًا بجسده إلى الخلف مسافة
 كبيرة ...

يدور حول نفسه ويزحف من جديد أدرك عندها أنه هالك لا
 محالة ... يسعل بشدة ... يزحف للأمام هربًا من مصير مظلم ...
 لم يمهله كثيرًا أمسك بقدميه ونبش مخالبه فيها جازًا جسده إلى

الخلف يتلاعب به ذات اليمين والشمال ... للمرة الأولى يصرخ ألمًا...
يلتفت إليه ببقية قوة ليهوي على رأسه بسيفه ... أفلت قدميه
وتراجع إلى الخلف مترنحًا حتى سقط ... على ما يبدو أنه لم يفقد
الحياة بعد؛ فإن تلك البلورة ما زالت خلف ظهره ... يزحف من
جديد وجسده يخذله ... عيناه تغمضان رويدًا رويدًا حتى سقط
فاقدًا للوعي ... و آخر ما سمعه زمجرة المخلوق الغاضبة خلفه ...

-١٦-

صراع حقيقي في داخلي فجزأ مني كان سعيداً بهذا الأمر والآخر
 حزين جداً ... أصبحت قائداً من جديد أنا زعيم أمر فأطاع،
 أقرر فينفذ شهوة السلطة وإن كان على قطيع من غنم ... ولكنها
 مسؤولية وأمانة، فماذا أملك لأقدم لهؤلاء؟ ...

أنا أنت وأنت أنا والسמكة في البحر والهدهد في السماء والفأر في
 ال.... غبت عنك طويلاً أليس كذلك؟ ...

في هذه المرة كنت شخصين متماثلين متقابلين، أحدهما ذو ملامح
 غاضبة والآخر باسم الوجه بينهما يقف ذاك الطيف الذي أكمل
 قائلاً:

هناك مشكلة مع من أتحدث منكما، أنت تعجبني أكثر من هذا
 الغضبان ولكن لاضير سأتحدث معه أولاً ...
 أنا أنت وأنت أنا والسמكة في البحر والهدهد في السماء والفأر في
 ال....

اصمت أنت الآن ولا تحدثني فهذا الأحمق يبتغي شيئاً ليس بأهل
 له ...

ألا تدري أنني كنت قائداً عسكرياً من قبل ...

انظر حولك يا أحم....

بالله عليكم لا تتجادلان كالصبيان أمامي، وأنت ياذا الوجه
 الغاضب أخفض صوتك قليلاً فقد صممت أذني بصراخك هذا ...

وما شأنك أنت بيننا؟ ...

شأني بينكما يا عزيزي أنا أنتما وأنتما أنا ...

كيف هذا؟ ...

رجعنا إلى ذاك السؤال الأحمق من جديد ... لتتجاوز هذه النقطة الآن، سأحاول أن أصلح بينكما ولكن عدائي بألا تغضبا مني في النهاية ... اتفقنا ... اتفقنا أليس كذلك ... صمتكما يدل على الموافقة ... الآن أيها الغاضب ما يغضبك سوف تكون زعيماً مطاع الأمر مرهوب الجانب ...

أهذا ما تعرفانه عن القيادة أيها القذران تحكم وطاعة؟ وأين الأمانة ومقدراتها؟ وأين حقوق الناس؟ ألم تعلمنا سير الزعماء؟ ألا تذكران الخطاب وأبا بكر رضي الله عنهما؟ ...

يا حبيبي ومن قال لك أننا ... آسف إنه سيضيع الأمانة؟ سيكون حافظ لها أليس كذلك أيها الباسم؟ ...

نعم فأنا خير من يحفظها ...

إفما تريد لتكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ...

قلت لك اخفض من صوتك آذاني بدأت تؤلمني ...

ما دخلك أنت بالأساس من دعاك لتحكم أو لتصلح بيننا ...

ياغدرك! ألم توافق منذ قليل؟ لم تصر على جرحي دائماً؟ إفما أريد الخير لكما معاً ... إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ... وهذا أنت تأتيك الدنيا تحت قدميك فترفضها ... ما أعجبك من شخص! ...

إنك مخادع لعين أفاق ...

هكذا أنت دائماً تصر على إهانتني، سأتركك الآن لتهدأ وأتحدث مع

ذي الوجه الباسم ...

أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدد في السماء والفار في
ال...

ما أجمل ابتسامتك ... تحرك الطيف حتى صار خلفه مباشرة وبدأ
بالتحدث بصوت لا يسمعه الآخر ...

أنت على صواب ها هي الدنيا تأتي إليك صاغرة، تقول لك خذي
فيأتي هذا الأحمق ذو الوجه الغاضب ليقول لك الأمانة والناس
عن أي أناس يتحدث... ثم إنك أول من سكنت هذه المنطقة
وبنيت لك منزلاً بل ونظفتها وجعلتها صالحة للحياة من جديد،
وهم من جاؤوا إليك ولم تذهب أنت لهم ... استمع إلى ما أقوله
لك هذا الأحمق لا يريد لك الخير مطلقاً ... سأحاول إقناعه وإن لم
يقتنع ... اقتله ...

والآن أيها الغاضب لقد تحدثت مع الباسم وأقنعته بقبول ما تريد
ولكن له شرط واحد ...
وما هو؟ ...

لا أدري ... ولم يبلغني ...

إذا لم لا تجعله يتحدث؟ ...

لا لقد أيقن أن الحديث معك لا يجدي نفعاً ... تحرك الباسم فجأة
ليقبض على رقبة الغاضب في الوقت الذي التف فيه الطيف ليكبل
يديه من الخلف ...

انتفضت مستيقظاً أتحمس رقبتني ولكنني مبتسم ... أي صراع هذا
الذي يقتل الإنسان جزء منه ليحي الجزء الآخر سعيداً... ياويلتاه

أصرت مجنونًا أحداث نفسي وأقتلها ... غفوت سريعًا من جديد...
مازلت في نومي حتى سمعت إقامة صلاة الفجر ... صلى بنا ذاك
الذي أمرني على الناس قبلاً الشيخ الجليل والعالم الحبر أبو سليمان
محمد بن أحمد...

بعد الصلاة استمهلهم قليلاً قبل قيامهم ووقفت فيهم خطيبًا:

الآن وقد انتهينا من حجنا ورجعنا إلى بيت الله الحرام فآن لنا
اليوم أن نكمل ما بدأته من قبل، فيوم أن قدمت إلى هنا لم يكن
الوضع كما ترونه الآن ... فمن بقيت في رقبتك بيعة لي فليتبني ...
هممت المسير مخترقًا الصفوف إلى المسعى ووقفت على أعلى
نقطة منه؛ لأنظر إليهم وأرى من تخلف منهم ... جاؤوا جميعًا
عن بكرة أبيهم فأكملت قائلاً:

سنبداً برفع الركاب عن المسعى ليتسني لنا ولغيرنا أن يسعى بين
الجبليين بلا مخاطر، وسيكون هذا هو شاغل أغلبنا، أما البقية
منكم فستكون مهمته البحث عن الطعام وجلبه لنا، فمن رأى في
نفسه قوة فليبقى معي، والباقي فليبدأ بالبحث من الآن ...
رحل بعض منهم من كبار السن ممن لا طاقة لهم بما نحن
مقبلون عليه

أكوام الحجارة هذه لا بد أن نفتتها أولاً ليسهل بعد ذلك نقلها أو
استخدامها ... قال أحدهم بعدما استشرتهم فيما نفعل
وبأي شيء نفتتها وهي كما ترى

حولنا الكثير من القضبان المعدنية بأطوال مختلفة نستطيع
الإستفادة منها وتحويلها إلى معاول للهدم براءوس من الحجارة أو

الحديد ...

على بركة الله ...

استدعى الامر أسبوعين كاملين لكي نصنع ما يكفي من المعاول للجميع وبدأنا العمل بجهد وعرق كبيرين ... ومن أعجب ما حدث في أثناء تلك الفترة تحديداً أن يأتي إلى مكان قريب منا عشرة من الجمال، فتضع رحالها بقربنا فنقوم إليها فننحرها لتكفيينا طعامنا فالحمد لله على ذلك الرزق ولكنها لم تكن منتظمة ...

احتاج تنظيف المسعى إلى خمسة شهور كاملة من العمل المضني من الفجر إلى المغرب، وزال كل هذا التعب حينما رأينا عملنا في النهاية، ولشدة فرحي قررت أن نقوم بتنظيف قدر أكبر من مساحة المسجد السابقة وإخلائها من الركام والأوساخ، وبالفعل بدأنا ليمر عام كامل قبل أن ننتهي لتصبح الكعبة في المنتصف يحوطها دائرة نصف قطرها ألفي متر تقريباً في تلك الأثناء خطر لعقلي فكرة إنشاء بناء يحوط الكعبة؛ لنتقي بها الشمس بالأخص فترة الظهيرة، ولكنني سرعان ما تخلت عنها؛ لأسباب عدة أهمها أنني لا أعرف أسس العمارة أو البناء، فما زلت أذكر ذلك المنزل البائس الذي بنيته على أطراف صحن الكعبة أول ما جئت هنا، والذي كان ينهار عند قيام الريح فاضطر إلى بنائه من جديد، وأذكر جيداً تلك الليلة التي هطلت فيها الأمطار فاستيقظت وقد انهيار على رأسي وأحمد الله أن نجوت منه من وقتها وأنام خارجه ... ولكن يقدر الله تعالى أن يكون بيننا مهندس وإن كان رجلاً طاعناً في السن...

يستمر الأمر عامين قبل أن يكتمل بناء المسجد الذي يحوط الكعبة بطول ألف متر تقريبًا وارتفاع خمسة أمتار ... بنيناه مما حولنا لنكتشف في النهاية أننا استطعنا تنظيف مساحة أكبر كدائرة تبلغ نصف قطرها خمسة آلاف متر مركزها الكعبة ... ولعدم علمي تمامًا بأساليب البناء فسأروي فقط ما رأيت من عجيب صنع ذلك المهندس المخضرم ... المهندس صالح تميم كان منظمًا جدًا في عمله؛ بدأ برسم المخطط الذي يراه مناسبًا، ثم انتقى مجموعة من الشباب لبناء مواقع لصهر الحديد ثم سباكة ليخرج لنا في النهاية قواطع، نعم كانت بدائية ولكنها عملية، ليقوم الشباب بعد ذلك بتقطيع الحديد بأطوال معينة حسب رغبته... بحث في الركام عن نوع معين من الحجارة، وكان يأتي بها ليبدأ في تفيتها تمامًا داخل قوالب قام ببنائها من نوع آخر من الحجارة و يضيف إليها الرمال (والتي كان يذهب ليجلبها مع بعض الشباب من خارج مكة)، ثم الماء لتتحول في النهاية إلى مادة شديدة اللزوجة، وكان يطلق عليها اللاصق ... أكوام الحديد مع الحجارة المتناثرة واللاصق مع سنوات من العمل المرهق أخرجت في النهاية هذا البناء ... ومن جميل ما صمم مكان الضوء حين بدأ بسحب الماء من بئر زمزم بطريقة رائعة. قال لي مرة في ساعة صفاء أنه اعتمد على نظرية قديمة لعالم اسمه باسكال. أيضًا الحمامات التي كانت على أطراف البناء نفسه وماءها أيضًا من زمزم أما تصريف الماء فقد أوصل كل هذا إلى بئر عميق مغطى بعمق عشرات الأمتار أخذ لوحده فترة شهرين من العمل ... اتخذنا من المسجد بيتًا لنا جميعًا، ولكنني

لم أكن راضيًا بهذا الأمر؛ كنت أريد أن يكون للعبادة فقط ولكننا كنا نأكل ونشرب بل ونتسامر، ولذلك قررت أن نبدأ في الخطوة الأخيرة ببناء بيوت لنا خارج المسجد، استقر الأمر على بنائها في منطقة شمال الكعبة عبارة عن هضبة مستوية إلى حد كبير، وعلى ما يبدو فقد كانت تجهز لمشروع ما قبل الغزو؛ لأننا اكتشفنا فيها أطنان من مواد البناء والتي استخدمناها لإنجاز عملنا ... عام آخر من العمل لبنني في النهاية مدينة وليست مجرد منازل تأوينا، فبعد نقاشات طويلة قررنا أن يصبح لكل واحد منزلًا خاصًا به، يحتوي على غرفة للنوم والطعام وأمام كل بيت حديقة. ولفكرة الحديقة هذه حكاية عجيبة، ففي أثناء خروج الشباب إلى خارج مكة وقت بناء المسجد للحصول على الرمال اكتشفوا ركام مبنى صغير نسيًا، ولكن العجيب أن النباتات كانت تنمو حوله ومن بين ركامه بكثرة عجيبة، وظل الأمر محيرًا لفترة حتى اكتشفنا أنه مركز أبحاث لعلوم النباتات واستزراع الصحراء، ووجدنا فيه القمح والذرة والعديد من أنواع الفاكهة والتي نقلناها بجزوعها فيما بعد عند الانتهاء من المدينة ... وأصبح لدينا شبه اكتفاء ذاتي، ولم نعد نضطر إلى البحث بالساعات في أرجاء المدينة الكبيرة بحثًا عن الطعام ... مهدنا الطرق بين المنطقة التي نبيت فيها وبين الكعبة، وزرعنا محيط ساحة الحرم بالعديد من النباتات التي تحولت فيما بعد لأشجار عالية وفرت الظل للحرم (ولا أعرف إلى يومنا هذا كيفية صبرها على الماء لفترات طويلة) حفرنا عدة آبار داخل مدينتنا الصغيرة والتي أمدتنا بالمياه بالإضافة إلى ماء زمزم ...

انتهت أعمال البناء أصبحت حياتنا أيسر من ذي قبل توطدت
العلاقة بيني وبين الجميع وصرت أعرف بينهم بالأمر، كان الجميع
ينظر إلى على أنني صاحب الفضل في كل ما وصلنا إليه ... أتلقى
ثناءهم بوجهين وجسدين وروحين ونفسين مختلفتين تمامًا، فتارة
أتلقاه بشيء من التواضع ونكران الذات، وتارة أتقبله بغرور
وصلف ... الأيام تتلاحق بلا جديد عبادة كالرهبان صباح مساء ...
حتى صباح ذلك اليوم الذي غير مسار حياتنا جميعًا ...
انتهيا من صلاة الفجر وبدأ الشيخ أبو سليمان بإلقاء خطبته
الصباحية المعتادة، وبينما نحن كذلك إذ بصياح مستغيث يأتي من
الخلف نظرنا جميعًا فإذا بإمرأه قد بليت ثيابها وكشف جسدها
وعليها آثار العذاب ...

- ١٧ -

الخامس عشر من شهر محرم للعام التاسع بعد المائة الثالثة
للألفية الثانية للهجرة النبوية... الساعة الحادية عشر وأربع دقائق
بتوقيت الفلك ...

بدي على وجه الضابط التنفيذي سيمال الحيرة من تقرير ضابط
المسح الفضائي، مما اضطره إلى قطع راحته اليومية والتوجه مباشرة
إلى حجرة القيادة وبدأ متسهما بقوله:

ما هذا الشذوذ الكوني الذي تحدثت عنه في تقريرك؟
حك رأسه قبل أن يجيب قائلاً:

لا أدري، ولكن منذ ساعتين تقريباً التقطت أجهزة السفينة موجات
كهرومغناطيسية تشبه نبضات النجوم النيوترونية، والعجيب هو
أنه لا يوجد لها مصدر محدد كأنها تأتي من كل النسيج الزمكاني
حولنا، غير أن الأمر الأكثر دهشة هو ازدياد شدتها بمعدل ثابت
مما استدعى مراجعة أجهزة الاستقبال؛ لربما الخطأ فيها ولكنها
سليمة تماماً وما زالت تلتقط هذه الموجات ...

أرسلها إلى القسم العلمي ...

لقد أرسلتها بالفعل قبل عدة دقائق من الآن ...

لم تمر عدة دقائق بعدها حتى كان الدكتور جلال بنفسه في حجرة
القيادة، وتوجه من فوره إلى سيمال وقد علت وجهه نظرة توتر
قائلاً بحدة شديدة:

لا بد أن نتوقف حالاً ...

نظر سيمال إليه نظرة مستفهمة قبل أن يجول بنظره إلى ضباطه، ورأى أنه أحدث فيهم شيئاً من التوتر والاستفهام فنظر إليه من جديد قائلاً بهدوء:

أظن أنه من الأفضل التحدث على انفراد دكتور جلال ...

قال بشيء من الارتباك: نعم ... نعم ... أعتذر عما حدث ...

دلفا إلى إحدى الغرف الملحقة بحجرة القيادة، وأخرج سيمال من بها من الضباط وبدأ الدكتور جلال حديثه مباشرة قائلاً:

هذه الموجات نابعة من مصدر ذكي ومتقدم، فطبيعتها لا تشبه بأي حال من الأحوال أي موجات طبيعية في الكون، وهي أقرب لأن تكون محاولة لخلق أو تعديل شيء ما في النسيج الزمكاني حولنا ... حافظ سيمال على هدوئه الخارجي وإن عصفت بذهنه العديد من الأفكار الغريبة قبل أن يكمل الدكتور جلال وهو يشير إلى لوح رقيق في يديه قائلاً:

لم نستطع في البداية أن نحدد مصدر هذا الشذوذ الغريب كأنما يأتي من كل الكون حولنا، في البداية اعتقدنا أنها مجرد موجات للنجوم النابضة، ولكن الطول الموجي لذاك الشذوذ يختلف بمقدار ضئيل عن الطول الموجي لها، الأمر الذي استدعى عدة حسابات أخرى لنكتشف في النهاية أن هذه الموجات تتجه إلى نقطة محددة كما لو أن شيئاً يجذبها من النسيج الزمكاني نفسه، الأمر الأكثر غرابة هو وجود موجات معاكسة في الاتجاه للموجات التي رصدناها ... الأمر الكثر دهشة هو أن هذا الشذوذ الكوني يختفي تماماً بلا أثر خارج

دائرة افتراضية قطرها حوالي عشرة أميال فضائية (الميل الفضائي يساوي ١٥٠ مليون كيلو متر وهي تقريبًا المسافة ما بين الشمس والأرض) ومن مسار الفلك الحالي فنحن سنوازي تلك النقطة بعد خمس وأربعين ثانية تقريبًا، عندها ستصل قوة هذه الموجات حدها الأقصى قبل أن تبدأ بالانخفاض تدريجيًا ... هناك وجهتي نظر في القسم العلمي: الأولى تتبني منطق الخروج من هنا تمامًا ومراقبتها من مجال آمن، الثانية تقول إنها فرصة عظيمة لدراستها من موقعنا هذا بل وإرسال مسبار فضائي إلى النقطة صفر كما أطلقنا عليها، ولكنني أتبني وجهة النظر الأولى؛ فالله وحده أعلم ماذا سيحدث عما قريب ...

بدأ سيمال يفكر قليلاً قبل أن يقول:

سأعطيكم الوقت الكافي لدراستها بعمق قبل أن نتراجع فهي فرصة لا أعلم أتاح لنا بعد ذلك أم لا... تركه وتوجه مباشرة إلى ضابط الملاحه بقوله:

خفض السرعة إلى الحد الأدنى ... ثم نظر إلى ضابط المسح الفضائي قائلاً:

أريد مسحًا شاملاً للمنطقة المحيطة بنا واجعل نقطة تجمع الموجات منطقة خطيرة من الدرجة الأولى... ثم توجه إلى الجميع بقوله:

من الآن ياسادة سنتعامل مع تلك النقطة باعتبارها النقطة صفر ... أصبح الجو مليئًا بالتوتر وزاد الأمر سوءًا رفع سيمال درجة الاستعدادات العسكرية للدرجة الأعلى قبل أن يتحدث ضابط

المسح الفضائي بقوله:

لا توجد أجرام كونية حولنا غير كويكب ضخم يبعد ثلاثة وحدات فضائية (الوحدة الفضائية مقياس أقل من الميل ويساوي خمسين ألف كيلو متر تقريباً) ولسنا في مسار تصادمي معه بقطر ألف كيلو متر ...

ابداً من الآن بتوجيه السفينة إلى الكويكب ليكون سائراً بيننا وبين النقطة صفر ... تراجع سيمال إلى مقعد القيادة بعدما وجه حديثه إلى ضابط الملاحه ... في داخله بدى أن الأمر لا يستدعي كل هذا التوتر، قطع تفكيره اتصال مباشر من الدكتور جلال والذي بدا في قمة رغبة قائلاً بارتجافة واضحة في صوته:

هذا الشذوذ ليس إلا محاولة لفتح ثقب دودي في النسيج الزمكاني، يجب أن نهرب فوراً من هنا فالله وحده يعلم ماذا يمكن أن يخرج منه ...

لدى سيمال القليل من المعلومات الفيزيائية وهندسة الكون، ولكن مصطلح الثقوب الدودية بالنسبة إليه كان خيلاً جامعاً وإن كان له أساس نظري اضطر أن يذهب بنفسه إلى القسم العلمي ليستطلع الأمر بشيء من التفصيل وبعيداً عن الطاقم؛ لتلا يحدث فيهم مزيداً من التوتر والانفعال قد يؤدي إلى فقدان قدرتهم على اتخاذ القرار الصائب في لحظة ما ... حينما رأى القسم العلمي اعترته الدهشة والاستغراب بشدة، فأمام الجميع كان يتحدث بشيء من الخوف والذعر والفرح والانبهار في مزيج يدعو للجنون استقبله الدكتور جلال بوجه شاحب قائلاً:

الوقت ليس في صالحنا يجب أن ننسحب من هنا إلى أبعد نقطة ممكنة، فنحن لا نعلم تحديدًا ماذا يمكن أن يخرج من هذا الثقب الدودي، فمن يملك التكنولوجيا لخلقه من الأساس وتوجيهه سيكون على أعلى السلم الحضاري، سنكون بالنسبة إليهم كما الحشرات بالنسبة إلينا أرجوك يا بني لتأمر بإخراجنا من هنا بأسرع وقت ... تعجب سيمال من إصرار الدكتور جلال وخوفه الشديدين فكيف له أن يخاف من أمر مجهول، ولكنه لا يعرف أن البشر أعداء ما جهلوا!

لم تكن فكرة الهرب أمرًا متاحًا لسيمال، فإن كان ما يقوله الدكتور جلال حقًا فإن هناك خطرًا محددًا بكوكبه، فإنه وإن كان يبعد ملايين الأميال الفضائية فإنه قريب إلى حد كبير مقارنة بالكون، وإن وقع المايكا في الخطر فسرعان ما تكون الأرض في خطر هي الأخرى ...

لا مجال للتراجع أيا كان ما سيخرج ... ردها في عقله مرارًا وتكرارًا قبل أن يدلف من جديد لحجرة القيادة معطيًا الأوامر برفع درجة الاستعداد للدرجة القصوى وتطبيق البرتوكول العسكري ... مباشرة تم حظر التجوال داخل السفينة وانتشار كثيف للشرطة، الرصيف الفضائي أصبح عبارة عن خلية نحل، الطيارون يهرولون إلى طائراتهم، والأطقم الفنية تراجع كل شيء بدقة شديدة، ضباط وجنود الجيش يتممون على معداتهم قبل البدء في ارتداء بذاتهم الفضائية ... هيئة الأركان البديلة تتجه مباشرة إلى حجرة القيادة... جنود المدفعية على أهبة الاستعداد ... إغلاق الأقسام شديدة

الحساسية على السفينة ... البدء في إيقاظ الطاقم الأرضي بالكامل ...
وبينما أجواء التوتر تسيطر على الموقف إذ صاح ضابط المسح
الفضائي قائلاً:

سيد سيغال، لقد اختفت الموجات تمامًا كأنما لم تكن ... اتجهت
أنظار الجميع إلى النقطة صفر ...

أحس يوسف بمزيج من الألم والغثيان والقيء يكتنف جسده بشكل
مزعج، عقله ما زال مشوشًا وإن كان يدرك أنها عوارض الاستيقاظ
من النوم الصناعي، ولولا أن عضلات جسده تتعرض دوريًا إلى
نبضات كهربائية تجبر عضلاته على الانقباض والانبساط طوال فترة
النوم لما كان قادرًا على أن يحرك جسده مطلقًا ...

اقترب أحد الأطباء يطمئن عليه وساعده على الجلوس قائلاً:
من فضلك سيد يوسف حرك أصابع يديك وقدميك..

جيد جدًا ...

الآن أريدك أن تقف بهدوء منتصب القامة..

هل تشعر بأي آلام بخلاف آلام الرأس والعينين ...

لا ...

جيد جدًا بإمكانك أن تجلس مجددًا ...

كان الضوء يزعج عينيه بشدة فرفع يده يتقي الضوء بها سائلًا:

متى ينتهي هذا الألم الذي يكتنف رأسي وعيني؟

بعد قليل سيد يوسف الأمر ناتج عن عدم استخدامها لفترة
طويلة ...

أدرك يوسف احتياجه إلى الملابس فهو عارٍ إلا قليلًا، وبدأ البرد

يغزو أطرافه ولكنه فُوجئ بتحية عسكرية صارمة وجندي يقدم له ملابسه وحذاءه قائلاً:

القائد سيمال يطلبك في حجرة القيادة بأسرع وقت يا سيدي ...
ماذا هناك؟!!

لا أدري ولكننا في حالة الطوارئ القصوى ...

انعقد حاجب يوسف بشدة قبل أن يعقب بقوله:

اذهب الآن وأخبر القائد سيمال أنني سأكون معه بعد عدة دقائق...

وضع الجندي حذاءه وملابسه بجانب يوسف قبل أن يؤدي التحية العسكرية منصرفاً، وتوجه يوسف إلى الطبيب قائلاً:

ألا يوجد لديك ما يخفف وطأة الألم ولو قليلاً ...

نعم، ولكن جسدك ضعيف الآن والأفضل لو تأكل قليلاً قبل أن تقوم بأي مجهود بدني أو عقلي؛ حتى لا ينهار جسدك في النهاية ...
في أثناء حديثه كان يوسف يرتدي ملابسه الذي عقب بقوله:

أنا لا أملك مثل تلك الرفاهية ...

أرجوك ياسيدي نحن جميعاً نعتمد عليك أعطني لحظات حتى آتي لك بالقليل من الطعام ...

نظر إليه ليجد على وجهه أمارات التضرع والاستجداء فأشفق عليه قائلاً:

لك ما تريد، ولكن أمامك دقيقة واحدة فقط بعدها سأغادر ...

انطلق الطبيب مسرعاً في الوقت الذي بدأ يوسف يتحدث إلى آصف (الذكاء الأصطناعي الخاص بالسفينة)؛ ليعرف منه ما يحدث ...

كان سيمال يحاول بقدر الإمكان الحفاظ على هدوئه وهدوء الرجال من حوله، في الوقت الذي اتخذت فيه الفلك من الكويكب ساتراً لها مما سيخرج من ذاك الثقب الدودي ...
لتمر ساعة كاملة من الترقب قبل أن يصيح ضابط المسح الفضائي بقوله:

سيدي لقد عادت الموجات ثانية ولكن ...

ماذا هناك ...

لم أر هذا القدر الكبير من الطاقة تحمله موجات كهرمغناطيسية من قبل ...

يفصل ما بين الفضاء الخارجي وحجرة القيادة في الفلك ألواح من خليط من المعادن الشفافة ليس من بينها الزجاج، وفي أثناء حديث سيمال مع ضابط الملاحه سمحت لهم تلك الألواح بمشاهدة واحد من أكثر مشاهد الكون غرابه ودهشة، فرغم وجود الفلك خلف الكويكب الضخم فإن الطاقم في حجرة القيادة كان قادراً على رؤية السفينة السابعة من الأسطول الفضائي الثامن والأربعين لإمبراطوية الساناي وهي تخرج منه كأنما انشقت السماء عنها، كانت أصغر حجماً من الفلك ولكن مجرد رؤيتها بشكلها الغريب جعل عيونهم تتسع دهشةً وخوفاً ...

كان يوسف في طريقة إلى حجرة القيادة قبل أن يبلغه آصف بما حدث ليطلق العنان لساقيه مخترقاً ممراتها؛ حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة، وما إن وصل حتى كان الجميع في حالة من التجمد والفرع البادي على الوجوه، أصاب يوسف للحظات ما أصابهم من

مرأى تلك السفينة، ولكنه سرعان ما هالك نفسه ليتسلم القيادة من سيمال ...

يجلس على مقعد القيادة والجميع ينظر إليه كان في حالة من التفكير العميق، فهو في موقف لا يُحسد عليه مطلقاً فهذا أول اتصال فعلي بين الأرض وحضارة متقدمة، وكل قرار سيتخذه أيا كان سيكون مؤثراً بشكل كبير على العلاقة المستقبلية بين الحضارتين، كان لابد له من أن يفكر بعمق أملاً ألا ينتهي الأمر إلى معركة دموية ... في الوقت الذي توافد فيه أغلب هيئة الأركان إلى حجرة القيادة ...

تحولت حجرة القيادة إلى غرفة عمليات للسفينة، وبدأ يوسف يصدر أوامره بخروج جميع الطائرات المتوفرة لتستتر بالكويكب، في الوقت الذي أمر فيه قوات الاقتحام الفضائي بالاستعداد لترايط في طائراتها وتخرج مع الطائرات المقاتلة ريثما يُصدر لها الأوامر ... أدى الجميع التحية العسكرية وانطلقوا لتنفيذ الأوامر الصادرة ... في الوقت الذي لم تبد فيه السفينة الغريبة أي بادرة لأي شيء كأنها من فيها أموات ...

السفينة الغريبة بدأت في التحرك باتجاه الكويكب ... نطق بها ضابط المسح الفضائي، توجه يوسف بحديثه بعدها مباشرة إلى ضابط الملاحه ليبدأ التراجع بعدما تخرج جميع الطائرات ... لم تكد الفلك تخرج من خلف الكويكب حتى توقفت السفينة الغريبة كأنها أصابها المفاجأة هي الأخرى، أمر يوسف ضابط الملاحه بالتوقف في مكانه ليتبين الأمر جيداً ... يعطي أوامره إلى

ضابط الاتصالات ليبدأ بفتح قناة اتصال مباشرة مع السفينة
الغريبة ...

يجبس الجميع أنفاسهم لعدة دقائق قبل أن يصرخ ضابط الاتصال
من فرط توتره قائلاً:

هناك محاولة اتصال قادمة ولكن تردداتها قديمة جداً تشبه إلى
حد كبير موجات التلفاز القديمة ...

هل هي رسالة مرئية؟ ...

لا، ولكنها أقرب إلى أن تكون بثاً إذاعياً مستمراً ومباشراً ...
ابداً بعرضها ...

كان لدى الجميع مخيلات عديدة لما يمكن أن يكون عليه جنس
فضائي يعيش على كوكب آخر غير الأرض، وعزز هذا الأمر السودون
بهيتهم الغربية نسبياً، ولكن ما ظهر أمامهم في تلك اللحظة كان
بشرياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، بل إنه يملك ملامح
قوقازية شبيه بتلك التي يحملها أغلب سكان الأرض، يرتدي بزة
من المعدن كأنها هو فارس من فرسان القرون الوسطى، بل إنه
تحدث بلغة هي في منطوقها أقرب للعربية وإن لم يستطع آصف
ترجمتها وأعطى إشارة إلى أنها تقترب في جذورها من السريانية
القديمة والآرامية...

ابداً بالبث على نفس الإشارة ...

الأدميرال يوسف أمير قائد السفينة الاستكشافية الفلك إلى السفينة
الغريبة عرّف عن نفسك فوراً، أنت تنتهك مجال سيطرة تحالف
كوكبي المايكا والأرض ...

أنهى يوسف رسالته ليفاجئ بردة فعل ذلك المخلوق، فلم يكذب
 يبدأ يوسف بالتحدث أصلاً، وبمجرد وصول البث اتسعت عيننا
 محدثة كالمصدوم ... انقطع البث مباشرة ليلتفت يوسف إلى ضابط
 الاتصالات مستفهماً فأجاب:

انقطع البث من المصدر ...

دخل الدكتور نائر جميل أستاذ اللغات القديمة حجرة القيادة
 ليتوجه إلى يوسف مباشرة قائلاً:

أصف أبلغني بضرورة حضوري إلى حجرة القيادة ...

بدأ يوسف بعرض الرسالة المرسلة على الدكتور نائر الذي عقد
 حاجبية لفترة قبل أن يقول:

في حياتي لم أسمع مثل هذا التمازج الغريب بين اللغات، أستطيع
 القول إنها لغة هجينة تجمع كل اللغات السامية تقريباً كالآرامية
 والكنعانية بل وحتى الآكادية والسومرية والعربية أيضاً، وإن صدق
 ظني لربما كانت هي اللغة السامية الأم ...

هل تستطيع أن تترجمها لنا؟ ...

نعم، والجزء الأول منها قريب جداً من الآرامية وتقول:

هنا القائد (تاناي)

الباقي منها يحتاج إلى بعض الوقت ...

أتمنى أن تنتهي سريعاً ...

عقد يوسف يديه على صدره مفكراً بعمق قبل أن يقطع تفكيره
 ضابط المسح الفضائي قائلاً:

الشذوذ الكوني الغريب بدأ في الظهور مجدداً ولكن هذه المرة

أشد من سابقه بضعفين ...

بدأ يوسف يصدر أوامره إلى الجميع ليبدأ بالانسحاب إلى الخلف تدريجيًا بينما ينشر الأعلام الفضائية في طريقه ...
اتصال آخر قادم ... صاح بها ضابط الاتصالات.

للمرة الثانية يفشل آصف في ترجمة الرسالة الموجهة، ولكنه اعتمادًا على رأى الدكتور ثائر فإن الرسالة جاءت مبتورة إلا من بضع كلمات بسيطة لا تغني ولا تثمن من جوع ... (...الأدميرال يوسفاي أميراي... القائد تاناي ... هاناي ... الساناي ...)

أمر يوسف آصف بترجمة كلماته إلى كل اللغات السامية وإرسالها...
الأدميرال يوسف أمير نكرر التحذير أنتم تنتهكون المجال الحيوي لكوكب المايكا والأرض عرّف عن نفسك فورًا واستعد للتفتيش ...
اقتحم الدكتور ثائر حجرة القيادة في أثناء تحدث يوسف وانتظر ريثما ينتهي حتى قال:

كما قلت هي لغة هجينة ألفاظها خليط بين الأكادية والآرامية يلحق الاسم العلم فيها بألف وياء ... ولدقيقة قادمة أوضح الدكتور ثائر نظريته بالكامل وبدأ آصف بترجمة الرسالتين ...
هنا القائد تاناي إلى السفينة المجهولة عرّف عن نفسك فورًا ...

إلى الأدميرال يوسف أمير قائد السفينة المجهولة أنا القائد تاناي معي حامي غرفة الأسرار لإمبراطورية الساناي المبجل هاناي، نحن نحاول الهرب من قوات الإمبراطورية وللأسف فهناك عطل حدث في سفينتنا ... نتمنى أن تقدم لنا يد العون والمساعدة ...

اتجه يوسف مباشرة إلى مقعد القيادة ليوميء برأسه إلى ضابط

الاتصالات الذي أشار له لبيدأ التحدث قائلاً:

وما هي المساعدة التي تريدونها؟ ...

تعجب تاناي من قدرة يوسف على مخاطبته بلغته للحظة قبل أن يعقب قائلاً:

أجهزة التوجيه في السفينة معطلة لسبب ما ولا نستطيع إصلاحها ... لدينا مهمة عظيمة تحت قيادة العظيم هاناي لا أستطيع إطلاعك عليها ... لا أستطيع البقاء هنا لأن قوات الإمبراطورية تلاحقنا ... من فضلك نتمنى أن تقبلنا جميعاً العظيم هاناي وأنا وجنودي ... لنكمل مهمتنا ...

أغمض تاناي عينيه بقوة كأنها يتحاشى النظر إلى شيء ما وبدت عليه أمارات الحزن والألم، بيد أن صمته طال ليقول بعدها:
ونريدك أن توفر لنا الحماية ...

تراجع يوسف في مقعده إلى الخلف يفكر بعمق شديد ... هذا الذي أطلق على نفسه تاناي كأنما هو قائد عسكري منشق عن إمبراطوريته، ولا يدري على أي الطرفين هو الخير أم الشر، ثم من هو المسمى هاناي الذي يكن له كل هذا التبجيل الغير مبرر؟ ثم أي مهمة تلك التي يتحدث عنها؟ ... ثم لماذا يقحم نفسه في مسألة داخلية لحضارة غريبة قد تجلب عليه وعلى أمته الويل فيما بعد ...بالإضافة إلى أنه لا يأمن أن يسمح لهم بالولوج إلى سفينته ويوفر لهم الحماية التي ينشدونها ثم ينقلبوا عليه فيما بعد أو يحاولو أن يحتلوا السفينة...

ولماذا أفعل ذلك معرضاً حياتي وحياة رجالي للخطر؟ ...

واجهه تاناي بالمزيد من الصمت وقد ازداد وجهه حزنًا وألمًا، ففي داخله كان يتمنى الموت ألف مرة على أن يطلب الحماية من أحد، تاناي العظيم القائد المهاب بلغت شهرته الآفاق في كل إمبراطورية الساناي خاض عشرات المعارك لدرجة لا يتذكرها يطلب المساعدة والحماية من شخص يلتقيه للمرة الأولى، كان الأمر مهينًا بشدة بالنسبة إليه ...

تنقل المشاهد بعد ذلك هبوط تاناي على ركبته ثم ينحني برأسه في ذل، ومن خلفه وقف عدد من الجنود وعلامات الألم والحسرة على وجوههم ليقول:

أتمنى الموت ألف مرة على أن أفعل هذا ولكنني أرجوك بكل ما هو مقدس لديك ... أرجوك ساعدنا ...

للحظات ظل يوسف صامتًا وتاناي كما هو أدرك من علامات الألم على وجه تاناي ورجاله من خلفة أن لا نية لهم للغدر به فإن أقسى ما قد يلحق بالمحارب أن يسترجي عطف أحد طالبا الحماية ثم لو كان لديهم ما يكفي من القوة لحاربوه وسيطروا على سفينة عقب قائلاً:

أيها القائد تاناي أنت ورجالك والعظيم هاناي مرجبًا بكم على الفلك، ولكنني لا أنا ولا أحد من رجالي سنخوض حربًا ليست لنا... أشكرك أيها القائد وتأكد أنني لن أنسى لك صنيعك هذا ما حيت ...

هل لديكم وسيلة نقل إلينا؟ ...

نعم ...

نحن في انتظاركم ...

انتهى الاتصال ...

نظر يوسف إلى ضابط المسح الفضائي قائلاً:

كم بقي لدينا من الوقت ...

لا أدري تحديداً ولكن من خلال القراءات السابقة لدينا ثلاث

ساعات تقريباً ...

أمر ضابط الاتصالات بتوجيه الأوامر للقوات المستترة بالكويكب

لتراجع للفلك وبقاء عدد من الطائرات لترافق تاناي إليها ...

وقف يوسف ومن خلفه هيئة الأركان في انتظار وصول سفن النجاة

حاملة هاناي وتاناي وجنوده ... ليتحول رصيف التحميل إلى ثكنة

عسكرية بامتياز، أحد عشر ألف جندي يؤمنونه مع أوامر مشددة

من يوسف بعدم اتخاذ أي حركات قتالية قبل أمر مباشر منه ...

تراصت السفن العشر بجانب بعضها البعض لتفتح أبوابها مباشرة

ويبدأ جنود تاناي بالهبوط منها بشكل دقيق محكم، مشكلين

مثلث قاعدته تستند إلى السفن ورأسه في مواجهه يوسف ومن

معه، بينهم مسافة تربو على المائة متر في الوقت الذي أحاط

بهم الجنود الأرضيون كإحاطة السوار بالمعصم ... التوتر هو

السمة الغالبة على الموقف الجميع متحفز ... أدرك يوسف ومن

معه الحجم الفعلي للساناي فالواحد منهم يناهز المترين طولاً،

عريض المنكبين ذو قوة بادية ووجوه صارمة ... لتمر لحظات قبل

أن يخرج تاناي بصحبة هاناي ... تعرف عليه يوسف من الوهلة

الأولى وأدرك أن الذي بجانبه هو هاناي ... يختلف هاناي عنهم

في كل شيء، فهو أقصر قامة منهم ولا يلبس دروعهم، وإنما هي مجرد قطعة من الملابس ملتفة حول جسده بشكل أقرب للباس المحرم ... صنع الجنود ممرًا بينهم لتاناي وهاناي، أمامهم وخلفهم عشرة من الجنود يختلف لباسهم عن البقية ... وما إن أصبحوا أمام يوسف حتى تحرك الجنود المصاحبين لتاناي وهاناي ليشكلوا قوسين عن يمينهم وشمالهم ...

تقدم يوسف بنفسه إليهم وإن عارضه الجنرال سيف الدين شاهين قائلاً:

لا تفعل فلرهما غدروا بك ...

لا تقلق ...

يلبس يوسف بزة المقاتلين ولولا هذا لبدا قزماً بالنسبة إليهم ... ليتقدم تاناي وهاناي نحوه ... لا يفصلهم غير بضع سنتيمترات ليتمعن يوسف في وجه تاناي كثيراً قبل أن يقول:

أنت ورجالك والعظيم هاناي مرحباً بكم على الفلك ...

ليبادر تاناي مباشرةً بالحديث قائلاً:

أشكرك أيها القائد على مساعدتك لنا وسوف لن ننس أبداً هذا المعروف ...

من تقاليدنا أن نجير من استجار بنا فنحميه مما نحمي به أنفسنا وأهلينا حتى تبلغوا مأمناكم ... الآن لابد لنا من الرحيل من هنا قبل أن يصل أعداؤكم ... ولكنني لن أسمح بأن يدخل أحد من رجالك بسلاحه إلى السفينة أبداً ...

التفت تاناي إلى جنوده قائلاً:

أعلم أن سلاح الفرد منا هو شرفه وفخره، ولكننا اخترنا طريقًا صعبًا ولذلك لا بد أن نسلمه لهؤلاء الرفاق ...

مضت بضع لحظات من التردد قبل أن يبدأوا في إلقاء أسلحتهم.. اتسعت عيون الأرضيين من كم الأسلحة الهائل الذي يحمله الجندي الواحد منهم ...

أمر يوسف العميد قابيل بمرافقة جنود الساناي إلى الثكنات الخاصة بالجنود الأرضيين ومعاملتهم بما يليق ولكن في نفس الوقت يضع رقابة لصيقة عليهم وإبلاغه فوراً بأي أمر يشك فيه... دعا يوسف تاناي وهاناي للدخول معه إلى الفلك، بل وجعل غرفته الخاصة للعظيم هاناي وغرفة نائبه لتاناي كان نوعاً من التبجيل لهما وفي نفسه كان يرغب في إبعادهما عن جنودهما ليأمن جانبهما قدر الإمكان... في الوقت الذي بدأت فيه الفلك بالتحرك ...

بعدها بساعتين تقريباً خرجت سفينتان من الثقب الدودي وبمباشرة بدأتا بالاقتراب من سفينة تاناي ليشرع الجنود باقتحامها... في قلب السفينة كان محركها الفائق يشير إلى اقترابه من مرحلة الانفجار ... انفجار صامت وضوء هائل ...

على التو أدرك موتاي أنه لربما فقد أثر هاناي للأبد، العدو الأقوى له، ليأمر بإرسال واحد من أعتى قواد الحرب في كل الساناي قاطبةً لتقفي أثره مع فرقة عسكرية كاملة

-١٨-

الساعة الثانية صباحًا... تحت جناح الظلام يتسللون ... ثمانية
 من الجنود يتسامرون ... يطوقونهم من خلفهم في غفلة منهم ...
 يتبادلون الإشارات ليبدأ العد التنازلي ... ثلاثة ... اثنان ... واحد...
 معركة صامتة لم تكذب تبدأ لتنتهي ... يسيطرون على الموقع ...
 سامحين لعدة شاحنات بالمرور... الساعة الثانية وعشر دقائق
 صباحًا ... ينسحبون بصمت كما جاءوا ... ومن خلفهم تعالت
 أصوات الانفجارات ...

تطل بوجهها الباسم على المليارات من البشر لتذيع نبأ عاجلاً ...
 في نبأ عاجل، وردنا منذ قليل حدوث انفجار ضخم بإحدى المنشآت
 الصناعية الكبرى على أطراف مدينة كمنتراري الجديدة ... ولم تردنا
 تفاصيل أكثر عن الحادث ...

بطريقة ما استطاع أوجد أن يشاهدها لترتسم على شفثيه ابتسامة
 تشفي قبل أن ينظر إلى رجاله قائلاً:

عمل جيد يا رجال والآن ما هي العملية القادمة؟ ...
 استأذن أحدهم بالحديث فأذن له:

لو أذنت لي سيادة الجنرال لتتوقف قليلاً قبل القيام بأي عملية
 أخرى؛ فنحن حتى الآن نحقق نجاحات كبرى ولا نريد أن نفقدها،
 فالعدو بالتأكيد سيضاعف من رقابته وإجراءاته الأمنية ...

إن توقفنا الآن سيفقدنا هذا الزخم اللازم لإحداث هزة نفسية لدى
 سكان الأرض وإفقاد العدو الصورة التي رسمها لقوته وجبروته

وإظهار ضعفه أمام بضع عمليات مدروسة، ولا تنسى أن عملياتنا ما هي إلى بداية لمعركة التحرير الكبرى، ضباط المخابرات الآن على اتصال ببعض العناصر العسكرية السابقة في أماكن متعددة من العالم وينتظرون الإشارة للبدء في ثورة شاملة ... قاطعه آخر لينظر إليه قائلاً:

أتفهم هذا الأمر جيداً ولكنني أخشى أن نستعين بهم إلى حد الغرور وأتمنى ألا يفهم حديثي على أنه تراجع أو خذلان، ولكن عملياتنا كلها نفذت في جنوب روسيا والقرم، أخشى أن يحول هذا أنظارهم إلينا فنفقد ميزة استيراجية غاية في الأهمية الأمر الآخر أن عملياتنا شديدة الإبهار والإتقان، ومما حصلنا عليه من معلومات فأغلب الجنود المدربين تدريباً خاصاً قد رحلوا من الأرض بالكلية ...

أتفق معك في أمر واحد وهو إدراكهم أن العمليات مختلفة، ولكن سيستغرق الأمر بضع شهور قبل أن يكتشفوا أنها تأتي من منطقة نسوها منذ زمن، ثم سيستغرق الأمر بضع سنين أخرى قبل أن يصلوا إلينا، ونحن في الواقع لا نريد أكثر من هذا، فقبل وصولهم إلينا سيكون السطح قد امتلأ بالثورة ...

في نفس الوقت تقريباً:

في قلب العاصمة الجديدة للأرض (سلاتاي) وتحديداً في إحدى قاعات القصر العظيم لتونككاي الحاكم الأوحده للأرض اجتمع بعض قادة الأفرع الأمنية للأرض ...

الحاكم: تونككاي (من سلالة الماتاي)

المستشار الشخصي لتونككاي: حايم سلومو بنيامين

القائد العام للجيش: شاماي (من سلالة اللاتاناي)
 القائد العام لحراسة السجن الكبير: صوتاي (من سلالة الماتوناي)
 رئيس جهاز الاستخبارات والأمن الداخلي: قاباي (من سلالة التاي)
 المستشار الشخصي لقاباي: هيتارو سوان جي (سيدة)
 رئيس جهاز الشرطة العالمي: غاماي (من سلالة اللاتاناي)
 نائب رئيس جهاز الشرطة العالمي لمنطقة جنوب روسيا والقزم:
 جروجري رافيزيتش

قائد الحرس الإمبراطوري على الأرض: مكباي
 مع بعض القادة والسياسيين الأرضيين

بدأ الاجتماع بصياح تونككاي في وجوه الجميع قائلاً:
 ما هذا ياسادة العملية العاشرة في أسبوع واحد ولم تقبضوا على
 أحد ...

سيد تونككاي التقنية والمعدات التي يستخدمها هؤلاء الإرهابيون
 تتم عن خبرة عسكرية كبيرة، ولا أظن أن أحداً يمتلكها الآن لربما
 هي مجموعة صغيرة من الجنود السابقين ...

لا تحدثني عن الاحتمالات والفرضيات، أريد حلولاً واقعية لا بد
 لهذا الأمر أن ينتهي ... وحينما أعلن أن ينتهي فلا بد أن ينتهي الآن
 وفوراً ... هل تنصتون جميعاً؟ ...

أيها الحاكم المبجل والمهيب هناك أمر غفلنا عنه جميعاً ... السجن..

ماذا تقصد يا حاييم؟ ...

مع أول عملية إرهابية أدركت أن الأمر مختلف تماماً، لقد تمت
 بسرعةٍ شديدةٍ ومهارةٍ فائقةٍ، ولا يحسن مثل تلك العمليات إلا

جنود تدريبوا على أعلى مستوى، وكما يعلم الجميع أن مثل هؤلاء الجنود قد رحلوا جميعاً عن الأرض، ظننت بداية أن بعض رجال الجيش السابقين أو حتى الحاليين هم خلفها، ولكن عدة أمور استوقفتني كثيراً، أولها: ظهورها المفاجئ والكثيف والعنيف أيضاً، الأمر الثاني: أن الأهداف كلها في مساحة جغرافية وإن كانت كبيرة إلا أنها صغيرة مقارنة بالأرض، الأمر الأخير: هو عدم استهدافها لمنشآت سرية وإنما أهداف ظاهرة ومنشآت صناعية معروفة ... إلى الآن لم توضح لي مقصدك ...

أيها العظيم المبجل تونككاي، مقصدي أن ما نتعامل معهم من مخلفات حرب التحرير ضد طغاة الأرض السابقين لطالما كانت هناك خطط للطوارئ توضع في حالات الكوارث الضخمة، وهم كانوا سادة التخطيط على المدى الطويل، ولكنهم لا يرقون أبداً إلى عبقريتكم وقدرتكم على التخطيط، لذلك أنا أجزم بأنهم وراء ما يحدث الآن ...

ولكننا دمرناهم عن بكرة أبيهم بل وأفرغنا تلك المنطقة من السكان أصلاً وجعلنا عاليها سافلها... نعم يا حاييم شاماي على حق ...

أيها المبجل العظيم تونككاي أعلم أنه على حق ولكننا دمرنا الظاهر منها فقط لقد تعلمنا منذ القدم كيف نستغل ظهر الأرض وباطنها ...

هل تقصد؟

نعم أيها المبجل هؤلاء كالعنقاء ما إن يتحولوا إلى رماد حتى

ينهضوا من جديد ... هذه المرة من باطن الأرض ...

ومن أين لك هذه الثقة المفرطة سيد حايميم؟ ...

سيد جروجري، هل لديك تفسير منطقي آخر؟ لقد بدأتُم بإلقاء القبض على العديد من الأشخاص بل وبعض العسكريين السابقين، وبرغم كل الأساليب القاسية التي اتبعتها فلم تصلوا إلى شيء ... ولكن لم تسجل لدينا حالة تسلل واحدة من خلال الجدار العازل، ودورياتنا هناك ليل نهار ولا تنقطع أبداً، ولو عبرت حشرة واحدة لعرفنا بها براً أو بحراً...

أيها العظيم صوتاي، من تعلم كيفية استخدام باطن الأرض لن يكون بحاجة إلى أن يعبر من خلال الجدار ...

إذاً لنبدأ حرباً جديدة هناك ... تعالت أصوات الجميع مؤيدةً لتونككاي لولا أن حايميم استوقفهم قائلاً:

أيها المبجل العظيم تونككاي وما الداعي لإرسال الجنود إلى هناك؟ سيستغرق الأمر سنوات طوال قبل أن تعثر على شيء، والتقارير التي لدينا لا تشير إلى سرقتهم للغذاء، بالتأكيد يعتمدون على مصادرهم الخاصة، فلو بدأنا بإرسال الجنود إلى هناك فلن نعثر عليهم أبداً، ولربما كبدونا خسائر كبيرة نحن في غنى عنها ...

وماذا تقترح يا حايميم؟ ...

الماء أيها المبجل العظيم ...

الماء وما دخل الماء؟ ...

إن كانت هناك مناطق تحت الأرض يسكنون فيها كالجرذان فلا بد أن يعتمدوا على الماء لاستمرارية حياتهم، والماء في جوف الأرض

يتجمع في خزانات جوفية هائلة، تدهم بما يكفي لمئات السنوات ... توقف قليلاً ثم قال:

إن دمرنا مصدر الماء لديهم فسنقضي عليهم دون الحاجة إلى إرسال الجنود إلى هناك من جديد ...

ران الصمت على القاعة لعدة دقائق قبل أن يقطعه كونككاي بقوله:

خبث وماكر أنت يا حاييم ... وأتبعها بضحكة عالية.

خادمكم المطيع أيها المبجل العظيم

بعدها بعدة ساعات انطلقت خمس طائرات من قاعدة جوية على جزيرة قبرص؛ لتلقي بعشر قذائف في أماكن مختلفة من شمال الجزيرة العربية والأناضول والعراق وتنسحب بعدها ... وصلت القذائف إلى الأرض لتبدأ في الاستواء قائمة على أربعة أذرع قبل أن يخرج من مقدمتها ضوء شديد أزرق اللون يدور بسرعة شديدة، بدأت الأرض في الذوبان في الوقت الذي اشتعلت فيه محركات قوية لتنتقل إلى أعماق الأرض بسرعة شديدة ... لم تمض بضعة دقائق حتى اندفعت المياه غزيرة من تلك القنوات التي خلفتها القذائف ... وما إن وصلت وجهتها حتى خرج منها سائل لزج أخضر اللون ...

بعدها بيومين:

يجلس هيثم وحيداً يراجع تقرير الدكتور أحمد الذي قدمه إليه مؤخراً، ويوجز فيه خط سير كل الرحلات الاستكشافية التي قامت بها السفن الفضائية منذ قرون خلت، وفي نهاية التقرير اختار

الدكتور أحمد سفينتين على وجه التحديد من الممكن الاستعانة بهما؛ للحفاظ على البقية الباقية من الحضارة والأمة وفي عقله تعجب جداً من اختياره، فواحدة بدأت رحلتها منذ أكثر من خمسمائة عام تقريباً وتدعى الفلك، الثانية انطلقت بعدها بثمانين عاماً وتدعى بروزه (نسبة إلى معركة بروزة الشهيرة)، وهما من أوائل السفن الاستكشافية التي غاصت عميقاً في الكون، بل إن بروزة أرسلت لاكتشاف مجرة بأكملها وهي مجرة الكلب الأكبر (أقرب مجرة إلى الشمس وتبعد حوالي ٢٥ ألف سنة ضوئية) في الوقت الذي لا يوجد فيه أي معلومات أو تقارير عن الفلك تقريباً غير تقرير واحد أرسل عند بداية رحلتها، لتصبح تقاريرها بعد ذلك تقع تحت بند السرية المطلقة ... في الوقت الذي رأى فيه هيثم أن فرص سفن استكشافية أخرى أفضل كثيراً من الفلك وبروزة ... انتهى من التقرير ليبيدي عليه ملاحظاته قبل إرجاعه مجدداً للدكتور أحمد، وبينما هو كذلك إذ فاجأه الدكتور حسام باقتحام غرفته صائحاً:

كارثة ...

ماذا هناك؟!!!

حالات مرضية غامضة بدأت تتوالى إلى العيادات في مدينتين منذ خمس وأربعين دقيقة تقريباً، تنتهي بالوفاة دون وجود سبب واضح والحالات في ازدياد مضطرد ...

للمرة الأولى منذ دخل الناس إلى مدن القاع تدوي صفارات الإنذار في أرجائها مع تحذير بعدم التجوال إلى المناطق المصابة، تم إغلاقها

وعزلها عن بقية المدن ...

بدأ اجتماع ضخم بدأه الدكتور حسام بقوله:

أيها السادة وقفًا للبيانات الأولية فإن ٨٠٪ من السكان بالقطاعات الأولى والسادسة والثامنة والتاسعة في المدينة الأولى، والقطاعات الأولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة والثامنة والتاسعة والحادية عشر في المدينة الثانية قد أُصيبوا بنفس الحالة المرضية، والتي تبدأ باحمرار في العين مع ارتفاع في درجات الحرارة، وتستمر الأعراض الأولية لما بين خمسة إلى ثماني دقائق قبل أن يدخل المصاب في غيبوبة كاملة ليفقد الحياة بعد عشر دقائق تحديدًا، وليست لدينا قدرة حالية على احتواء المرض أو معرفة مصدره ولا طريقة انتشاره ... كأنما ألقى قبلة من الصمت في وجوه الجميع لم يقطعه إلا هيثم بقوله:

أي أخبار من المدينة الخامسة؟ ...

طلبوا مساعدتنا منذ ساعة ولكن ليس عندي ما أستطيع تقديمه لهم في الوقت الراهن ... غرقت القاعة في صمتها من جديد لعدة دقائق قبل أن يقف الدكتور أحمد قائلاً:

لنواجه الأمر ياسادة، الآن لا بد أن نسمح للناس بالخروج نحن نواجه ما لا قبل لنا به، لقد أصبحت هذه المدن مقابر عملاقة لنا ...

ولكن العدو سيكتشف هذه المدن وستضيع معها كل حضارتنا وتراثنا ماضيًا ومستقبلنا ... أردف أحدهم بهدوء وانكسار ...

لربما تركها كما ترك غيرها ... عقب آخر ...

سواء تركها أم لا فلا بد من إخلاء المدينتين المصابتين قبل أن ينتشر هذا الوباء ليقضي على الجميع، لعل هناك فرصة للنجاة ...

ولماذا لا نبدأ بنقل الناس إلى المدينة الثالثة والرابعة؟ ...

سوف تعرض حياة سكانها للخطر، وهذا أمر أنت في غنى عنه في الوقت الحالي يكفيننا ما نحن فيه من مصائب ... غرقت القاعة في صمت يكسر النفوس في الوقت الذي اقتحم أحدهم القاعة مقلباً نظراته بينهم قبل أن يتجه إلى الدكتور حسام هامساً في أذنيه بوضع كلمات ثم غادر ليقف قائلاً:

مصدر الوباء هو الماء ... صمت قليلاً قبل أن يقول:

وهو من مصدر غير أرضي على الإطلاق ...

هل ينتقل بأي وسيلة أخرى؟ ...

لا أستطيع تحديد هذا الأمر كل ما لدينا أنه ينتقل إلى المريض عن طريق الماء، ولكن ولو فرضنا أنه لا ينتقل بأي طريقة أخرى فإن الأوبئة ستنتشر بشكل مخيف، فأعداد الوفيات حتى اللحظة ضخمة بشكل مخيف نحن نتحدث عن آلاف من الجثث المكدسة... ليقف هيثم قائلاً وقد غلب على صوته الانكسار:

هل بإمكاننا عزل المناطق المصابة إلى الأبد سيد فراس؟

لا يمكن فنظام التهوية متصل بشكل كامل وهذه إحدى عيوب المدن ...

كم من الوقت تستطيع المدن الصمود في حالة إغلاق نظام التهوية بشكل تام؟

ستزيد الحرارة والرطوبة بشكل مبالغ فيه وستقل نسبة الأكسوجين،

ولكن بشكل عام فإنها ستصمد ليوم أو يومين كحد أقصى، وهذا سيعتمد على عوامل كثيرة، أهمها هي الحالة النفسية للسكان، في الوقت الحالي هناك نسبة توتر عالية بعد الإجراءات الأخيرة، وهذا سيزيد من معدل التنفس الطبيعي ...

هل بإمكانك تعديل نظام التهوية خلال الأربعة والعشرين ساعة القادمة؟

ربما، ولكن لا أعدك بشيء هناك الكثير من المخططات الهندسية المفقودة ...

إذا لتبذل أقصى جهدك ...

أيها السادة، من الآن أمامنا أربعة وعشرون ساعة بعدها ستفتح المصاعد أمام الجميع وسيتم إغلاق نظام التهوية احتياطياً من الآن... ثم نظر إلى الدكتور حسام وأردف:

لا أستطيع إجبارك على شيء ولكن أتمنى أن تبذل قصارى جهدك لإيجاد علاج مناسب لهذا الوباء القاتل، أمامك أربعة وعشرون ساعة فقط بعدها سنخلي المدينتين الأولى والثانية ... انتظر قليلاً قبل أن يقول:

على الجميع البدء بنقل كل ما في المدينتين من تراث وحضارة إلى المدينة الثالثة، ثم بعدها يتم إغلاق الأنفاق نهائياً ولو اضطرنا هذا إلى نسفها ...

انتهى اجتماع هيثم بالعلماء ليبدأ في تنفيذ خطته التي اتفقوا عليها غير أن أحد الإجراءات التي اتخذت بإلغاء نظام التهوية كان له أثر أكبر مما ظن الجميع، فحالات الهيستيرية الجماعية أصابت الكل

بلا استثناء، وانتشار الشائعات المبالغ فيها أدى إلى حالة من الثورة الغير مفهومة... ليصبح أهم مطلب فيها هو الخروج إلى السطح لتتوجه الجماهير الغفيرة إلى المصاعد تبغي النجاة من المجهول ... وتحت ضغط الآلاف سمح هيثم للجميع بالصعود ...

على السطح تنفس الناس الصعداء طانين أنهم نجو من الجحيم... ليمر اليوم الأول والثاني ثم تحدث الكارثة ... آلاف الجنود تهبط إليهم من السماء لتحصدهم بلا رحمة، نساءً وأطفالاً وشيوخاً أمّوا عملهم على أكمل ما يكون ... لم يجد الناس مهرباً غير المصاعد التي جاءت بهم ... بعضها كان ما يزال على السطح ...

بينما هيثم يتابع يتركيز عمل الدكتور حسام داخل إحدى المعامل المؤمنة إذ دوت صافرات الإنذار في المدينة، وصوت آلي ينبأ بحدوث اختراق للمدينة ...إنهم جنود الغزاة ... ألجمت الصدمة هيثم عن التفكير واتخاذ قرار صائب ليقف في مكانه انتظاراً للموت... صرخات النساء تغطي على صافرات الإنذار ... الوجوه شاحبة كالموتى ... أصوات الانفجارات تسمع للمرة الأولى منذ الحرب ... الخوف حولهم إلى أصنام ...

يقتحم مكنهم مجموعة من الجنود ... الموت قادم ... يسمع أحدهم يتحدث معه بتوتر شديد ... مازال مصدوماً كأنما فقد إحساسه بما حوله، يهز كتفيه ثم يصفعه بقوة بالغة ... يتنبه للمرة الأولى لقد رأى هذا الوجه من قبل، نعم هذا مساعد أمجد ماذا يريد؟ ... سمع تعال معي ... هرول خلفه بلا هدف ... بين الفنية والأخرى ينظر إليه ويحرك شفثيه بشيء ما لا يسمعه، ولكنه

يتبعه بإصرار ... حب البقاء ... توقف الزمن ... ضوء ساطع يغشى
 عينيه... حرارة رهيبة تلفح جسده ... اصطدم جسده بالسقف في
 عنف...يسقط مجددا ... أنين متصل في أذنيه ... عظام جسده تصرخ
 من الألم ... صدره يكافح من أجل البقاء... يستسلم أخيراً لتغلق
 عيناه بهدوء ...

بعدها بيوم واحد:

بكاء صامت ... همسات تأتي من ركن بعيد ... الظلام سيد الموقف...
 صداع رهيب يكتنف رأسه ... جسده لا يقدر على شيء... رائحة
 الموت في كل مكان ... صوت أقدام ثقيلة تقترب ... لا لا أرجوك...
 ضوء ساطع للحظات ... أحدهم يتحدث ... صوته يقترب... يقف
 أمامه الآن ... لا يفقه شيئاً مما يسمع ... يكمل طريقه ... بين الفينة
 والأخرى يرى ذلك الضوء الساطع ... القتل ما زال مستمراً ... شيء
 ما يتحرك أمامه ... يفتح عينيه على اتساعهما لعله يراه ... وميض
 للحظات يكشف له جسد يتحرك ...

من أنت؟ نطق بها بهمس كأنها يخاطب نفسه ... توقف الجسد
 عن الحركة يتراجع ببطء حتى اقتربت الرؤوس من بعضها
 من أنت؟

الدكتور هيثم ...

رئيس المدن ...

نعم...

عمر جندي حراسة ...

ماذا يحدث هنا؟

الأعداء اقتحموا المدينة وما زالوا هنا يقومون بإبادة الجميع دون
تفرقة ... غصة شديدة في حلقه ...
هل اقتحموا كل المدن؟
لا أدري فالأحداث توالى بسرعة وقُطع الاتصال بيننا وبين القائد ...
هل تستطيع أن تخرجنا من هنا؟
نعم ولا، فأنا لا أعرف تحديداً أين يمكنني الذهاب أنتقل من
مكان لآخر هرباً منهم ...
أستطيع إرشادك ... نحتاج أن نرى طريقنا ...
يمكنني الرؤية ...
كيف ترى في هذا الظلام؟
عدسات الرؤية الليلة من ضمن تجهيزاتنا ...
في أي قطاع نحن؟ ... لحظات من الصمت قبل أن يعقب:
القطاع السابع المنطقة الثامنة ...
نحتاج الوصول إلى القطاع الخامس المنطقة الأولى ... هناك غرفة
نستطيع الاحتماء بها ومعرفة ما يحدث ...

- ١٩ -

مرت عدة دقائق من الصدمة علينا جميعًا ونحن ملتفون حول تلك المرأة شبه العارية، كان أول المتحركين هو الشيخ أبو سليمان حينما خلع رداءه؛ ليغطي جسدها به قبل أن يوجه حديثه إلينا قائلاً بعصبية شديدة:

اتقوا الله ... وعضوا أبصاركم واحفظوا الأمانة ... أثارت كلماته الغيرة في قلبي لأمرهم جميعًا بالتفرق، وبدأت مع مجموعة منهم بوضع ساتر يحيط بها لنرحمها من نظرات الشباب الجائعة ... أمرت أكبر الرجال بيننا أن يجلس بالقرب منها لعلها تستيقظ في أي لحظة لنرى ما قصتها ...

تحرك الجمع بتبرم وانزعاج حتى أنا تحركت عنها وفي داخلي بدأت تلك الغريزة الحيوانية بالنهوض بعد ثبات طويل لتحكم ردود أفعالي ... هرول العديد من الشباب للإتيان بالكثير من الطعام والماء ويضعوه بجانب الساتر ... أدرك أنني أفقد سيطرتي على نفسي أولاً وعليهم ... كان لابد من تنقية النفس الجائعة من دنس الشيطان وفجور الشهوة التي ما إن غالبت النفس والهوى تردى بها في مهالك الجحيم ... وفي أحد أركان المسجد أرحت رأسي إلى الخلف فغلبنى النوم...

أنا أنت وأنت أنا والسמكة في البحر والهدهد في السماء والفأر في ال...

ماذا تريد الآن؟

السلطان والنساء ... ماذا تريد أنت؟! ... تأتيك الدنيا راغبة
فتمتنع عنها ... لقد جلبت لي كل أمراض الكون ... ألا تعقل أبدًا ...
ما دخلك أنت بي؟

عدنا إلى الأسئلة السخيفة ... يا عزيزي تذكر دائمًا أنا أنت وأنت
أنا ... أنا رغباتك وشهواتك ... دعك من كل هذا الآن ... ألم تعجبك
تلك المرأه ذات الأثد...

اصمت يا ابن العاهرة ...

إذا لقد لامست بداخلك وترًا حساسًا ... استيقظ الآن ولنا حديث
طويل بعدها ...

استيقظت على الشيخ أبي سليمان وهو يخبرني بأن المرأة استيقظت
وتريد التحدث إلى بأمر هام ...

ذهبت إليها بخطوات مسرعة لا أستطيع الكذب لقد كنت مبتهجا
أشد الابتهاج؛ فها هي السلطة تعطي لي ما لا تعطي لغيري ...
دنوت من سترها مفتتحًا حديثي بالسلام عليها وسؤالها عن أي
شيء تحتاجه، فأجابت بحمد الله وشكره ثم قالت:

سمعت الشيخ الكبير يلقبك بالأمير ... فهل أنت أمير حقًا؟ وهل
تملك العدد والقوة!!!؟

أجبتها معتدًا بنفسى مغرورًا قائلاً:

نعم أنا هنا الأمير والأمر والنهي لي ...

فأنا يا سيدي الأمير من أشرف مكة، وابنة سيد من ساداتها،
ونسب عائلتنا ينتهي بقريش أشرف العرب ... فلما دارت الدائرة
على قومنا وأمتنا، وبلغنا من العدو أن ارحلوا عن دياركم أيينا ذلك،

فجمعت النساء والأطفال والعجزة من الرجال إلى كهف في باطن أحد الجبال شرق مكة جهة الطائف كان قد أقامه أحد الأغنياء منذ زمن طويل؛ ليجعل منه جنة خاصة به وبداخله بنى قصرًا مهيبًا وكأنها الدنيا قد جمعت هناك، فأيما ابتغيت من نعيم الله وجدته، فلما مات ولم يكن له ورثة أهمل زمنًا حتى حول إلى مزار عام يقصده أهل مكة في عطلمهم، أتذكره جيدًا، فلقد كان آية من آيات الأرض فسيح عظيم يسع خلقًا كثيرًا، به خمس عيون من الماء العذب تروي أميالاً من المساحات الخضراء، بها من النعم ما لا يحصى ولا يعد، آية من آيات الجمال فلو رأه أحد لظن أنها جنة الله وحاشاها أن تكون ... تصمت قليلاً في الوقت الذي بدأت نفسي تحدثني بملك عظيم وجنات وعيون ونعيم مقيم لأسمع بكاءها الخفيض قبل أن تكمل قائلة:

تركنا الرجال وقد حملوا ما توفر من السلاح لحماية المدينة إن حدث لها غزو من قبل العدو، ولم يبق غير بضع رجال معنا لحمايتنا ليمر أسبوعان دون أن نسمع خبرًا عن الخارج ليقترح من معنا الخروج لاستطلاع الأمر، وياليتهم ما فعلوا ... لتبدأ في البكاء والنحيب بشكل هزكياني كله لتستجمع بعضًا من قوتها وتردف قائلة:

دخلوا علينا بسلاحهم وعديدهم فاستحلوا الأعراض وانتهكوا الحرمات وعاثوا في الأرض فسادًا، فصرنا لهم كالإماء والعبيد لم يرحموا عجزًا أو صغيرًا ... لتدخل في نوبة من البكاء الهستيري ... لا أدري أهو شفقة عليها أم رثاءً لحالها بكيت معها بصمت، وفي

داخلي يتصاعد الغضب ليلهب أفكارى ولتغلي الدماء في عروقي،
فأكره شيء إلى نفسي هو الظلم والقهر، انتظرت بجانبها حتى
هدأت لأسألها قائلاً:

من هؤلاء الذين دخلوا عليكم؟

لا نعرف لهم أصلاً، لقد دخلوا علينا وقد قتلوا البقية الباقية من
رجالنا إلا واحد هو من دلهم على مكمننا ...

هل هم من جنود العدو؟ ...

لتقع الطامة الكبرى على رأسي بإجابتها ... بل هم من أهل الأرض
يتحدثون بلساننا ويلبسون لباسنا ... عرفت فيما بعد أنهم جماعة
من المجرمين واللصوص ممن حكم عليهم في السابق، وكانوا بسجن
قرب الطائف ولا أدري كيف خرجوا منه...

هل مازالوا هناك؟

نعم ...

كيف استطعتي الهرب منهم؟

حدث شجار بينهم في يوم ما ليحتمد حتى وصل إلى سفك دماء
بعضهم بعضاً، فتغافلوا عن مدخل الكهف لأهرب مع اثنتين كنا
قريبتين منه، وبعدما خرجنا صدمنا من هول ما حدث سابقاً
لنمشي أياماً بين الأطلال بلا زاد إلا من قليل لا يغني، لتموت
الأولى بعد هروبنا بثلاثة أيام وتلحق بها الأخرى بيومين، أما أنا
فكنت أبغي الحرم ولا أعرف له طريقاً، فكنت أسير بلا هدى
حتى فقدت الأمل لأسمع صوت آذان الفجر فأكملت المسير حتى
بلغت الحرم ...

لا عليك يا أختاه ستكونين بيننا بإذن الله آمنة مطمئنة فأنت في

جوار الله ... قمت عنها وأنا أردد قول الشاعر:

حسبي بأبي غاضب ... والنار أولها غضب!!!

مكثت هناك قرب حجر إسماعيل والدماء تغلي في عروقي، تخبوا

في داخلي مشاعر الود والرحمة منذ أن كنت راعياً للغنم لتستيقظ

مشاعر الكراهية والانتقام ومشاعر الغضب، وكان أغلبها منصب

على ذاتي قبل كل شيء، فمنذ لحظات كادت شهوتي تغلب مروءتي ...

أتى الشيخ أبو سليمان ليجلس بجانبني قائلاً:

ماذا أنت فاعل؟

هل عرفتم؟!؟

نعم الشيخ قاسم أخبر الجميع بما سمع من حديثك معها ...

وماذا ترى؟

الحرب ...

وهل تقدرتون عليها؟

صمت برهة من الوقت قبل أن يقول:

إذا الشهادة في سبيل الله في سبيل العرض المهان ...

انتحار مقنع ...

قد أمرناك علينا من قبل فلا تخذلنا الآن ...

لا تزد على الأمر أرجوك ...

النفوس مشتعلة من خلفي النار تتأجج فيها ... هذا هو الاختبار

الحقيقي لنا ولك، هذه الدولة التي بدأنها جميعاً منذ عدة

سنوات وأمرناك علينا لتكون قائداً لنا فكنت خير قائد وخير

أمير هي بالنسبة لي اللبنة الأساسية، لينطلق من بعدنا أجيال من الرجال والشباب لترفع الظلم عن العالمين، لتعيد النور إلى أرجاء الأرض والكون معًا ... يا آدم هذه هي البداية لنهض من جديد فلا تكن أول المتأخذين ...

تركني ورحل وهو ينشد من خلفي أبيات تقول:

اغضب

فإن عواصف الزمن الملوثة تحرق الأحلام في عين الصغار الضائعين

اغضب

فإن العار يسكننا

اغضب

إذا لاحت أمامك أمة مقهورة خرجت من التاريخ

باعت كل شيء كل أرض كل عرض كل دين

اغضب

ولا تترك رفاتك جيفة سوداء كفنها عويل مودعين

اجعل الجسد النحيل قذيفة ترج أركان الضلال

ويشرق الحق المبين

أردت أن أنفجر في وجهه لأتراجع في النهاية كان صادقاً في كل ما قال ... جلست في مكاني بلا حرك وأنا أسمع من خلفي صيحات الشباب الغاضبين حماسهم تزداد وتهورهم أيضًا ... وقفت لألتفت إليهم ليصمت الجميع لأسيطر على غضبي قليلاً قبل أن أنادي فيهم سائلاً:

من منكم حمل سلاحًا من قبل؟ ... أنتظر قليلاً أسيطر على نفسي

مكماً:

من منكم قتل رجلاً من قبل؟ ... من منكم يعرف الحرب والقتال؟
... من منكم لديه خطة للقتال؟ ... يزداد انفعالي ويرتفع صوتي
أكثر:

ما أنتم إلا مجموعة من المهوورين وما أنتم خارجين إلا إلى القتل
وليس القتال ليأتني صياح تلك المرأة من جديد وهي تنادي
بأعلى صوتها:

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتيم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
لتهدم كل ما كنت أصبو إليه وأريده لينادي أحدهم مباشرة قائلاً:
الحرب ... الحرب ... ولو بقضبان الحديد ... لترتفع صيحات الجميع
من خلفه:

الحرب ... الحرب ... الحرب ...

ولم تكتفِ بما قالت بل خرجت من سترها حاسرة الرأس بملابسها
المقطعة لتنادي بينهم:

قد أنتهكت أعراض الحرائر بكلاب لم يراعوا حرمة الجسد الحرام في
البلد الحرام ... لتبدأ في الصراخ من جديد قائلة:

أين الرجال؟ أم عقلت أرحامنا أن تأتي بهم؟ ورب الكعبة لبطن
الأرض خير من ظهرها ... حينها لم أجد بدءاً من إسكاتها لأرتكب
حماقمة ما بعدها حماقة، انطلقت نحوها كالسهم مخترقاً الصفوف
لأصغعها بكل ما أوتيت من قوة لألقي بها للخلف عدة أمتار
فاقدة الوعي، لينفجر الوضع وتلتهب الأحداث ليبادر أحدهم

مباشرة بالهجوم، لأفقدته الوعي هو الآخر بلكمة أودعتها كل قوتي، ليأتي آخر وآخر لينقسم الجمع ويحيطني مجموعة من الشباب مدافعين عني، كان على رأسهم عبد الله وأخوته، لتتحول ساحة الحرم إلى معركة حقيقية ويضيع فيها صراخ الشيخ أبو سليمان، والذي لم يجد في النهاية بدءاً من إخراجي إلى خارج الحرم لتهدأ النفوس فتقدم مع مجموعة أخرى ليجروني جراً إلى مساكننا ... انتهى القتال ورضي كل طرف بما حدث وانسحب معي من دافع عني ليحموا مسكني ... لنبيت أسوأ ليلة لنا منذ الحرب.

-٢٠-

انتهى الاجتماع وعلى الوجوه علامات الخوف والهلع والحزن ... لكن واحدًا فقط كان وجهه يحمل تعابير مختلفة، ما إن انتهى الاجتماع حتى توجه إلى إحدى القطاعات المهملة منذ أعوام خلت... توقف قليلاً قبل أن يلج إلى ذلك الممر الطويل ذي الأنوار الساطعة، ليقطعه بخطواط مترددة ليصل إلى نهايته، والتي لم تكن غير جدار مصمط لا ينبئ بشيء، اقترب في حذر ليمرر إصبعه على جزء منه ليبدأ الجدار في الارتفاع كاشفًا عن غرفة صغيرة إلى حد ما، على جانبه الأيمن تراصت بذات كتلك التي يستعملها الطيارون الفضائيون، وعلى الجانب الأيسر مجموعة كبيرة من اللوحات الإلكترونية التي أضيئت شاشاتها بمجرد أن خطى داخلها، وأمامه كان الزجاج يكشف له عن مركبة فضائية صغيرة نسبيًا تدور حول محورها بهدوء، عاد الجدار إلى سابق عهده ... أستغرق الأمر ساعة كاملة حتى استطاع أن يرتدي إحدى تلك البذات ويتعامل مع اللوحات الإلكترونية ... ليستقر أخيرًا على مقعد القيادة ... لتبدأ أجهزة الاتصال بنقل صوت هيثم إليه:

ماذا تفعل يا مجنون؟ ...

ما كان يجب أن يحدث منذ زمن طويل ...

أنت ستدمرنا جميعًا بما تفعل ...

لقد انتهى الأمر وبدأ العد التنازلي ...

أرجوك هناك أمل في نجاتنا ...

دكتور هيثم لا تتعب نفسك كثيرًا، قضي الأمر ...

لا تفعل يا خالد أرجوك ... ضاعت صيحات هيثم في الفراغ...

في منطقة ما من جنوب العراق على شط الخليج العربي تنزاح الأرض لتكشف عن فوهه عميقة يتصاعد منها صوت محركات قوية، لتمضي لحظات قبل أن تخرج منها مركبة فضائية بسرعة كبيرة متجه نحو السماء ...

السماء تقترب بسرعة هائلة ... يغشاه الظلام ... أصوات تتداخل ... صوت آلي يحدد سرعته ... يقترب من سرعة الضوء ... ضربات قلبه تزداد ... خيوط من الضوء تتكون ... الرؤية تنعدم تمامًا في الخارج... مازال الصوت الآلي يحدد سرعته التي تجاوزت سرعة الضوء بقليل... توقف كل شيء فجأة ... لا يدرك شيئاً ... حواسه لا تعمل ... ملايين المشاهد تتوالى في عقله ... ومضات من بحر ذكرياته ...

ياسادة هذا هو خيارنا الوحيد لابد أن نستخدمها ...

طفله الصغير يحبو حتى يصل إلى قدميه ... يهب فزعًا صارخًا فيه... ينتفض الصغير ليبدأ في وصلة بكاء ...

ينصت له وهو يقول: الزمن المفهوم الأكثر غموضًا ونسيًا لكل فرد منا، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري استطاع العالم الكبير أينشتاين التوصل إلى النظرية التي قلبت المفاهيم النسبية العامة، وببساطة فإن النسبية تتعامل مع الزمن كبعد رابع في الكون مع الأبعاد المتعارف عليها الطول والعرض والارتفاع، وتجمع ما بين الزمان والمكان فهما شيء واحد، وظهر مفهوم جديد هو الزمكان ... أمه تربت على ظهره بقولها: يا بني غابت فرحة عينيك زمنًا...

يصرخ فيهم: لا بد أن نستعين بها ولتذهب كل النظريات العقيمة إلى الجحيم...

زوجته تدعوه إلى الغداء وهو منهمك فيما يفعل وللمرة الأولى يرى نظرة الشوق في عينيها وهو يجيئها:

ليس الآن انتظري ريثما أنتهي...تنسحب بهدوء مطأطأة الرأس وعلى وجنتيها تكون خطين من الدمع ...

معلمه الأول يقف أمامه قائلاً: افترض البعض أنه بالإمكان التحرك خلال الزمن للماضي أو المستقبل باعتباراه بعداً كما لو كنا نستطيع التحرك من خلال المكان بأبعاده الثلاثة ...

يدنو منه ليبلغه بموت والده ... نظر إليه قليلاً ... خلع نظارته الطبية ... تدمع عينيه للحظات قبل أن يكمل عمله ...

يتذكر كلمات أبيه: جديتك في البحث العلمي سيقابلها انهيار في حياتك الشخصية ...

تقف أمامه حاملة طفله لتقول: سوف أرحل إلى الأبد ... وكأن جبالاً قد أزيحت عن كتفيه ...

يتناقش مع صديق عمره بقوله: علمياً نحن نستطيع السفر إلى المستقبل تبعاً للنظرية النسبية العامة فالمسافر بسرعات عالية أو مقترّباً من جسم كوني له جاذبية كبيرة يتباطأ الزمن بالنسبة له مقارنة بشخص على الأرض ولكن إدراك الزمن لديهم واحد ...

صديقه في لحظة صفاء: أنت لا تملك قلباً بداخلك، وإنما نظريات فيزيائية ومعادلات رياضية ...

يتذكر تلك العبارة ولكن لا يدري أين أو متى قرأها: لم يسجل

التاريخ مطلقًا أن شخصًا استطاع القدوم من المستقبل في رحلة عكس مسار الزمن، وإن استمرت الأبحاث والتجارب في هذا المجال... تخرج فجأة من المسار الذي حدده لها من قبل ... أصوات عنيفة متداخلة ... جسده يرتطم بحجرة القيادة بعنف ... ضوضاء لا تنتهي... أنفه تشتم رائحة حريق ... عيناه تتحركان بعنف لتدرك أي شيء ...

تتهادى في الفضاء بلا هدف، تحوم حولها شظاياها كالقبر حاملة من بداخلها، الذي لم يكن بأفضل حالاً منها كان في غيبوبته وقد تمازجت الرؤى والأفكار، فلم تكن غيبوبة بالمعنى الذي نفهمه، فما زال عقله يعمل هو للنوم أقرب... يتخللها تنبيهات من حواسه بغير تفسير، فأذناه تسمع همسات كأنما يتكلم أحدهم، عيناه ترى أضواء عديدة مبهرة ...

في الخارج بدأت المركبة تتحرك رويدًا رويدًا في اتجاه ما بفعل قوة غريبة، وما إن قطعت مسافة بسيطة حتى انشق الفضاء عما يشبه رصيف التحميل للسفن الفضائية العملاقة، وما إن أكملت دخولها حتى عاد الفضاء إلى سابق عهده ...

انتفض فجأة وكأن الحياة دبت فيه من جديد، هب واقفًا ينظر حوله في خوف وتعجب ... غرفة صغيرة نسبيًا جدرانها من المعدن وقد طليت باللون الأحمر الزاهي وعليها تتحرك كلمات بلغة ما، أراضيتها من نفس المعدن ذو لون أبيض، سقفها أسود اللون وإن كان يشع ضوءًا أخضر في تمازج عجيب غريب للألوان ... خالية إلا من سرير من مادة لا يدري ماهيتها وإن كان مريحًا جدًا ...

وبينما هو متعجب مما يرى إذ أدرك أنه لا يلبس شيئاً تقريباً، وقد اعتنى أحدهم بجراحه التي لا يدري من أين اكتسبها ... انزاح الجدار المقابل له مباشرة ليقف على أعتابه مخلوق عجيب غريب، قامته بين الطول والقصر هي للطول أقرب، عريض المنكبين بشكل عجيب، عيناه غائرتان لها حدقة تلونت بالأزرق الفاتح وكأما النور ينبع منها، فمه واسع وأنفه عريض أصلح الرأس دائري الوجه، قصير الرقبة يلتصق ذقنه بترقوته، كثيف اللحية والشارب ولا تدري ألونهما أحمر نارى أم هو يصبغهما، ورغم قوته البادية وملامحة المخيفة إلا أن نظرة حانية تعلو وجهه، وبادر مباشرة إلى سؤاله قائلاً:

كيف حالك الآن؟ أراك قد استرددت عافيتك؟

اتسعت عيناه في دهشة شديدة وانعقد لسانه عن الحديث لتموج بعقله العديد من الأسئلة فكيف يستطيع هذا المخلوق أن يتحدث بلسانه دون واسطة ...

ابتسم محدثه غير مدرك لحقيقة دهشته مكماً وهو يشير إلى صدره مردفاً:

أنا هيولا وهذه سفينتي ...

كيف تتحدث لغتي؟ ...

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يشير إلى عقله قائلاً:

من خلال هذا وأنا تحديداً لا أستطيع أن أخبرك بدقة ماذا يحدث ولكن حينما أتحدث فإن عقلك يكون قادراً على استيعاب ما أقول من خلال هذا السوار الذي يحيط بمعصمك، وأنا بالمناسبة لا

أتحدث لغتك ولا أنت تتحدث لغتي ...

انتبه إليه للمرة الأولى ليمعن النظر إليه متعجبًا من قدراته العجيبة قبل أن يقطع هيولا تأمله بقوله:

أتدري أنك كنت على وشك الموت بعد خروجك المفاجئ من المسار الذي كنت تتخذه؟ ولولا عناية القدر لكنت الآن قطع صغيرة من اللحم المفروم، لقد كنا بالجوار وأنقذناك ... وعلى ما يبدو فلقد كنت تهرب من شيء ما؛ فسرعتك كانت عالية جدًا أو كنت تحاول اختراق حاجز الزمن ...

نظر إليه بتوتر قائلاً:

وهل استطعت ذلك؟ ...

انفجر بالضحك بشكل غريب يدعو للسخرية، في الوقت الذي أصيب به خالد بحالة من الإحباط الشديد قبل أن يتمالك هيولا نفسه قائلاً: وهل كنت تحاول فعل ذلك؟

أوما برأسه قائلاً: نعم.

إن القوانين النظرية التي تحكم الكون تفرض ذلك دائماً ولكنه حلم الحمقى والأغبياء فمن له حق التحكم في الزمن ... صمت قليلاً مقترّباً منه ناظرًا في عينيه بقوه اقشعر لها وجدانه قبل أن يعقب قائلاً: هم الآلهة فقط ... هل أنت واحد منهم؟

تراجع ببطء قائلاً: لا

نتحدث منذ زمن ولا أدري ما اسمك؟

خالد ... دكتور خالد شهاب ...

أنت من الأرض؟ أليس كذلك؟ ...

وهل تعرف الأرض؟!!!!

لم أذهب إليها قبل؟ ولكنني عرفت بعض العظماء منها ومنهم تعلمت الكثير ... ولكن للأسف فالساناي كانوا مشغولين بكم في الفترة السابقة ...

لا أعرف من تقصد بالساناي ...

الساناي هم من غزوا كوكبكم في الفترة الأخيرة ... لقد طال بيننا الحديث وأعرف أن لديك العديد من التساؤلات، ولكن هناك أمور لابد أن أهتم بها الآن، وسيكون لنا حديث طويل ... وضع يده على الجدار الذي سرعان ما تغير لونه إلى الرمادي قبل أن تخرج خزانة صغيرة من تحت يده ليخرج منها قطعة صغيرة الحجم من مادة ما أعطاها إياه قائلاً:

بعدما تأخذ راحتك بالكامل ضعها على صدرك فهي ملابسك الجديدة سوف ينتظرك مساعدتي في الخارج ...
هم بالخروج ثم التفت إليه قائلاً:

عند خروجك ضع يدك ذات السوار على الجدار وتخيل أنه يفتح ... خرج لتعد الحجرة إلى سابق عهدها ...

استلقي على سريريه ليلتقط أنفاسه ويرتب أفكاره ... في موقف لا يدري أخير هو أم شر، هرب من جحيم الأرض من أجل أن يحذر أهله من مغبة ما سيحدث لهم في المستقبل ليجد نفسه هنا... يراجع معلوماته عن المركبة التي انطلق بها لعله أغفل شيئاً عنها...

مركبة قيد التجارب لم تختبر بعد، طُورت من قبل العلماء في

محاولة لخلق حالة فريدة في نسيج الزمكان يتيح التنقل والسفر عبر الزمن كما المكان، وتعتمد فكرتها الأساسية على اختراق حاجز الضوء (حاجز الضوء هو ٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨ متر في الثانية الواحدة) المشكلة الرئيسية هي عدم قدرة الجسم الحي على تحمل السرعة العالية جدًا بخلاف السفن الضخمة والتي تعمل بمبدأ آخر اعتمادًا على الطاقة المظلمة... أما في حالة المركبة الزمنية (كما سميت فيما بعد) فكان الهدف هو الوصول إلى سرعة الضوء من خلال المحرك فائق السرعة، مع وضع قمرة القيادة في حالة فريدة تحافظ على قائد المركبة تحت ظروف السفر القاسية جدًا، وكان الأساس العلمي أن الزمن يتوقف عند الوصول إلى سرعة الضوء، فلو تمكنوا من الوصول إلى سرعات أعلى من الضوء لربما استطاعوا عكس مسار الزمن، والولوج إلى عالم افتراضي تستطيع المركبة فيه التنقل من زمن إلى آخر ...

استغرق الأمر منه عدة دقائق قبل أن ينهض ليضع تلك القطعة الصغيرة على صدره كما أخبره هيولا، لتحيط بجسده بالكامل في غضون ثانية واحدة لتعطيه بذة من مادة أشبه بالمطاط حرك جسده للحظات ليختبرها كانت مريحة جدًا ... وضع يده على الجدار كما أخبره ليتخيل أن الباب يفتح، ولكنه لا يستجيب ليحاول عدة مرات قبل أن يستجيب له ... خرج ليجد مساعد هيولا كما أخبره من قبل لا يختلف عنه كثيرًا في الهيكل الخارجي، غير أن نظراته كانت أكثر حدة وصرامة ... سارا معًا من خلال ممرات السفينة العجيبة لينبهر خالد بكل ما تقع عيناه عليه، وفي واقع

الأمر فإن انبهاره لم يكن بالحجم الخيالي لها ولكن بمدى التطور والتكنولوجيا المتقدمة جدًا فيها، حتى بالنسبة إلى عالم من الأرض في القرن التاسع والعشرين ... في عقله تداخلت الكثير من الأفكار المخيفة ...

- ٢١ -

السفينة المقاتلة (الرداء الأحمر)

الطراز: بارجة ثقيلة

القائد: خاقاي

المهمة: تقفي أثر الخائن هاناي والمتمرد تاناي

تموج المنطقة ببقايا السفن الثلاث التي تدمرت إثر انفجار سفينة تاناي ... يقترب بقدر الإمكان محاولاً تجنب القطع الضخمة للحفاظ على سفينته ... أمر بخروج الجامعات (سفن صغيرة الحجم مهمتها إخلاء الطريق أمام السفن الفضائية من أي بقايا صناعية قد تسبب الضرر لها، بالإضافة إلى تمهيد الطريق في حالة وجود معوقات طبيعية) من أجل الحصول على الصندوق الأسود (لدى الساناي يسمى السجل) لسفينة تاناي ... بدأت في الخروج ليأمر خاقاي بالبحث في المجال الحراري للمنطقة في غضون الساعات السابقة ...

إحدى الجامعات تقوم بمهمتها وبغير قصد اصطدمت بأحد الألغام التي نشرتها الفلك من قبل ... ظن خاقاي أنها إحدى المخلفات لسفن الساناي الباقية غير أن مزيداً من الفحص بين أنها ليست كذلك ... إذا هناك قوة أخرى تساعد الفارين ... مفاجأة متوقعة... يدرك خاقاي أنه بالتأكيد سيطلب الفارين المساعدة من إحدى القوى المناوئة للساناي، ولكنه لم يتخيل أن يكون الأمر بهذه السرعة

الشديدة، وبينما هو كذلك إذ جاءه تقريران منفصلان، أحدهما عن الجسم الغريب، والآخر عن السجل الحراري للمنطقة: جسم صناعي كامل الاستدارة محمل بمادة انشطارية نشطة شديدة الانفجار ... من أربعين نقطة على سطحها تخرج موجات ضوئية مركزة (الليزر) إلى مسافة محددة من الفضاء ... المصدر غير معلوم ... الخلفية الحضارية حضارة متقدمة ...

بدا على خاقاي أمارات الانزعاج من التقرير ليبدأ بمشاهدة السجل الحراري ليزداد انزعاجاً ... أفضى التقرير إلى نتيجة مفادها وجود سفينة فضائية عملاقة ذات بصمة حرارية تختلف تمامًا عن البصمات الحرارية لسفن الساناي أو أيا من أعضائها أو حتى حلفائها، بل واستقبلت الفارين ... هناك لاعب جديد على الساحة ... استطاعت إحدى الجامعات الوصول إلى سجل سفينة ثاناي لتبدأ مباشرة في تحليله واستخراج البيانات منه، ولكن بلغ الضرر أجزاء كبيرة منه في النهاية لم يقدم جديدًا ...

أصبح الخطر على الإمبراطورية والإمبراطور كبيراً جدًّا؛ فلربما نتعرض للغزو عما قريب من تلك الحضارة الغريبة والمتقدمة في آن معًا، وهناك هاناي وتاناي وقائد أهم وأكبر سفينة في الأسطول الفضائي كله (الرمح الأسود) كان هذا ما جال بخاطر خاقاي بعدما بدأت حقائق ما حدث تتجلى أمامه ... أرسل كل هذا إلى الماي وإلى الإمبراطور شخصيًا ... ليمده هتكاي بأربع سفن فضائية أخرى من نفس الطراز مع الأمر بتتبع وتدمير السفينة الغريبة بمن فيها ... بعد عدة ساعات وصلت السفن الأربع لتبدأ رحلة البحث عن

الفلك، في الوقت الذي أرسلت فيه إحدى الماسحات الفضائية التابعة لها تقارير دورية عن كل ما حدث ...
الموقف في غاية الخطورة كل الدلائل تشير إلى أن موتاي لن يهدأ له بال حتى يعثر علينا ... وفي إرساله للرداء الأحمر دليل على أنه يعطي الأمر أهمية كبيرة جدًا ...

أستمحك عذرك سيد تاناي، ولكن ماذا تعني بالرداء الأحمر؟ قاطع تاناي الجنرال أركان حرب عبد الله سالم مستفهمًا بعدما تم استدعائه لشرح الموقف لهيئة الأركان بعد المستجدات الأخيرة ليوضح له قائلاً:

النظام العسكري لدينا صارم جدًا ولا يستطيع أحد أن يترقى في المناصب القيادية إلا إذا حقق انتصارات عظيمة أو أعمال بطولية ضخمة، فالقائد خاقاي واحد من الأساطير الحية لكل الساناي، وأعماله الحربية وإن كانت في معظمها وحشية دموية ولكنها مبهرة بحق، ولديه تكتيكات حربية غاية في البراعة والحكمة جعلته يستحق أن يكون قائداً للرداء الأحمر، هي واحدة من مائة سفينة عظيمة هم دائماً طليعة الأسطول الفضائي للساناي خلف الرمح الأسود أعظم سفننا على الإطلاق، ولا أبالغ إن قلت أعظم سفن الكون كله ...

ظهرت علامات القلق على الجميع بما فيهم يوسف من كلمات تاناي قبل أن يكمل قائلاً:

أيها السادة لا تظنوا أنني سأقدم على خيانة قومي، وإنما أنا أشرح لكم الوضع فقط ... السفن الأربع المصاحبة للرداء الأحمر تمثل في

مجموعها كتيبة قتالية تضم بين طياتها مائة ألف جندي فضائي، بالإضافة إلى خمسين ألف طائرة مقاتلة صغيرة وهم على الترتيب ... الرداء الأحمر في المنتصف عن يمينها السهم الأبيض يقودها غافثاي والدرع السماوي يقودها شتاماي (كان صديقي من قبل) من اليسار السيف الأزرق يقودها قانتاي والأرملة الباكية يقودها القائد هماي ...

ولكن كيف تعرف أسماء السفن وأسماء قادتها سيد تانايا؟ قاطعه الضابط التنفيذي سليمان داوود
سيد سليمان، أسماء السفن وأسماء قادتها تكتب دائماً على مقدمتها ...

إذا كيف تعرف أعداد الجنود والطائرات بها؟ هل كنت أحد قادة السفن الفضائية من قبل؟ الجنرال سيف الدين شاهين متسائلاً ...
أيها القائد، كما ذكرت من قبل فإن النظام العسكري لدينا صارم جداً وهو ما نشأنا عليه منذ الصغر ... أصغر تشكيل قتالي لدينا هو السرية وتضم خمسين فرداً مقاتلاً، ثم الكتيبة وتضم عشر سرايا ثم اللواء ويضم عشر كتائب ثم الفرقة وتضم عشرة ألوية، والجيش يضم خمسين فرقة بمختلف الأسلحة، وينطبق هذا التنظيم على كل القوات القتالية للساناي بخلاف الحرس الإمبراطوري فله تنظيم مختلف كلياً ...

إذا فأنت كنت قائد لواء أيها القائد؟ ...

نعم ... وتضم السفن الفضائية من هذا الطراز خمسة ألوية قتالية بكامل عدتهم ... أيها السادة لن أستطيع أن أمدكم بالمزيد من

المعلومات فهذا الأمر فيه خيانة لبني قومي وما أعطيتكم ما كان إلا لتدركوا حجم المشكلة التي نواجهها جميعًا لتتخذوا القرار المناسب، ولكن لدي كلمة أخيرة ... صمت قليلاً قبل أن يقول: الساناي لن يتراجعوا أبدًا عن أي مهمة يكلفون بها حتى لو أدى ذلك إلى فنائهم عن آخرهم، وإرسال موتاي هذا العدد فقد أدركوا أننا نتلقى المساعدة من أحد وهم يسعون وراءكم، وإن تتبعوكم فإن أوامرهم بلا شك هي القضاء عليكم، وحتى إن لم تكن فإن خاقي لن يرحمكم وأنا لا أستطيع أن أحدد مدى قدرتكم على المواجهه... أنا وجنودي لن نتراجع عن قتالهم مهما حدث، بل سنبدل في سبيل ذلك أرواحنا لنعطلهم قدر الإمكان ريثما تستطيعون أن تتراجعوا بالقدر الكافي الذي تؤمنون به ظهوركم برفقة العظيم هاناي، وكم أتمنى أن أحيأ لأرد لكم فضلكم ولكن عزائي أنني أموت بمجد ...

أنهى تاناي حديثه قاطعًا الطريق عن سؤال آخر شارحًا الوضع باختصار قبل أن يفاجأه يوسف سائلًا:

هل تعرف قائد الرداء الأحمر؟

بحذر قال: نعم ...

صفه لي. أي نوع من القادة هو؟

خاقي قائد عسكري متميز وكما قلت سابقًا فهو أسطورة حية وهو دائماً ما يكون في المقدمة، ومن القلائل الذين تعتمد عليهم الإمبراطورية في حروبها الخارجية والمهام الخاصة، ويقود فرقة الرعد الأبيض وهي واحدة من أكثر الفرق تميزًا في كل إمبراطورية

الساناي، وهو ذكي جدًا ويعتمد دائمًا على التكتيكات العسكرية والإستراتيجيات الحربية غاية في التعقيد والحذر، ومن القلائل الذين لا يحتوي سجلهم على هزيمة واحدة ... ولكن رغم كل هذا فهو شخص متكبر ومغرور في النهاية يبقى واحد من أنجح القادة العسكريين في تاريخ الساناي قاطبة.

ماهي الوسيلة التي يتعقبونها بها؟

لا أدري فلست مهتمًا بالأمر التقنية ...

شكر يوسف تاناي على مساعدته وطلب منه العودة في أدب وقبل أن يخرج قال:

أتمنى ألا تزج بنفسك ورجالك في معركة أنت في غنى عنها ... صمت برهة ثم قال:

سفن الساناي قوية جدًا في مقدمتها ضعيفة إلى حد ما من الجانبين..

خرج تاناي في رفقة جنديين إلى غرفته ليعم الصمت القاعة قبل أن ينظر يوسف إلى الدكتور جلال قائلاً:

في رأيك ما هي الوسيلة التي يتعقبونها بها؟ ...

كان الارتباك والخوف يسيطران عليه بشكل كبير وكثيراً ما كان يتلعثم في حديثه ولكنه أوجزه في نقطتين:

أفضل السبل لتتبع سفينة فضائية ضخمة في الفضاء هي حرارتها، ونحن ننتج الكثير منها، وكما هو معروف فإن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، بالإضافة إلى أنها وسيلة سهلة ولا تحتاج إلى تقنيات معقدة ...

استوقفه يوسف قائلاً:

من فضلك دكتور جلال أوضح لنا هذه النقطة بالتحديد ...
السفن الفضائية تنتج آثاراً حرارية ضخمة في وسط بارد ومظلم
تماماً ... أوماً له يوسف بالفهم قبل أن يكمل قائلاً:
الوسيلة الأخرى تتبع الفلك من خلال تأثيرها في النسيج الزمكاني
فكل جرم سماوي يؤثر فيه ويختلف تأثيره حسب حجم الجرم
نفسه، ولكن مقارنة بالأجرام السماوية فإن تأثيرها سيكون ضعيفاً
جداً مقارنة بها، ومن الصعوبة تتبعها من خلالها ...
ران الصمت على القاعة من جديد ليبدده يوسف قائلاً:
أيها السادة ماقولكم؟ ...

تبادلوا النظرات فيما بينهم قبل أن يقف الضابط التنفيذي سليمان
داوود قائلاً:

الوضع الذي نحن فيه لم يسبق لأحد من البشر أن خبره من قبل،
واستعانتنا بالأرض الآن لأخذ الرأي ووصولها في الوقت المناسب أمر
مستحيل، ولذلك فإن أي قرار سوف نتخذه لابد ألا يؤثر عليها بأي
بشكل من الأشكال، فإله وحده يعلم ماذا من الممكن أن يحدث
إن قرر هؤلاء الساناي الانتقام بسبب مساعدتنا لهؤلاء الثوار، في
الوقت الذي لا نعرف مدى صدق أو عدالة قضيتهم، في النهاية
نحن نتخذ جانباً من الصراع لا ناقة لنا فيه ولا جمل ... صمت
قليلاً ثم أردف قائلاً:

الرأي عندي هو أن نتركهم لمصيرهم ولا نتدخل بأي شكل في هذا
الصراع، فنحن لا نعلم ولا ندرك عواقب التدخل فيه ...

لم يكد ينتهي حتى قام الجنرال سيف الدين شاهين منفعلًا وهو يصيح:

أنا لست مع هذا الرأي فكيف نتخلى عن طلب الحماية منا صراحة والتجأ إلى جوارنا، والله إنه لأمر نُعير به ويعير به أبناءنا من بعدنا ... ليقاطعه سليمان بهدوء وإن غلب عليه التوتر والحدة قائلاً:

أيها السادة دعونا نواجه الحقيقة المجردة، فنحن نفتقر إلى اللبنة الأساسية لأي قتال وهي المعلومات، بل نحن لا نعلم شيئًا تقريبًا غير بضع أمور لا تسمن ولا تغني من جوع، فكيف نزع بأنفسنا في قتال قوم لا نعرف عنهم شيئًا تقريبًا؟ ... أوماً بعض القادة بالإيجاب على حديثه قبل أن يقف الجنرال آغا قائلاً:

حين خرجنا من الأرض كنا نعرف أن مثل هذه المواقف سوف نصطدم بها شئنا أم أبينا، ولتعلموا أن خيار القتال مفروض علينا سواء الآن أو مستقبلاً، وهذا أمر في حسابنا جميعًا وإلا فكيف تفسرون كل تلك القوات العسكرية التي تحملها الفلك، ثم إن منحى التاريخ قد تغير منذ أن ظهرت سفينة تاناي أمامنا، فهذا أول صدام بيننا وبين تلك الحضارة الغامضة، والتي ألقى بنا القدر في خضم أحداث بالغة الخطورة في تاريخها، وانسحابنا من الأمر بالكلية سيعطي استقرارًا نوعيًا لتلك الحضارة التي ستفكر بالتأكد يومًا ما في غزونا، ولكن تلك المرة في عقر دارنا، الأمر الآخر والأكثر أهمية أننا نفقد ميزة استراتيجية بالغة الأهمية، فالفرصة أمامنا لاختبار مدى قوتهم وصلابتهم ومع واحد من ألمع قادتهم ... أيها

السادة، نحن أمام خيارين أحلاهما مر ولكن مكاسبنا من خيار المواجهة سيكون أكبر بكل تأكيد والأمر في النهاية ما قدره الله ... عقب يوسف على كلامه قائلاً:

أتمنى ألا نضطر إلى المواجهة والقتال ولكنه في النهاية أمر حتمي ... وما قبولي لتاناى وهاناى إلا أنني وجدت لها فرصة مناسبة لاكتشاف حضارة غامضة بالنسبة لنا، لربما بإمكاننا أن نمد جسوراً من السلام بيننا وبينها، ولا ينبغي هذا أن تاناى استجار بنا وهو أمر لم أكن لأرفضه مهما كان ... سوف نتعامل مع الأمر بحكمة بالغة ولن يكون خيار القتال مطروحاً إلا إذا استنفذنا جميع الخيارات المتاحة.. نظر إلي سليمان نظرات صارمة مردقاً:

ليس منها تسليم تاناى أو أحد من رجاله ... ولكننا بحاجة إلى المزيد من المعلومات ولا أظن أن تاناى أو أحد من الجنود سيعطينا أكثر مما أخذنا، بالفعل سوف أذهب إلى هاناى لعل عنده ما يفيد، درجة الاستعداد القتالية ستبقى كما هي في الوقت الراهن، وسيكون سليمان هو القائد ريثما أنتهي من هاناى. دكتور يونس، مهمتك دراسة المنطقة المحيطة بشكل وافٍ وأتمنى أن أجد تقريراً عندما أعود، سيكون مقرك من الآن غرفة القيادة ... انتهى الاجتماع الطارئ في الوقت الذي توجه فيه يوسف إلى إحدى القطاعات في الفلك؛ ليصطحب منها أحدهم قبل أن يتوجه به إلى هاناى ... أصر تاناى ابتداءً على وضع جنديين من الساناي على باب غرفة هاناى التي هي في الأصل غرفة يوسف الشخصية، استأذن بالدخول مع صاحبه الجديد والذي بدى أنه يوليه تبيجلاً خاصاً ... أذن لهما

بالدخول وبدأ يوسف حديثه مباشرةً قائلاً:

أتمنى أن تكون مرتاحًا بيننا أيها العظيم هاناي ...
أشكرك أيها القائد النبيل على ما تفعله من أجلنا ...

اتسعت عينا يوسف وصاحبه متبادلين النظرات فرد هاناي كان
باللغة العربية الفصحى كما لو كان أحد أبنائها، فلما استشعر
صدمتهم أردف قائلاً:

لا تتعجبوا فإن لغتكم هي اللغة المقدسة لدينا ولا يتحدث بها
إلا قلة قليلة من الكهنة والعائلة الحاكمة فقط، وهي قديمة قدم
الساناي أنفسهم ...

ازدرد لعابه قبل أن يعرف بصاحبه قائلاً:

هذا الشيخ أبو بكر صالح من خيرة من عرفتهم في حياتي ... تبادل
هاناي والشيخ التحيات قبل أن يقول الأخير:

في البداية لم أصدق عيني أن أجد أحدًا من الفضاء أقرب شبهًا بنا
فسبحان الخالق العظيم ...

إدًا فأنت رجل روحاني ...

نعم ولكنني أفضل لفظة رجل دين ...

دين ما معني هذه الكلمة؟

الدين هو مجموع ما يعتنقه الفرد من أفكار عن الحياة والفناء
والخالق ...

مثل ماذا؟

أنه لا إله إلا الله، هو الخالق للمخلوق والجماد، هو المصور له
المتفرد في ملكوته، من تجوز له العبادة دون غيره ...

نحن نطلق على خالقنا لفظة الإله المجردة دونما إعطائه اسم مفرد كما قلت من قبل (الله) ...
 إنما هو اسمه الأوحد الذي خاطبنا به وما أطلقناه عليه ...
 وهل خاطبكم إلهكم من قبل؟ ...
 نعم ... بدا على وجه هاناي التفكير العميق قبل أن يعقب قائلاً:
 هل خاطبكم جماعة أم فرادى ...
 بل جماعة ...
 أوضح لي من فضلك ...

لقد أنزل على نبي منا من قبل كتاب نقرأه ونحفظه إلى يومنا هذا، فيه أوامره ونواهييه فيه جزاؤه وحسابه ...
 أتمنى أن تُسمعني شيئاً منه ...

بسم الله الرحمن الرحيم (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤))
 وبوجه مليء خشوعاً قال هاناي: لم تسمع أذناي من قبل مثل هذا الذي تقول، فإنه وبحق الإله أبلغ وأعظم ما سمعت في حياتي، وودت لو تُسمعني المزيد من كتابكم ولكن انتظر لحظة من فضلك ... ثم التفت إلى يوسف قائلاً:

أعلم تماماً سبب زيارتك لي أيها القائد، وأقول مثل ما قال تاناي لن نخون أهلنا أبداً ولكننا سنعطيك ما تستطيع أن تدافع به عن نفسك في مواجهه الخطر القادم ولا تطمح في أكثر من هذا، واتركني مع هذا العظيم إن أذن لي أن أسمع منه المزيد، أحد الجنديين الواقفين بالباب سيعطيكم بقدر ما تحتاجون ...

نظر يوسف إليه بشيء من الريبة والتي سرعان ما رحلت عنه لتأتي طمأنينة مباحثة في تحول غريب عجيب لمشاعره ليس له ما يبرره وإن لمعت عينا هاناي للحظات قبل أن يستدير مغادرًا الغرفة ...

خرج يوسف ليفاجأه أحد الجنديين بقوله:

لقد أمرني العظيم هان...

ولكن كيف؟ ... قاطعه يوسف بشيء من الاستغراب ولكن الجندي أكمل قائلاً:

لقد أمرني العظيم هاناي بإعطائكم بعض المعلومات التي تحتاجونها... نظر له يوسف بشيء من الحيرة قبل أن يعقب في شرود قائلاً:

حسنًا ... آصف أرسل أحد معاوي رئيس الأركان إلى هنا ليحصل على إفادة هذا الجندي... توجه بعدها إلى حجرة القيادة وأرسل إلى تاناي ليلحق به هناك ...

في أحد جوانب حجرة القيادة التف يوسف مع نائبية والدكتور يونس حول مجسم يوضح المنطقة المحيطة بهم، وبدأ الدكتور يونس حديثه بقوله:

المنطقة المحيطة تعج بالأجرام السماوية الضخمة منها والصغيرة، أقربهم كوكب قزم يدور في فلك نجم ثنائي على بعد ألف ميل فضائي، يحوطه أربعة أحزمة من الكويكبات وتمثل مجموعة شمسية جديدة تتشكل حولنا بمعنى آخر مجموعة شمسية في طورها البدائي، ولا توجد أي أجرام أخرى في محيط دائرة نصف قطرها أربعون ألف ميل فضائي ...

استغرق يوسف في تفكير عميق احترمه الجميع ولم يقطعه سوى ضابط المسح الفضائي بقوله:

سفن فضائية معادية على بعد ألفي ميل فضائي ... العدد خمسة...
السرعة عقدة فضائية واحدة في الساعة (العقدة الفضائية تساوي
ألف كيلو متر تقريبا) ... زمن الوصول ساعتين وثمان دقائق ...

وصل تاناي في أثناء حديث ضابط المسح ليعقب قائلاً:

خاقاي يسير إلينا بحذر بالغ حتى لا يقع في كمين لم يقتنع
يوسف بما قال؛ فالمنطقة الفاصلة بينهما لا توجد بها أى أجرام
سماوية تقريباً مجرد فراغ بين نجمي ولا يمكن أن يُنصب بها
كيميئاً... إنما يريد أن يدرسنا أكثر ويحدد خطواته بدقة، قائد حذر
وماهر غير متهور ... في عقله اكتملت إلى حد كبير خطته للمواجهة
قبل أن ينظر إلى الدكتور يونس قائلاً:

هل بإمكان الفلك اتخاذ مسار بين النجمين دون الوقوع في أي من
جاذبية أحدهما ...

اتسعت عينا الدكتور يونس في ذهول قائلاً:

بالتأكيد هناك مسار بحيث تتعادل فيه قوى الجاذبية للنجمين،
ولكنه أمر خطير جداً، الفلك ليست مجرد سفينة صغيرة، حجمها
الكبير وجاذبيتها العالية سيحتم علينا اتخاذ مسار حذر جداً؛ فأى
خطأ أو انحراف ولو بسيط قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه ... نظر
في وجوه من حوله قبل أن يقول:

بإمكاننا استخدام محرك الفقاعة للهروب من هذا المدعو خاقاي
أليس أفضل؟ ...

نظر له يوسف بشيء من الصرامة قبل أن يكمل حديثه كأنما لم يستمع إلى الجزء الأخير مما قال قائلاً:

ما درجة الحرارة المتوقعة عند مرورنا من خلالهما؟

وزع الدكتور يونس نظره بين الحاضرين مستجدياً التدخل والمساعدة ولكن بلا جدوى، فقال في تلعثم واضح:

بالنسبة إلى النجم الثنائي فإن الأكبر قد تصل درجة حرارة سطحه إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة درجة مئوية، والأصغر إلى ألفين درجة تقريباً ...

أنا لم أطلب أن تحدد لي درجة حرارة سطحهما وإنما درجة حرارة المسار بينهما عند مرورنا ...

سيد يوسف، هذا النظام الثنائي يسمى في علم فلك (بالنجوم الثنائية الكاسفة)، إن المسافة الفاصلة بين النجمين نصف ميل فضائي، والهالة الشمسية لكلا النجمين قد تصل بدرجات الحرارة إلى عدة ملايين درجة مئوية ... ولا أظن أن الفلك قادرة على تحمل مثل تلك الحرارة ...

استغرق يوسف في التفكير مرة أخرى وأخرجه هذه المرة آصف بقوله:

تستطيع الفلك تحمل حتى مليوني درجة مئوية والمجال المغناطيسي لها سيوفر لها بعض الحماية، ولكن لابد أن تكون في وضع التفوق (وضع التفوق يغطي الهيكل الخارجي بالكامل بدرع من معدن خاص، ويطلق غاز النيتروجين المسال إلى السطح كل أربعين ثانية، وتقلل السرعة إلى نصف عقدة فضائية وتتحول القيادة إلى القيادة

الألية بشكل تام)

هل تستطيع العبور بنا في هذا المسار؟

حساباتي تعطي نسبة نجاح ٣٠ في المائة فقط ...

تكفيني ...

تقدم يوسف إلى مقعد القائد وبدأ في إصدار أوامره للجميع، وفي

عقله تبلورت خطته للإفلات من الساناي ...

- ٢٢ -

على جدران الكهف الغامض أضئ نقش تاماي ... تحرك ذاك المخلوق الغريب الذي سمى نفسه من قبل قغفن متجها إلى منتصف الكهف ليبدأ في ترانيمه الغريبة بصوت أشبه بفحيح الثعابين ... وهناك بالقرب من جسد تاماي الملقى تحرك الكائن ذو القرن ليقف بقامتيه الأماميتان على ظهره، بدأ جسد تاماي بالانتفاض كأنها يسري فيه تيار كهربائي وإلتأمت جراحه كأن لم تكن، ثم أنهار بجانبه لتنتقل تلك البلورة إلى السماء ...

بعد عدة دقائق انتفض تاماي مستيقظا ليجد قغفن أمامه بهيئته الغريبة ...

لم يصل أحد قبلك إلى هنا أغلبهم فقد وعيه في منتصف الطريق ... سمعها برأسه وليس بأذنيه ليكمل قغفن قائلاً:

الآن اتبعني من جديد ولا تنس سيفك ... انحنى تاماي ليحمل سيفه قبل أن يطرق قغفن على الأشجار مرتين بعصاه لتتزعج مشكلة ممراً طويلاً لا يرى آخره سارا معاً مسافة طويلة دوغما تحدث حتى قال قغفن:

الآن سنفترق تقدم حتى ترى جدك الأكبر قبل رحيلك ... أصابت الدهشة تاماي لحديثه وقبل أن يستعلم الأمر منه اختفى، فلم يجد بدءاً من إكمال طريقه ليسير مسافة طويلة أخرى ... وصل إلى منطقة اختلفت فيها الأشجار فكانت أقرب لما رآه قبلا على كوكب الرهبان أثره بجمالها وروعها ليقر في داخله بأن يد الإله تدخلت

لتصنع مثل هذا الجمال ...

أعجبتك أليس كذلك؟ ... تنبه فجأة إلى ذلك الذي اقترب منه رويدًا رويدًا حتى لم يعد يفصل بينهما غير مسافة بسيطة، يطفو على وسادة من الهواء ترفعه بمقدار عدة سنتيمترات قليلة عن الأرض لذلك لم يدرك قدومه ...

أنت جدي؟!!!

ربما أكون كذلك ... رسم صورة في خياله لرجل ضخم الجسد طويل القائمة مفتول العضلات، عليه دروع كالمحاربين يشهر سيفًا ماضيًا ذا صوت هادر، ولكن هذا الذي أمامه كان صورة مغايرة تمامًا جسم نحيل، وجه بارز العظام، شعر طويل وإن كان مهذبًا... أعطاه ظهره ليرى تلك البلورة الصغيره خلف ظهره ليزداد اندهاشا وتعجبًا ... إلى أين أنت ذاهب؟ ... قطع حيرته بما رأى من هيئته العجيبة بسؤال زاده حيرة وارتباكًا، فمنذ وعى الدنيا لا هم لمن حوله إلا بتذكيره دائمًا بما لم ير موت أبيه الإمبراطور على يد أخيه الأمير الذي نصب نفسه إمبراطورًا، بل إنه حقيقة لا يحمل مشاعر سلبية تجاهه، والجميع من حوله يغذي فيه كراهيته، هو لا يدرى حقيقة ماذا سيحدث إن تواجها وجهًا لوجه، لقد سأل الجد سؤالًا لا إجابة له عند تاماي فأثر الصمت ...

طال صمتك كثيرًا ... لا تملك جوابًا إذا كن حذرًا في إجابة السؤال القادم ... هل تريد حقا قتل موتاي؟ ... لا أدري ...

هل تريد قتل شخص قتل أباك أم لا؟

لم أر أبي ولم أر قاتله ... التفت إليه وقد علت وجهه ابتسامة مشفقة
ليتقدم نحوه واضعا يديه على صدره قائلاً:

أنت نقي جداً يا تاماي مضطرب القلب أيضاً، أنت ببساطة غير
قادر على تقبل ما تقبله غيرك منذ زمن، لقد شكلت كما ينبغي
لإمبراطور الساناي أن يكون ولم تشكل كما تريد أنت ... حياتك
ليست ملكاً لك إنما هي ملك لرغبات غيرك ... تاماي اختر طريقك
بنفسك ولا تنصاع لرغبات أحد ... في لحظة ما لا بد أن تقرر أي
طريق تختار، عندها وعندها فقط فيما أن تمتلك حياتك أو يمتلكها
أحد غيرك ... اذهب الآن ولكن تذكر كلماتي دائماً ... أنهى حديثه
مبتعداً عنه بهدوء كما جاء ومن خلف ظهره قال تاماي بشغف:
ألن تخبرني من أنت؟

أنا جدك ويكفيك هذا ... نظر إليه وهو يبتعد حتى اختفى تماماً
من أمام ناظريه ليسمع قغفن من جديد يقول:
أتبعني ... أبقى نظره حيث اختفى جده لعدة لحظات ثم أفل
ليلحق بقغفن ليصلا بعد مدة ليست بالقصيرة إلى ذات المكان
الذي هبط فيه أول الأمر، ليختفي صاحبه كما ظهر ولينتظر بعض
الوقت قبل أن تهبط سفينة توماي ليستقبله صوماي بحفاوة
بالغة، في الوقت الذي هبط فيه توماي على ركبته واضعاً قبضته
على صدره قائلاً:

ليحيا الإمبراطور ... اقترب منه باسمًا وهو يقول:
لم أنصب بعد يا توماي هناك رحلة طويلة أمامنا قم شكلك
مضحك ...

ولكنك ستصبح الإمبراطور يوماً ما ...

عندها أفعل ما شئت ...

ألم يقل لك شكلك مضحك قم يا توماي ... قالها صوماي بشيء
من الدعابة ليواجه بنظرات متوعدة من توماي أخفت الابتسامة
من على وجهه ...

هيا لنغادر هذا الكوكب ... قالها تاماي موجهاً حديثه إلى توماي
الذي قام على الفور وبدأ بالإقلاع بالسفينة ... ألقى تاماي نظرة
أخيرة ليجد جده وقغفن ينظران إليه ... كثير من المشاعر وكثير
من الأفكار بدأت تداعب وعيه وإدراكه، وكثير من الأسئلة بلا
إجابات حازمة لنفسه...

خرجت السفينة من الغلاف الجوي للكوكب ليتوقف بها توماي
وينظر إلى تاماي قائلاً:

منذ هبوطك على الكوكب وأنا أبحث في أرشيف السفينة على
الخطوة القادمة لنا ولكنني لم أجد شيئاً...

لم يكده ينهي عبارته حتى انهالت النيران على السفينة ليبدأ الطيار
الآلي بتفاديها ويستلم توماي مقعد القائد وهو يصيح:

موتاي الخائن كيف عرف بموقعنا ... انطلق بالسرعة القصوى
في الاتجاه المعاكس لمصدر النيران ليفاجئ بقصف آخر من تلك
الجهة، وكلما حاول الهرب إلى جهة أخرى فوجئ بإطلاق النار عليه
ليتوقف وقد أدرك أنه محاصر من جميع الجهات ...
يريدوننا أحياء ...

لماذا؟

على ما يبدو يا توماي فإن موتاي يريد أن يتأكد من موت الأمير تاماي بنفسه ...

لن يستطيعوا أن يمسوا شعرة واحدة منه طالما قلبي ينبض ... يتوجه إلى أحد أركان السفينة استخراج منها درعه وسلاحه وارتابهما وبالمثل فعل صوماي وتاماي وما إن انتهوا حتى قال الأخير:

ماذا سيحدث الآن؟ ... لم يكد ينتهي حتى نقلت لهم اللوحة الأمامية للسفينة وجهه مألوف لتوماي وهو يقول:

بإمكانني أن أقتلك ومن معك، ولكنها أوامر الإمبراطور الشخصية فعلى ما يبدو فإنه يريد أن يرى موتك بنفسه أيها المتمرّد توماي... نظر تاماي إلى توماي قائلاً:

من هذا؟ وهل يستطيع أن يرانا؟ ...

هذا القائد شورصباي كنا صديقين من قبل ولا سيدي الإمبراطور لا يستطيع أن يرانا حتى اللحظة ...

لا أفضل أن تنادينني بعد الآن بالإمبراطور أمير أفضل كثيراً إن كنت مصراً ألا تستخدم اسمي ...

كما هي رغباتك سيدي الإمبرا... الأمير... توجه مباشرة إلى مقعد القائد ليبدأ في الحديث مباشرة قائلاً:

شورصباي الإمبراطور السابق قتل على يد موتاي الخائن ...

لقد سمعت مثل تلك الإدعاءات من قبل وهو أمر لا يعنيني، أنا جندي أنفذ الأوامر أيا كان الإمبراطور ... أزيز خافت ينطلق من لوحة القيادة ينذر باقتراب سفينة ما ... ليتابع توماي حديثه قائلاً:

ماذا تفعل؟

لا شيء سوف آتي بك إلى هنا ونتحدث كيفما نشاء عن إدعاءاتك
تلك ...

لقد كنا مثل أخوة من قبل ... تجلت أمارات الغضب على
شورصباي ليصبح قائلاً:

لقد كسرت قسمك المقدس بخيانتك مع قائد الجيوش لقتل
الإمبراطور السابق، ولولا حكمة الإمبراطور لضاعت هيبة الساناي
إلى الأبد ... أنهى كلماته قاطعاً الاتصال ليهب توماي واقفا على
قدميه قائلاً:

سوف يقتحمون السفينة في أي لحظة لتكن خلفي أيها الأمير ...
تحرك تاماي إلى الخلف ليس لحماية نفسه ولكن ليعطي لنفسه
فرصة للتفكير فيما سمع منذ قليل ... هل يمكن أن يكون أداة
بطرف من وثق فيهم؟ ... هل هو مجرد دمية في صراع من أجل
السلطة؟ ... فريقان متحاربين، أحدهما يزعم أن أباه قد قتل بيد
الطرف الآخر متمثلاً في عمه ... وفي نفس الوقت فإن الطرف الذي
يحميه يزكي فيه نيران الثأر منذ أدرك الدنيا وغرس فيه مبادئ
التسامح مع الآخر، وأن الدماء لاتجلب إلا الدماء في تناقض مثير
للريبة ... في أعماق أعماق ذاته نبتت تلك البذرة قبل موت
الكاهن الأعظم بقليل، ليعود بالذاكرة إلى تلك النقطة بالتحديد ...
الآن يتحد روحانا يا تاماي ستحمل دائماً جزء مني معك.. سيذكرك
دائماً بعظمة التاي وحكمتهم، سيعزز فيك حب الخير وبغض الشر..
غمستاي أسس نظاماً ظالماً، نظاماً قهر أرواح الساناي وحولهم إلى
عييد لرغباته ورغبات أحفاده، لقد آن الآوان أن ينتهي هذا الظلم..

سوف تكون أنت كموجة عاتية تقضي وللأبد عليه ...
هل الإمبراطور بخير يا توماي؟ ... انتزعت تلك العبارة تاماي من
تفكيره لينظر إلى لوحة القيادة التي ظهر عليها قائد مهيب الهيئة
لم تكذ عينا توماي تقح عليه حتى هلل فرحا قائلاً:
الرمح الأسود إلى جانبنا ... ليحفظ الإله روح شومتاي الحكيم ... نعم
أيها القائد باتاي لقد جئت في موعدك تمامًا ... بعدها نقلت لهم
الألواح الشفافة للسفينة الصغيرة معركة ضخمة بين الرمح الأسود
وسفن شورصباي، انتهت بنصر ساحق للأولى قبل أن يخبرهم باتاي
بأن الوضع مهينًا لاستقبال الإمبراطور على السفينة ...
هبطت سفينة النجاة على رصيف التحميل للرمح الأسود، همّ
تاماي وصوماي بالمغادرة ليستوقفهم توماي بقوله:
لا يليق لك أن تخرج على جنودك هكذا ...
فكيف تريد أن أخرج عليهم يا توماي ...
عاري الصدر شاهرا السيف، ليرى الجميع أنك الإمبراطور، فعلى
صدرك نقش اسمك وعلى ظهرك نقش رمز الساناي وعلى سيفك
أسماء الأباطرة وعلى رأسهم جدك الأعظم والإمبراطور الأكبر
غمستاي ... تبادل النظرات مع صوماي الذي أشار له بالإيجاب
قائلاً:

رأي حكيم فرؤيتك للمرة الأولى ستحدد نجاحنا من عدمه ...
فتح باب السفينة ليجد تاماي أمامه كل طاقم السفينة متراصون
على الجانبين مشكلين ممرا بأجسادهم، ينتهي بباتاي يحوطه
مائة من قادة الرمح الأسود ... انبهر بما يرى فالجميع متراصون

بانتظام شديد ينظرون إليه بقوة ... خطى أولى خطواته خارجها ليخر الجميع على ركبهم واضعين قبضاتهم على صدورهم صائحين بصوت هادر:

ليحيا الإمبراطور ... ليحيا الإمبراطور ...

سار بينهم كاشفًا جزعه شاهراً سيفه من خلفه توماي وصوماي حتى وصل إلى باتاي ومن حوله ليقف قائلاً:

لقد أحسن توماي الاعتناء بك ولو كان أبوك حيًا لم يكن ليتمنى أن يراك إلا هكذا ... الآن ستكون أنت قائد الثورة على موتاي الخائن، وجميعنا سننصاع لك وسندافع عنك وعن ثأرك حتى النهاية ... تفضل أيها الإمبراطور غرفة والدك بانتظار أن ترحب بك ... سار الجميع خلف تاماي وباتاي في أروقة الرمح الأسود، وبرغم انبهاره بما يرى فإنه لم يظهر ذلك أبدًا على عكس صوماي الذي انسابت من بين شفثيه عبارات الانبهار الشديد ... وصلا إلى حيث غرفة الإمبراطور ليقف الجميع خارجها دعاه باتاي للدخول ... دلف تاماي لتتسع عيناه من شدة انبهاره بما يرى أمامه ... فبخلاف أن الغرفة تقع في أعلى نقطة من السفينة فإن جدرانها الشفافة تنقل مشهدًا غاية في الجمال والإبداع ... أمامه مباشرة الدرع الكامل لأبيه الإمبراطور، من خلفها صورة ضخمة له وبجانبها صورة صغيرة لوالدته، أطال النظر إليهما ثم تقدم ليتلمس بأصابعه وجههما وتفيض مشاعره ...

عن يمينه رمح عظيم يقف منتصبًا بلا حامل كأنما يحملها الهواء، ومن خلفه نقش عظيم لجده غمستاي عن شماله جنة الله في

أرضه، فبخلاف المساحة الضخمة فأى وصف يطلق على سرير من مادة شبه شفافة يسير من تحته نهر جارٍ من ماء فيروزي اللون، تفوح منه رائحة زكية تتفاخر فيها مخلوقات صغيرة كالأسماك بألوان غاية في الجمال والروعة، عن يمين النهر ويساره نبتت شجيرات صغيرة بعضها يحمل ثمارًا بألوان مختلفة، وبعضها يطلق نغمًا جميلًا، بعضها الآخر يضيئ بلون أبيض زاهٍ ... أغلق توماي الغرفة خلف تاماي قائلاً:

لنترك الإمبراطور يرتاح الآن، وسأبقى أنا والقائد صوماي هنا لخدمته ... غادر الجميع بخلاف باتاي الذي انتظر حتى غادر الجميع ليوجه حديثه إلى توماي قائلاً:

الوضع مشتعل في الإمبراطورية كلها لقد سمعنا أن حامي غرفة الأسرار العظيم هاناي مع قائد يدعي تاناي قد قاما بثورة كبيرة في أنحاء متفرقة من الإمبراطورية، وكبدوا الأسطول الفضائي خسائر كبيرة جدًّا، وتنص الخطة أن نلتقي بالعظيم هاناي مباشرة بعد تأمين حياة الإمبراطور على كوكب الغنواي، حتى نلتقي بهم ستكون الرمح الأسود تحت قيادتي وهناك سأسلم كل شيء إلى الإمبراطور، ولكنني مستعد أن أتنازل عن قيادتها له الآن إن رغب في ذلك ...

لا داعي لذلك أيها القائد ولكنني سأخبره بكل ما قلته بمجرد خروجه ...

سأترككم الآن وسأرسل لكما أحد مساعدي ليبقى بجواركما إن احتاج الإمبراطور أو أنتما إلى شيء ...

-٢٣-

أذن لفجر اليوم التالي لأقف متوجهاً إلى المسجد الحرام منعني
الشيخ أبو سليمان قائلاً:

إن النفوس مازالت مشتعلة فلا تصب الزيت على النار، وذهابك
الآن إنما سيفضي لمعركة كما الأمس ... بالذي رفع السماء بغير عمد
أن تبقى هنا حتى أتحدث معهم فألين نفوسهم وأهدأ ثورتهم ...
لا والله لا أرجع عن الصلاة في المسجد بل لأصلين اليوم بالناس
إماماً ... لقد بايعوني من قبل إماماً وقائداً لهم، ثم تجرأوا علي
ورفعوا الصوت واليد ولولا حرمة المسجد لأمرت بقطع أعناقهم
وصلب أجسادهم ...

يا آدم بالله عليك لا تفرق جماعة المسلمين من بعد أن جمع الله
كلمتهم ووحيد صفهم وقد كنا فرادى خائفين ...

يا أبو سليمان أنت أعلمنا بأحكام الدين ألم تقرأ قول الله تعالى:
(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) النساء (٥٩)..

نعم صدقت ولكن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ... وقد
أخبرت أن النفوس مشتعلة والغضب يأكلها فما زدت الوضع إلا
اشتعالاً كأنها صببت الزيت صباً، فأوقدت نار الفتنة وشققت
الصف فلا تركبن رأسك فيزين الشيطان لك سوء عملك فينهار
جهد الأيام والسنين ...

والله ما نصحت لي إنما تريدها لنفسك، في بادئ الأمر أشعلت

نفسي وأوقدت ناراً من الغضب فيها ثم تأتي الآن فتأمري وتنهاي
إفما أنت نهض واقفًا وهو يقول:

لا تزد على ما قلت فو الذي نفسي بيده لهمت أن أعتزلكم
جميعًا مفارقًا لكم وشأنكم وما تريدون، ولكنها بقية من رجاء
أن أجمع شمل الصف وبعدها ليفعل الله ما يريد، واعلم إفما
جئتك ناصحًا وخرجت عنك نادمًا أن وليتك أمر الناس، فإن بقي
في نفسك شيء من إصلاح فلا تقدم الصلاة اليوم حتى آتي لك بما
يجمع كلمة المؤمنين ... تركني والدماء تغلي في رأسي ولكني آثرت
الصمت حتى أرى ما يفعل الله بي وبهم ... قمت متوضاً لآمر
من معي بالتجهز للصلاة، فسألني أحدهم ألن نذهب إلى المسجد؟
فقلت لا سنصلي هنا حقنًا للدماء وتجنبًا للفرقة، وإن كنت غير
مقتنع بما أقول حتى إذا انتهت الصلاة وقفت فيهم خطيبًا:

أما بعد فقد رأيتم جميعًا ما حدث بالأمس إفما أردت إسكات
تلك المرأة لأحفظ أرواحكم وأنفسك من التهلكة، فكيف يستقيم
أن نذهب للحرب وما نحن بأهل لها، فإله يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) الأنفال (٦٠) فأي عدة نملك؟ وأي قدرة
لدينا؟... أيها الرجال إفما أردت أن نستعد بما يتوفر لنا من قوة،
فإعداد للبدن وبحث عن السلاح ... ولا يظن أحدكم أني نسيت
أمر هؤلاء المقهورين لا والله، ولكني كما قلت أردت إعدادكم ليوم
اللقاء، فإله يقول (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) البقرة (١٩٥) ...
هذا، والله من وراء القصد ... أنهيت حديثي ليقف أحدهم قائلاً:
والله لتبتعنك أمما وجهتنا، ولكن من أين سنأتي بالسلاح والوضع

كما ترى؟ وكما ذكرت منذ قليل فالله يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) الأنفال (٦٠) ما استطعتم من قوة، والقوة التي نستطيع الحصول عليها هي معاول البناء ومقصات الحديد فنستطيع أن نستخدمها كالسيوف ...

يابني أعلم والله غيرتك على الأعراض، وإني والله لأكثركم غيرة ولكن كيف للسيف أن يواجه سلاحًا آليًا ... إن الإعداد أن نتساوى في قوة السلاح، أما العدد فإن الله كفيل به ... والآن ليتجهز كل منكم للرحيل فيحمل معه ما يكفيه يوم وليلة ...
إلى أين؟ ...

سأخبركم فيما بعد ...

عند الضحى جاءني الشيخ أبو سليمان وقد رحل عني الغضب، وأدركت فداحة ما قلت في حقه فاستقبلته أحسن استقبال، بل واعتذرت منه مقبلاً رأسه، وهممت لأقبل يديه لولا أن منعها عني فبدأ حديثه بقوله:

يا آدم قد أخذت لك منهم عهدًا بأن تصلوا في الحرم بلا مضايقات، ولكن لن يمكنوك من الإمامة وقد فضوا بيعتهم منك ...

إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أنك تعلم إني ما أردت لهم إلا الخير ... وماذا هم فاعلون في أمر تلك المرأة؟ ...

لقد أجمعوا أمرهم أن يرحلوا صباحًا مصطحبين المرأة معهم لتدلهم على ذاك الجبل، وهناك سيقتمونه وليفعل الله ما يشاء

من قائدهم وبأي شيء سيقاتلون؟ ...

اختراروا الشيخ رؤوف؛ فلقد كان جنديًا سابقًا في شرطة الشام ولديه

بعض الدراية بأمر القتال ... صنعوا دروعًا من الخشب والحجارة
وسيحملون معهم رماحًا وقضبانًا من الحديد ...
إنا لله وإنا إليه راجعون ... وماذا أنت فاعل؟
سأرحل معهم فيما نصر أو شهادة فلن أتخلف عنهم أبدًا ...
أنتم ذاهبون إلى حتفكم ...
ليفعل الله ما يشاء ...
سأصلي معكم الظهر اليوم وأتحدث معهم فلعلهم يرجعون ...
كما تشاء ... وإن كنت جئت لأقنعك بقيادتنا فأنت أعلمنا بفنون
الحرب وخدعها، ولكني رأيت من معك يتجهزون للرحيل فحدثتني
نفسي بأنك راحل معهم مبتعدًا عن الخطر ...
وساوس الشيطان يا صديقي، وإنما أنا راحل لأبحث عن القوة ...
وأي قوة تلك؟ ...
السلاح الملائم ...
ليوفقك الله فيما أنت مقدم عليه أتركك الآن وأنتظر على باب
المسجد ...
أراد من معي القدوم فأمرتهم بالبقاء خشية أن تنفلت الأعصاب
فيحدث مالا يحمد عقباه، وخلفت عبد الله أميراً عليهم ريثما
أعود ... بالفعل كان الشيخ أبو سليمان في انتظاري على باب
المسجد، فدخلت معه لأجد الجميع منهمكًا، إما في الحديث
وإما في صنع ما يرونه سلاحًا مناسبًا، ليتوقف الجميع ويرمقونني
بنظرات لوم وعتاب، ولم يكذب خبر وصولي يصل إلى المرأه حتى
بدأت تنشد قائلة:

لطمت الحرة وقد جاءت مستنجدة فويل لها من يد شلاء ...
فصاح فيها الشيخ أبو سليمان قائلاً:
والله لئن لم تنته لأقتلنك ... فصمتت وإن رأيت في عينيها غضب ...
صلى الشيخ أبو سليمان بنا فلما انتهى وقفت قائلاً:
أيها الناس والله ما جئت إليكم إلا خوفاً من مصير أراه أتت لا
محالة، فإنكم إذ تزحفون للحرب تزحفون بغير عدة ولا عتاد ...
بدأو يقومون فرادى ... يا قوم إنما أنا لكم ناصح أمين، فاتقوا الله
وأطيعوا أمري، ما أمهلكم غير خمس ليالٍ آتيكم بما نستعين به
عليهم من سلاح وعدة ... لأفاجأ بتلك المرأة من جديد:
أعراضنا تنهشها الذئاب كل ساعة، فحملنا سفاحاً وأميركم يريد
مهلة ... أراد الشيخ أبو سليمان القيام فأجلسه أحد الشباب بغلظة
ليحدثني بقسوة وقد ملأت عيناه غضباً قائلاً:
ارحل عنا كما جئتنا ولا تثبط عزائم الأسود الضارية إن هي زحفت
إلى الضباع ... ليقوم آخر قائلاً:
ارحل عنا وما جئتنا به من الباطل، والله لنقاتلن الظالمين بصدورنا
العارية ولننزلن الله ملائكة نصره لنا ... ليقطع حديثه آخر قائلاً:
اتركوا الرجل يكمل ما بدأه ... لتزيد حدة الخلاف والشقاق وتتعال
الأصوات من جديد، فنظرت إلى الشيخ أبي سليمان نظرة استجداءً
وعطف وأنا أقول له:
بحق ما آمنت به لترحلن معي، وأقسم لك بالله لأقاتلن هؤلاء
القوم قتالاً لم تشهد الأرض مثله ولا بعده ... فنظر إلي في صمت قبل
أن يقول:

لوددت أن آتي معك ولكني لن أتخلف عن زحف في سبيل الله كما تخلفت من قبل، وليكن الله معينك ومعيني ... حانت لحظة الفراق فاحتضنته وأنا أبكي قائلاً:

إننا لله وإننا إليه راجعون ... غادر بعضهم معي وأفلت راجعاً إلى من تركتهم، كانوا أربعمائة شاب تقريباً قسمتهم إلى مجموعات كل مجموعة من خمسة وعشرين فرداً، وتركت أمر اختيار قائد لكل مجموعة مرهوناً بهم وأخبرتهم أن هذا التقسيم سيكون تقسيماً عسكرياً صرفاً، وكل مجموعة ستسمى من الآن سرية ولكل سرية اختيار اسم مناسب لها وسيكون لكل سرية مهمة محددة فيما بعد، أما الآن فإنه أوان الرحيل وحينما سئلت إلى أين أجبته إلى جدة ...

لم يكن اختياري الذهاب إلى جدة إلا لعلمي بوجود أحد معسكرات التدريب والذي قضيت به شهرين بعد تخرجي من كلية الحرب لإتمام دورة عسكرية متقدمة وقتها ... بالإضافة إلى احتوائه على مخازن ضخمة من الأسلحة والذخائر لقوات الشرطة تحت الأرض... كان أمني أن تكون المخازن كما هي على الأقل ففيها العدة اللازمة لشن حرب محدودة ... أكملنا تجهيزاتنا وبدأنا المغادرة بعد صلاة العصر ...

لولا أطلالها لوصلنا أول الطريق قبل العشاء ولكن يشاء الله أن يكون طريقنا ملئاً بالهضاب والجبال من أثر المباني العملاقة التي هدمها العدو، وليلتها جلست أتأمل كيف استطاع العدو أن يهدم كل تلك المدن رغم عدم وجود مخلفات للقذائف أو حتى آثار

حريق متفرق، الأمر الآخر هو السرعة الرهيبة في تنفيذ هذا الأمر، فكما قالت لي أم زياد يرحمها الله هي ليلة واحدة ... تذكرت أم زياد وزياد عليهما رحمة الله، تذكرت حالي وقتها وحالي الآن وتعجبت من تصارييف الله سبحانه وتعالى ... تذكرت حديثنا سويًا في وقت كان إيماني مترعزغًا ويقيني في أقل حالاته، وما زالت كلماتها ترن في أذني (يا بني إن قدر الله عز وجل لهذه الأمة أن تكون في محن وابتلاءات إلى يوم الدين فكيف كنا نفسر قوله تعالى في سورة البقرة (وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (١٥٥) فاصبر يا بني ولا تقنت من رحمة الله تعالى، وانظر معي إلى عظمة قوله تعالى في سورة الطور (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (٤٨) واعلم أن جزاء الصبر عنده في الآخرة عظيم وتيقن من نصره لنا في الدنيا فهو يهئ الكون كله لذلك، وإن دارت دورات الزمن علينا ولكن نصره دائمًا قريب وهو أقرب مما تظن، واعلم أن الله له حكمة فيما حدث وإن غابت عنا، فكن يا بني من المؤمنين الصابرين الشاكرين وتذكر دائمًا قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة (١١١) الله اشترى أنفسنا وأموالنا فنعم الشاري وهنيئًا للمشتري، ولكن فقط إن بذلت في سبيل مرضاته سبحانه وتعالى.... لأنام مبتسمًا رغم ما نحن فيه ...

أنا أنت وأنت أنا والسمة في البحر والهدد في السماء والفأر في
ال ...

أعجبتني جدًّا وأنت ترد على ذلك الرجل ذي اللحية، لقد عرفت
خبايا نفسه دون أن أخبرك ... هنيئًا لك لقد صرت أكثر حنكة من
ذي مضى ...

مالى أراك صامتًا ...

لا طاقة لي بمجادلتك الآن فعندي ما يكفيني ولا أجد عندك ما
يعينني ...

لا لا لا أحزنتني لقد أسديت لك النصح دائمًا ولكنك ناكر للجميل
سريع النسيان ...

إذا ما هي نصيحتك لي اليوم؟ ...

لن أقول لك حتى تستسمحني وإلا فلن أعود لك أبدًا ...

الحمد لله ...

هكذا بكل بساطة ...

سأذهب الآن ولكن نصيحتي لك ألا تخطو في طريقك هذا خطوة
أخرى فهو طريق مليء بالأشواك ...

استيقظت وقد أوشكت الشمس على الشروق لأوقظ الجميع
لنصلي الفجر ... خلفنا مكة ورائنا قبل الظهر بقليل لنستريح

قليلاً من حرارة الشمس قبل إكمال مسيرنا، ولكنني تعجبت من
ظهور الإعياء على أغلب من معي رغم سنوات العمل الشاقة في

البناء، حدثني بعضهم بالاستراحة قليلاً ولكنني رفضت طمعًا في
قطع مسافة أكبر ... غربت الشمس ولم نقطع حتى عشر المسافة

فالكثير منهم كان ينفار في أثناء مسيرنا بالنهار لأقرر أن نستريح نصف الليل، ونسير من منتصفه إلى الضحى، ثم نستريح حتى قبل الغروب بقليل لنكمل المسير ... ولكن للأسف فما إن جلسوا حتى غاب أغلبهم في النوم وضاع مجهودي في إيقاظهم هباءً ... في اليوم التالي قاموا جميعًا منهكين متألمين فلم نستطع أن نقطع إلا نذرًا يسيرًا من الطريق لأقرر أن نرتاح قبل الظهر بقليل ونكمل طريقنا بعد الغروب ... بالفعل استطعنا أن نقطع مسافة أكبر من اليومين السابقين، وهكذا لمدة يومين آخرين حتى وصلنا إلى النقطة التي يتوجب فيها علينا أن نترك الطريق الرئيسي بين مكة وجدة لتتخذ طريق المعسكر، والذي أتذكر أن السيارة قد قطعت وقتها ثماني دقائق فقط من هنا، بمعنى أن أماننا مائة وثمانين كيلو مترًا ربما يومًا أو ثلاثة من المسير، ولكن هناك مشكلة فلقد نقصت المؤونة بشدة ... وقتها بدأ الخوف يدب في أوصالي وبدأت نفسي تحادثني أنني لربما أوردت نفسي ومن معي المهالك ...

-٢٤-

إلى السفن المجهولة حدد موقفك من مطاردتنا ... أمر يوسف ضابط الاتصال ببث الرسالة على نفس الموجة التي استقبل بها بث تاناي من قبل في محاولة لدراسة خصمه أكثر، وربما تجنّب نفسه معركة قادمة، في ذات الوقت بدأت الفلك في زيادة سرعتها باتجاه النجم الثنائي (ترجمت العبارة بعدة لغات إحداها لغة الساناي)

وصلت إلى جميع السفن ليبادر خاقي مباشرة بقوله:

إلى من أتحدث؟ ...

الأدميرال يوسف أمير قائد السفينة الحربية الفلك التابعة لتحالف كوكبي الأرض والمايكا ...

لدينا معلومات مؤكدة بأنك تُووي هاربين من إمبراطوريتنا سلمهم إلى حالاً، ولا تورد نفسك ورجالك المهالك ...

حسب الاتفاق المبرم بيننا والسيد تاناي فنحن فقط سنوصلهم إلى نقطة معينة ثم بعد ذلك ليس لنا علاقة بهم، وأتمنى أن تكون هناك اتصالات بين حضارتينا ...

من أنت حتى تساوي نفسك بالساناي؟ ثم أنني لم أطلب منك أن تسلمني الهاربين وإنما أمرك ... ثم إن كنت قد حملتهم معك فلقد أخبروك من هم الساناي، وإن لم يفعلوا فإن من خلفي أسطول بعدد نجوم الكون وجنود بعدد ذراته ...

مهلاً مهلاً أيه القائد لسنا نخاف من التهديد والوعيد، ولكننا قوم نحفظ عهودنا، وقد عاهدنا رجالكم من قبل إلى أجل، فإن انقضى هذا الأجل تركناهم وشأنهم، ولكنني أعرض السلام بيننا وبينكم ... قد طال الحديث فيما لا ينفع سأقدم إليك، ورأسك ورؤوس من معك سوف أقدمها للإمبراطور ليزين بها مرحاضه ...

أنهى خاقاي رسالته ليأمر ببقاء سفينتين هما الدرع السماوي والأرملة الباكية، وانطلق بأقصى سرعة وقد نحى خيار السلام جانباً...

قبلها بفترة قصيرة:

بعدما أنهى يوسف حديثه مع الدكتور يونس واتجه لمقعده أمر ضابط الملاحظة باتخاذ مسار يوحى بنيته الولوج بين النجمين، ثم ترك حجرة القيادة جاعلاً سيمال هو القائد، واتجه مع تاناي إلى غرفة العمليات ليرسم خطته العسكرية في حال فشلت المفاوضات مع خاقاي، استمر الأمر عدة دقائق أصدر أوامره إلى رجاله قبل أن يغادرها منفرداً بعدما ألح تاناي عليه بالاشتراك مع فرقته في القتال ليتحول رصيف التحميل إلى خلية نحل ...

رجع يوسف إلى حجرة القيادة ليلبغ سيمال مباشرة بموقعهم الحالي بدأ يوسف في الحديث مع الجنرال آغا، لتبدأ قواته باتخاذ مواقعهم بسرعة في غضون عشر ثوانٍ ... توقفت الفلك لدقيقتين تقريباً أمام حزام الكويكبات الثاني لتخرج أغلب الطائرات الحربية، لتتنقسم إلى فرقتين أو جناحين على وجه الدقة، أحدهما اتجه يمين الفلك، والآخر إلى يسارها، وانطلق الجناحان بمحاذاة الكويكبات

بحذر شديد وما إن بلغا نقطتين بعينهما (تم تحديدهما سابقاً) حتى بدأوا بالتخفي بداخله منتظرين أوامر القيادة ...

أكملت الفلك طريقها في الوقت الذي كان ضابط المسح الفضائي يبلغ يوسف بتحركات أسطول خاقاي أولاً بأول ... وبعدها أصبحت الفلك في المساحة الخالية فيما بين حزام الكويكبات الأول والنجم الثنائي أمر ضابط الاتصال بفتح قناة اتصال مباشرة مع خاقاي ...

كان الغرور يهيمن على خاقاي، ولكن هذا لم يمنعه أبداً من أخذ الحيلة والحذر الشديدين، فبمجرد اقترابه من أحزمة الكويكبات توقف ليرسل بمائة طائرة حربية صغيرة كنوع من الاستكشاف، اطمأن للوضع ليكمل طريقه وهذه المرة بالسرعة القصوى، فالفلك أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الولوج في الهالة الشمسية للنجم الأكبر، وعندها لن يستطيع أن يقاتلها بل لربما فقد أثرها إلى الأبد...

في أي معركة حربية لا بد للقائد الناجح أن يمتلك زمام المبادرة؛ ليضمن النصر أو تجنب الهزيمة والانسحاب في الوقت الملائم، ولكن في حالة يوسف فهو يملك القليل من المعلومات عن قدرات عدوه، في الوقت الذي هو مطارده فيه من الأساس ولكنه مطارده بمحض إرادته ولم يفرض عليه، بل إن فكرة المطاردة هي ركن هام من أركان خطته، لذلك كان لديه خياران لا ثالث لهما وهو تلقي الصدمة الأولى لهجوم خاقاي ثم الاندفاع بعد ذلك للهجوم بحصار سفنه من الأمام بالفلك ومن الخلف بطائراته المقاتلة، ولكنه كان من الحذر بحيث ترك سفينتين له كتعزيز الخيار الثاني وهو

المبادرة بالهجوم، حينها ستكون الفلك وحيدة لفترة زمنية كبيرة في مواجهة ثلاث سفن دفعة واحدة لذلك كان لابد من حيلة خطيرة ومعقدة ... الفقاعة ...

المسافة أربعة أميال فضائية وتتناقص ... صاح بها ضابط المسح الفضائي منفعلًا

المسافة ميلين ونصف وتتناقص ...

المسافة ميل واحد وتتناقص ...

الآن ... صاح بها يوسف مخاطبًا المهندس سليم نور الدين ليبدأ محرك الفقاعة بالعمل لتتخذ الفلك مسارًا نصف دائري إلى الخلف، لتصبح في غضون ثلاث ثواني على الجناح الأيمن لأسطول خاقاي، والذي مازال مصدومًا من اختفاء الفلك من أمامه ...

نار ... صاح بها في حماس شديد لتطلق الفلك كل أسلحتها باتجاه السهم الأبيض لتنفجر مباشرة محدثة ضوءًا هائلًا غشى الأعين ولكن القتال لم ينته ... وجه يوسف نيرانه إلى الرداء الأحمر، والتي ورغم المفاجأة الصادمة إلا أن خاقاي بدأ يستعيد شيئًا من اتزانه ليأمر الأرملة الباكية والدرع السماوي بتعزيزه ويرد على نيران الفلك في الوقت الذي بدأت فيه طائرات السيف الأزرق الحربية بالخروج، أُصيب رصيف التحميل للرداء الأحمر إصابات بالغة لتحرمها من ميزة تكتيكية غاية في الأهمية ...

بدا أن الرداء الأحمر قد أُصيب بشكل كبير فهي لم تعد قادرة على توجيه نفسها وخفت نيرانها بشكل كبير لتصبح المواجهة بشكل مباشر بين السيف الأزرق والفلك، والتي لم تصبها أي خسائر

حتى اللحظة واستطاع قائدها أن يستفيد من انشغال الفلك بالرداء الأحمر ليوجه مقدم السفينة وينطلق نحو الفلك ...
 عشرون ثانية على الاصطدام ...
 عشر ثوانٍ ...

الآن ... صاح بها يوسف لضابط الملاحه ليهبط بالفلك في مستوى أقل قبل اصطدام السيف الأزرق، ولكنها لم تكن كافية ليحتك بطن السفينة بظهر الفلك ... مباشرة وجه أوامره إلى الجنرال سيف الدين شاهين وتناهي لتنطلق مركبات الاقتحام حاملة الجنود الأرضيين والساناي لتخترق جسد السيف الأزرق من الأسفل ... قاد فرقة الهجوم على السيف الأزرق القائد صبتاي والعميد ألب أرسلان، وتوجهت بقية مركبات الاقتحام إلى الرداء الأحمر بقيادة تاناي والجنرال سيف الدين شاهين الذي أصر على قيادة قواته بنفسه في ساحة المعركة ...

في تلك الأثناء اقتربت الدرع السماوي والأرملة الباكية من حزام الكويكبات الثاني لتفاجئ كل واحدة منهم بهجوم جانبي كاسر كان هدف الطيارين الأرضيين الأول هو رصيف التحميل لكلتا السفينتين، ثم الإجهاز عليها لتنهيار الأرملة الباكية منذ اللحظة الأولى بهجوم مركز، وتتصاعد منها الأدخنة وتبدأ في التهوي للأسفل، أما الدرع السماوي فقد أمرها خاقاي بالانسحاب من المعركة فوراً لتنشئ ثقباً دودياً على ما بها من خسائر وتغادر أرض المعركة ... أمر يوسف طياريه بالقدوم سريعاً لقتال البقية الباقية من طائرات السيف الأزرق ...

انتهت الأعمال الحربية أو كادت في الفضاء ليصبح القتال وجهًا لوجه، ولكن هذه المرة في داخل الرداء الأحمر والسيف الأزرق، حينما وضعت الخطط أول الأمر ووزعت الأدوار فإنه بمجرد اقتحام السفينتين انقسم المهاجمين إلى فرقتين، فرقة الساناي مهمتها شق طريقها إلى غرفة القيادة والسيطرة عليها وأسر أو قتل القائد وضباط السفينة، وفريق الفلك كانت مهمته السيطرة على رصيف التحميل للسماح لباقي القوات بالهبوط والقضاء على جيوب المقاومة الباقية إن وجدت ...

على السيف الأزرق استطاع صبتاي الوصول إلى غرفة القيادة مع جنوده لتبدأ معركة عنيفة فقد فيها أغلب رجاله، وأصبح محاصرًا من الأمام والخلف في الوقت الذي أمن فيه العميد ألب أرسلان رصيف التحميل لتتدفق القوات ليشق طريقه في ممرات السفينة لنجدة صبتاي المحاصر، ليستطيع بعد مجهود ضخم فك الحصار عنه، وأصبحت السيف الأزرق إلى حد كبير تحت السيطرة بعدما قتل قائدها في نزال فردي مع صبتاي، وأسر أغلب ضباطه كراهية وبدأ إرسال الأسرى إلى الفلك تبعًا ...

على الرداء الأحمر كان الوضع مختلفًا كليًا لقد استعد خاقاي للقتال مبكرًا، لتدور واحدة من أكثر المعارك شراسة التي شاهدها الجنرال سيف الدين شاهين وتاناي، القتال كان من ممر إلى آخر من غرفة إلى أخرى، الأضرار التي لحقت برصيف التحميل أخرت وصول الإمدادات لساعة كاملة ... عمل المهندسون العسكريون تحت النيران والضغط الكثيف لتهيئة رصيف التحميل لاستقبال

بقية الجنود، وهو ما نجحوا فيه لتتدفق بقية القوات، مما ساعد على خضوع الرداء الأحمر في النهاية ولكن بثمان باهظ، فإثنين من كل ثلاثة شاركوا في القتال عليها إما قتل أو أصيب إصابة بالغة ... في غرفة قيادة الرداء الأحمر حدثت مواجهة خاصة جداً بين تاناي وخاقي انتهت بمقتل خاقي ... أصيب الجنرال سيف الدين شاهين إصابات بالغة، استدعت نقله مباشرة من أرض المعركة إلى الفلك للعلاج ... انتهت الأعمال الحربية تمامًا بإعلان يوسف النصر فيما أطلق عليها معركة النجم الثنائي ... أعطت المعركة صورة دموية لما يمكن أن تكون عليه المعارك بين الأرض والماء مستقبلاً ...

ملئ رصيف التحميل على الفلك بالأسرى من الرداء الأحمر والسيف الأزرق وعدد كبير من الناجين من الأرملة الباكية ... فقدت الفلك ما نسبته عشرة في المائة من إجمالي مقاتليها وثلاثة في المائة من إجمالي طائراتها الحربية، كما تضرر الهيكل الخارجي للسفينة بشدة، مما استدعى البقاء لمدة ثمانية وأربعين ساعة كاملة لإصلاحها في خطر شديد ... استغل يوسف فترة التوقف في جمع القدر الأكبر من المعلومات عن الساناي وأساليبهم وخططهم الحربية من خلال السفينتين الباقيتين واستجواب الأسرى، وتم إرسالها إلى الأرض مع مبعوث خاص على وجه السرعة ...

المقاتلون من الساناي الأسرى عوملوا كأسرى حرب، فتم إفراغ مخازن الذخيرة في رصيف التحميل ليحجزوا فيها مقيدي الأيدي والأرجل ريثما يتم تحديد مصيرهم ... باقي الأسرى سواء من المقاتلين أو غيرهم عوملوا بشكل أفضل كثيراً وبطريقة لا تدل على

أنهم أسرى حرب، كان الجنس المهيم من هو الساناي وبالأخص من سلالة الماتوناي وجنسين آخرين هم الشاب والقاتون ... قبل الانتهاء من إصلاح الفلك أعطى يوسف الخيار لجميع الأسرى من الشاب والقاتون إما بالرحيل إلى السيف الأزرق (التي كانت قادرة على السفر بعدما نزع منها أسلحتها)، أو البقاء على الفلك خاضعين لقوانينها وتركت مهمة الحديث مع الساناي باختلاف سلالاتهم لتاناي وهاناي ... ليدور حديث مباشر ما بين يوسف والضابطين الأكبر رتبة من جنس الشاب (جنس عاقل من أوائل الأجناس التي سيطر عليها الساناي في بداية حروبهم الفضائية لا يختلفون كثيراً عن البشر في هيئتهم الخارجية، غير أنهم يمتلكون إصبغاً سادساً في كل طرف، أغلبهم من المهندسين قليل من المقاتلين عددهم ألفين أسير، يمثل المهندسون والتقنيون ما نسبته ثمانون في المائة)، والقاتون (جنس عاقل تختلف هيئتهم الخارجية والتشريحية عن البشر، قامتهم بين الطول والقصر هي للطول أقرب، عريضو المنكبين بشكل عجيب، عيونهم غائرة لها حدقة تلونت بالأزرق الفاتح، يمتلكون أفواه واسعة وأنفوفهم عريضة أغلبهم صلح الرأس وجوههم دائرية قصيري الرقبة يمتلك أغلبهم لحى وشوارب كثيفة ألوانها تختلف بينهم، وبعضهم لا يمتلكون لحى اكتشف طاقم الفلك بعد ذلك أنهم إناث القاتون، وهي الصفة التي تستطيع تمييزهم عن الذكور جميعهم من المقاتلين، عددهم عشرة آلاف أسير) بدأ الضابط ثنائي من الشاب قائلاً:

لقد وصلنا عرضك أيها القائد ولكن قبل قبوله أو رفضه فإننا نود

أن توضح لنا بعض الأمور ...

هذا حقكما ولكن بداية ما رأيكما في الذهاب إلى مائدة الطعام فقد حان وقته ... نظرا إلى بعضهما البعض قبل أن يتحدث الضابط أرماتون من الفاتون قائلاً:

وهل بإمكاننا الجلوس معكم في أثناء تناول الطعام ...

بالتأكيد ... أخذهما يوسف إلى غرفة الطعام ليجلسهما قبل أن يذهب ليأتي لهما بالطعام ويقدمه بنفسه قائلاً:

هذه هي المرة الأولى التي سنتشارك فيها الطعام مع جنس غريب من عالم آخر بخلاف السودون، وأتمنى أن يعجبكما ريثما نستطيع أن نجتمع باقي المؤن من السفينتين ... خيم الصمت على الجميع في أثناء الطعام أكل الضابط أرماتون بشهية كبيرة في الوقت الذي لم يكمل فيه الضابط ثتاي طعامه؛ متعذرا بعدم قدرته على تقبله ليقوم يوسف ويأتي له بصنف آخر اضطر إلى أكله رغم عدم تقبله؛ احتراماً ليوسف الذي بادر مباشرة بعد أنتهاء أرماتون من الطعام بقوله:

الآن ماذا أستطيع أن أوضح لكم؟ ...

ما هي حقوقنا وهل نحن أسرى حرب؟ تستخدمونا وقتما تشاؤون... ابتسم يوسف قبل أن يجيب على ثتاي قائلاً:

سيد ثتاي لا أستطيع أن أنكر حاجتي إلى جنود أقوياء مدربين بشكل كبير في هذا الوقت بالتحديد، فلقد خسرت الكثير من جنودي ولا أستطيع تعويضهم إلا بإنهاء رحلتي والعودة إلى موطني لأعرضه لخطر كبير، في حالة استطاع الساناي بأي شكل من الأشكال تتبعني

ولا أنكر أيضًا أنه غير جاهز إطلاقًا لمواجهة السناني في الوقت الحالي، ولهذا فأنا عرضت الانضمام عليكم لتعويض هذا النقص فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا من الحقوق والواجبات ... أتمنى أن توضح لي هذه النقطة تحديدًا أيها القائد ...

أي أنکم ستعاملون وفق القانون الأرضي دون تمييز بيننا وبينکم مطلقًا، وهذا القانون يوضح حقوق وواجبات الأفراد سواء كانوا مقاتلين أو مدنيين، وبإمكاننا تعديله وفق ظروف خاصة جدًا وحسب ما تقتضيه الضرورة، ولا يتم هذا التعديل إلا بعد موافقة الثلثين من طاقم السفينة بالكامل ...

هل إن أصبحنا أعضاء في طاقمك سيحق لنا ذلك ... قاطعه ثنائي ليعقب قائلاً:

هذا شيء مؤكد، الأمر الآخر وهو المكاسب المادية المتحصل عليها من خلال هذه الرحلة الاستكشافية، سيتم توزيعها من خلال حصص معينة يتساوى فيها القائد مع أقل الأفراد أهمية في الطاقم، ولكن يستثنى الأفراد الذي تعرضوا للإصابة أو القتل؛ فإن حصصهم تكون أكبر من الباقي حسب إصابتهم، ويحق لهم المطالبة بتعويض مادي إن أرادوا ذلك في حالة العودة إلى الأرض أو المايكا أو زويهم فيما بعد...

هكذا تسمون موطنكم ...

نعم الأرض هي موطني وموطن أغلب الطاقم، المايكا هي موطن السودون وهو بالمناسبة كوكب غاية في الجمال ...

هل سنحصل على طعام كهذا في كل وجبة؟ وهل من الممكن

زيادة الوجبة للضعف؟ ... قالها أرماتون بوجه عليه ملامح الجوع لبيتسم يوسف بشدة مازحًا إياه قائلاً:

أنا أسحب عرضي لك سيد أرماتون فإطعامك أنت ورجالك كفيلاً بجلب المجاعة إلينا خلال شهر واحد ... ابتسم الجميع على دعابة يوسف قبل أن تتحول ملامح أرماتون بشدة ليظهر صرامة شديدة قائلاً:

أنا لا يهمني كل ما تقول عن الحقوق والواجبات، ولا تظن أنني استسلمت لرجالك خوفاً أو لعدم قدرة على القتال، ولكنني فعلت ذلك حينما أدركت أن هناك من يقاوم الساناي، وقادر على هزيمتهم في هذا الكون، لقد اكتفيت منهم ومن ظلمهم، والآن أنا لا شروط لي غير أن تضعني أنا ورجالي في المقدمة دائماً إن أردت قتال الساناي، والساناي فقط وليس غيرهم، وبقاؤنا هنا يتحدد فقط من خلال هذا الشرط أنا لن أذعن لك بالولاء مطلقاً، ولكن في القتال عندها فقط أكون تابعك المخلص الذي ينفذ تعليماتك بدقة متناهية ويسمع لك ويطيع بلا تردد ... ولي شرط آخر لن يقود أحد رجالي إلا أنا أو واحد منهم ... ليعقب يوسف على قوله قائلاً:

سيد أرماتون لسنا سفينة حربية بالأساس، نحن سفينة استكشافية وما هذه القوات العسكرية إلا لحمايتنا لم ولن نكون أبداً معتدين على أحد، سواء الساناي أو غيرهم، وفي المرات القادمة سأحاول تجنب المواجهة معهم بقدر الإمكان بل لو وصل الأمر إلى الهرب فسأفعل ببساطة، فأنا هنا مع طاقمي وحيداً بعيداً عن موطني

وليس من السهل التواصل بيننا ولولا أن القدر ساق لنا العظيم هاناي والقائد تاناي في أثناء رحلة هروبهم من كوكبهم لما تمت هذه المعركة من الأساس، ولكنك تجنبتها تمامًا ولو أدى ذلك إلى هروبي، إن حياة واحد من طاقمي تساوي عندي ألف ألف نصر، بل أقدم حياتي أنا الشخصية دفاعًا عن أي فرد منهم ... سيد أرماتون لسنا محاربين بل مستكشفين وشتان بين الأمرين ... انتهى يوسف ليفاجأ بأرماتون يقف قائلاً:

كنت أظنك مثلهم ... بدت علامات الحزن الشديد عليه ليكمل قائلاً:

طوال حياتنا ونحن نحيا في الأسر عند الساناي، ومن ترى من جنودي هم البقية الباقية من جنسنا الذي أباده هؤلاء الملاحين، لا لشيء إلا لأن أجدادي ثاروا عليهم في يوم من الأيام، لبياد كوكبنا بالكامل ويتحول إلى بقايا صخرية شاهدة على جريمتهم ... صمت أرماتون قليلاً ليكتسى وجه يوسف بغضب شديد ممزوج بشفقة بالغة ليكمل قائلاً:

سوف نتبعك أنا ورجالي سنقاتل بجانبك ما شئت من المعارك والحروب، ولكن أعطنا حريتنا في النهاية ...

حريتكم حق لكم وليست امتناً، وعلى ما يبدو فإنني لم أوضح لك الأمر جيداً، سيد أرماتون أنتم أحرار منذ حملت فيكم أمهاتكم، ولكم مطلق الحرية في اتخاذ ما تشاؤون من قرارات ... للمرة الأولى في حياته لا يكاد أرماتون يصدق ما يقال له ليعقب قائلاً:

أنت لم تكن تخدعنا حينما عرضت علينا عرضك من البداية ...

لا ...

أنا وجنودي لنا حق اختيار مصيرنا وهل نستطيع أن نغادر سفينتك
بأمان؟ ...

نعم ...

أتمنى أن تسمح لي بالذهاب إلى جنودي لأخبرهم بما تقول ...
هذا حقك وحقهم اذهب وافعل ما شئت ... خطى بضع خطوات
قبل أن يرجع إليه قائلاً:

أنت لا تخذعني أليس كذلك ... ابتسم يوسف ليجيب:
لا مطلقاً سيد أرماتون ... تركه لينطلق إلى جنوده القابعين في رصيف
التحمل لينظر ثنائي ليوسف قائلاً:

نحن تعاملنا مع الساناي منذ أن أدركنا الدنيا ولم نعامل بمثل هذا
القدر من الاحترام شكراً لك أيها القائد ... من الآن أنا ورجالي
سنكون في خدمتك ... خر ثنائي على ركبتيه وحنى رأسه أمام يوسف
لينزعج يوسف بشدة قبل أن يمسك كتفيه ليرفعه من جديد قائلاً:
ماذا تفعل أنا لن أقبل أبداً أن ينحني أحد لي، ولكن من الممكن
أن تصافحني ... مد يوسف يديه إلى ثنائي الذي نقل بصره بينها
وبينه مبهوراً ...

استطاع تاناي أن يقنع بعض الساناي باتباعه في طريق الثورة
على حكم موتاي مؤيداً بحامي غرفة الأسرار هاناي، الذي أوضح
للجميع حقيقته الدموية واستيلائه على العرش بعدما خان أخاه،
بيد أنه بقي الكثير ممن رفضوا هذا الأمر متهمين هاناي وتاناي
بالكذب ليتنحى تاناي بهاناي جانباً قائلاً بهمس:

لماذا لا تفعل معهم مثلما فعلت معنا من قبل ...

هذه القدرة مرتبطة بالمعبد الشمالي فقط ولمسافة محدودة حوله، ولولا قربك وقرب رجالك ما استطعت أن أفعلها ... لم ييأس تاناي بل حاول مرة تلو المرة اقناع الجميع بهذا الأمر بالأخص الضباط والجنود، استجاب له البعض ورفض البعض الأمر بشكل قاطع، ولكنها كانت بداية موفقه بالنسبة له... بعد انتهاء المناقشات تبادل معه أطراف الحديث حول أمر يريد أن يقدم عليه ليوافق هاناي عليه بل ويشجعه على ذلك ...

انتهت عمليات الإصلاح بالكامل في الفلك ... أمر يوسف بنقل من لا يريد البقاء في الفلك إلى السيف الأزرق ليحدد مصيره كيفما شاء، الباقي خُير ما بين أن يصبح من طاقم الفلك، أو يبقى عليها إلى أن يصلوا إلى أقرب كوكب صالح للحياة ثم ينقلوا إليه ... نُقلت الجثث إلى الكوكب القزم ودُفنت بشكل لائق ...

وبينما يوسف في غرفة القيادة يجري استعداداته الأخيرة قبل الانطلاق من جديد فُوجئ بأرماتون وعدد ضخم من جنوده يتقدمون إليه ليقول أرماتون:

لقد تناقشت طويلاً مع جنودي على ما عرضت علي، بل وحتى مع تاي ولقد وافقنا على أن نصبح من طاقمك، ولكن لنا طلب واحد حينما نصل إلى أول كوكب صالح للحياة وخال من أي جنس عاقل سيترك سفينتك نصف الموجود منا وقتها، لا لشيء إلا لاستمرار جنسنا فقط والباقي سيبقي معكم إلى نهاية رحلتكم ...

لكم ماتريدون ... فُوجئ يوسف من جديد حينما خروا جميعاً

على ركبهم ليمسك بكتف أرماتون ودعاهم جميعًا إلى القيام قائلاً:
أرجوكم لا تتحنوا مجددًا لي أو لأحد غيري، الانحناء يكون للخالق
سبحانه وتعالى فقط ... ثم مد يده إلى أرماتون الذي بادله
المصافحة قائلاً:

لقد أخبرني ثنائي بذلك ولكنني لم أصدقه ...

من الآن أيها القائد أرماتون ستحمل رتبة جنرال وستكون عضوًا في
هيئة أركان الفلك ...

وإن كنت لا أدري عن أي شيء تتحدث ولكنني أظن أنه أمر كبير ...
ابتسم يوسف قائلاً:

ريثما نبدأ رحلتنا سيكون هناك الكثير مما نتعلمه من بعضنا
البعض ... خرج أرماتون من غرفة القيادة ليتابع يوسف عمله قبل
أن يُفاجئ من جديد بتاناي ومن خلفه ضباطه، وبسبب ضخامة
أجساد الساناي فلقد امتلأت الغرفة وبقي بعضهم خارجها ... هذه
المرة خر تاناي ومن معه على ركبهم؛ ليخرج سيفه منفردًا ويوجه
نصله إلى صدره قائلاً:

لقد رأينا منك ما لم نره من أحد قبلك ولا ينافسك في ذلك إلا القادة
العظام للساناي، لقد استطعت بجراتك وشجاعتك وإقدامك أنت
ورجالك أن تقهروا خاقاي وجنوده وهو أمر لو تعلمون كبير عندنا،
وسيكون صدى هزيمته مؤلمًا على موتاي وهتكاوي وكل أسطولنا و
جيشنا، وستتناقل الأمهات حكايتك وأسطورتك إلى الأبد... فهل تقبل
بنا جنودًا نأتمر بأمرك ونصبح درعك وسيفك إلى أن نصل بالعظيم
هاناي مأمنه ... بالرغم من أن تاناي يجلس على ركبتيه فما زال

عمرًا مقارنة بيوسف الذي اقترب منه مبتسمًا على وشك الضحك مما سمعه ممسكا بكتفيه قائلاً:

أنت تبالغ بشدة يا تاناي، أي أسطورة تلك التي تتحدث عنها ثم لا تنحني لأحد أبدًا ... أوقفه ليعقب تاناي:

أيها القائد لم يسجل الأرشيف العسكري للساناي هزيمة مطلقًا منذ أكثر من خمسة آلاف عام من الحروب ... صمت قليلاً قبل أن يردف:

ربما يكون في الأمر مبالغة ولكنه سيظل أمر استثنائيًا في حياتنا على الأقل ... لقد جننا طالبين منك أن تقبلنا من جنودك وطاقمك.. هذا شرف كبير لي ولسفينتي بل أمر أفخر به فمرحبًا بك وبجنودك معنا إلى أن نصل بكم وبالعظيم هاناي إلى بر الأمان ... وكما فعل مع أرماتون ومن قبل تاي مد يوسف يده إلى تاناي الذي نظر لها مندهشا ليمسك يده مصافحًا إياه، فقبض تاناي عليها بقوة فألمته فعقب مازحًا:

تاناي أرجوك دائمًا تذكر فارق القوة الجسمانية بيننا ... ابتسم الجميع لهذا الموقف

كانت بداية لتعاون كبير وعظيم بين الجميع سيمتد لعدة سنوات قادمة ...

وبدأت الفلك رحلتها من جديد مستكشفة الكون وأسراه ...

وعلى الماي كان الغضب قد بلغ المدى ...

-٢٥-

أربعة أيام متتالية غاب فيها محمد عن الوعي استيقظ ليجد العديد من الرجال حوله، وأحدهم يقرأ القرآن على رأسه ... فتح عينيه ناظرًا في وجوه الجميع بشيء من الاستفهام ليفاجأ بأن جسده مقيد إلى فراشه، ليبدأ مقاومةً قيده قبل أن يتوقف القارئ ويسمع أحدهم يقول بشيء من العطف:

يابني لقد تملك الشيطان من جسدك ولا بد أن نطرده، اصبر قليلاً وسينتهي كل شيء ...

أراد المقاومة أكثر ولكنه يعلم عدم جدواها استسلم للأمر بينما أغمض عينيه ليغوص في بحر من الذكريات القريبة البعيدة معًا ليبحر في محيط من العلوم في شتى المجالات، ليدرك وللمرة الأولى مقدار ما يستطيع العقل البشري أن يستوعب ... أدرك للمرة الأولى قوة العلم وقوة ما يستطيع فعله... أدرك أهميته له ولمن حوله... في عقله تنساب آلاف المبادئ العلمية وملايين من النظريات ... يخرجها منها قليل من الهمس حوله يتبين القليل ويغيب عنه الكثير ... قرر المعالج أنه في حاجة إلى أن يغسل جسده بماء قرأ عليه وهم على وشك أن ينزعوا عنه قيوده ... لتمر الدقائق والماء البارد ينفذ جسده الهزيل ليسمع صيحات الله أكبر ... أخرج ياعدو الله ... ألم تجد غيره ... ظل على وضعه صامتًا وقرر أن لا يخوض هذه التجربة ثانية ... فكت قيوده ليمسك بمعصميه في ألم

يفتح عينيه من جديد ليجد الجميع ينظرون إليه في ترقب وخوف
قبل أن يهمس المعالج في أذن أكبر القوم قائلاً:

الشیطان الذي تلبسه من المردة المسلسلين في جهنم، ولا أعتقد
أنه سيخرج منه أبداً، يجب أن نضع الرجال على الأبواب ومعهم
المصاحف ليمنعوه من الخروج إذا فكر في المغادرة، وبعد ثلاثة أيام
إن لم يخرج فلا بد من حرق المنزل عليه؛ حتى لا يجلب الموت إلى
كل القرية ...

اتسعت عينا محمد رعباً وعجباً، فهو من ناحية استطاع قراءة
شفتي المعالج، ومن ناحية أخرى فهو على وشك الموت ...
ماذا حدث لي؟ ... كانت أول ما تفوه به محمد فتبرع أحدهم
للإجابة قائلاً:

منذ ثلاث ليالٍ والناس تسمع حديثاً يأتي من داخل بيتك لا ينقطع
ليلاً ولا نهاراً، فقرر شيخ القرية أن نقتحم البيت لنجدك ممداً على
الأرض تهذي بكلمات غير مفهومة، وتحدث في أمور عجيبة فجئنا
بالمعالج من القرية المجاورة، وبعدما بدأ القراءة عليك بقليل
استيقظت فالحمد لله ...

لنترك الشيخ محمد الآن ولنعد إليه في الصباح، قال كبيرهم: ليغادروا
المنزل جميعاً بعد كلمته ليبدأ في البحث عن مكعبه الغريب
وصندوقه الأغرب وعلى ما يبدو فإن أحدهم لم يعر الأمر انتباهاً
كبيراً، وإنما قذف به إلى الجانب الآخر من الغرفة، تفحصه محمد
جيداً ليطمأن على سلامته قبل أن يبدأ بجمع حاجاته ليغادر هذه
القرية إلى الأبد ...

أقبل ستار الليل فاسترق السمع لمن هم بالخارج فوجدهم
يتسامرون ... ظل في ترقبه فترة من الوقت حتى أيقن بنوم الجميع
... بخطوات هادئة مترقبة غادر منزله دون إصدار صوت ... لا بد
له من راحلة وزاد ... على أطراف القرية يقبع الخان ...
زاد وراحلة لعابر سبيل ... مثلثم الوجه يخاطب صاحب الخان
المستيقظ من النوم ...

ثمانية من الأحجار الكريمة ...

إنما أنا عابر سبيل ولا أملك إلا أربع فقط فجد على فإن سفري
بعيد ... حك الرجل رأسه قائلاً:

وما كان لأبي عامر ألا يوجد على عابر سبيل فأقبل علينا ضيفاً إلى
الصباح ...

جزاك الله خيراً إنما أنا في عجلة من أمري وهاكم الأربع قطع ...
كما تشاء انتظرني هنا ... يغيب الرجل قليلاً ليأتي بدابة عليها زاد
مسافر قائلاً:

في حفظ الله فإن بلغت مقصدك وفتح الله عليك فجد بالقطع
الأربع في سبيل الله ...

بُورك فيك ياعماه ...

في حفظ الله ورعايته ...

يمتطي دابته سائراً باتجاه الشرق، ولما بلغ ربوة عالية تطل على
قريته نظر إليها وقد غشاها الليل ولولا القناديل ما رأى منها شيئاً
قائلاً:

ياليت قومي يعلمون ...

أقبلت الشمس تستحي بنورها على محمد الذي لم يتوقف عن مسيره باستثناء وقت صلاة الفجر، يكمل مسيره حتى انتصفت الشمس في كبد السماء ليتوقف أخيراً؛ ليأخذ قسطاً من الراحة... أناخ دابته وأخرج ما يسد به صراخ معدته قبل أن يأخذه النوم... انتفض فرعاً مما رأى في منامه وكأن أهل القرية تحولوا إلى وحوش كاسرة يطاردونه أينما اتجه... أكمل مسيره الطويل وبينما يتجه إلى طريق ممهد يشق غابة كبيرة، إذ ترائى له كهل عجوز منحني الظهر يسبقه بمسافة كبيرة، سرعان ما تناقصت حتى دنا منه، فنزل عن دابته قائلاً:

السلام عليكم ياعماه ...

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ...

هاك دابتي لتكبيها فتريحك من عناء المسير ...

بُوركت يابني ولكني في مسيري هذا منذ زمن، وقد اعتادت قدمي الترحال، فاركب دابتك واقصد مقصدك ولا ترافق عجوزاً فيؤخرك ويبطأ سيرك ...

ليس منا من لم يوقر كبيرنا ...

ذاك نبي الأميين حكيم صادق عليم أمين ... إذا هي الرفقة ولكن بأي اسم أناديك ...

أنا محمد ...

سميت على اسم النبي إذًا ... أنا عبد الإله ... ألك قصة تروى أم لا؟ لا أدري، ولكني ولدت من غير أب ولم أكد أدرك أُمي حتى رحلت، ورباني صديق أبي الذي تُوفي منذ بضعة أسابيع ولا أدري أترحم

عليه أم ألعنه ...

ألم يربك صغيراً حتى اشتد عودك ...

نعم ...

فترحم عليه ... ما اسمه إذا؟

عبد المجيد ...

من أين مقدمك؟

من قرية القمح بجوار النهر الكبير...

ومن ذا الذي لا يترحم على ذاك الرجل ... ليرحمه ربه ...

أتعرفه يا عماء؟ ...

قد عرفته قليلاً، كان حكيماً عاقلاً ولولا صحبه لأصبح ... توقف

بغته عن الحديث ليستحثه محمد بقوله:

لأصبح ماذا؟ ...

لا شيء ... ران الصمت عليهما فترة من الوقت... أحس محمد ببطء

تحركه مع العجوز الغريب، فدعاه مجدداً لركوب دابته غير أنه

رفض الأمر مراراً وتكراراً، فأراد أن يكسر حاجز الصمت فقال:

نمشي منذ زمن ولم أعرف وجهتك يا عماء ...

أولاً توقف عن مناداتي بعماء، ثم ألسنت من رافقني ابتداءً

فالسؤال لك أولاً ...

لا أدري إلى أين ولكني أتبع وصية عبد المجيد رحمه الله باتخاذ

طريق الوادي ... أحس محمد بارتباك بسيط في خطوات العجوز

سرعان ما استدرك أمره قائلاً:

ولم أوصاك بذلك؟

لا أعلم ولكنه كان مصرًا على هذا الأمر ...

ولكنك أخبرتني أنه مات منذ عدة أشهر، لم تأخرت؟ ... أراد أن يخبره بالقصة كاملة ليتراجع في اللحظة الأخيرة قائلاً:
لا شيء كنت مشغولاً ببعض شأني ...

غلفهما الصمت من جديد ليطول هذه المرة، وإن أراد محمد أن يحدثه بأمره غير ذات مرة ليتراجع في النهاية غير أن العجوز فاجأه قائلاً:

هل أعطاك الصندوق؟!!!

توقف محمد عن المسير مصعوقًا مما سمع ولكنه لم يتوقف ليكمل قائلاً:

إذًا فأنت هو ... اتبعني ولا تقف عندك كالأبله ...

تردد محمد في إكمال مسيره، وراودته فكرة الهرب على دابته ليتوقف العجوز وينظر إليه قائلاً:

ما أنا إلا رجل بلغ بي الكبر مبلغه ومنذ سنين وأنا أقطع هذا الطريق جيئةً وذهابًا في انتظارك ... لقد فנית حياتي لأجل مرافقتك في هذا الطريق ... صمت الرجل قليلاً قبل أن يهبط على ركبتيه أمامه قائلاً:

المجد لك أيها الأمير ياتاي بن الأمير تاماي بن الإمبراطور شوماي بن الإمبراطور ثاتاي، الوريث الشرعي لإمبراطورية الساناي خادمكم المطيع صوماي ...

خاتمة الجزء الأول

المهبط السابع جاهز لاستقبالك ... نراك قريباً ...

توجه الطيار بمقدم مركبته إلى المهبط السابع على القاعدة القمرية بعد عام ونصف من السفر قضاها وحيداً ... رأى القبة الزجاجية وهي تنزاح جانباً كاشفة عن المهبط وسرعان ما بدأ هبوطه وما أن استقرت حتى بدأت القبة في العودة من جديد مدركاً أن أمامه بضع لحظات حتى يتمكن من الخروج ريثما يتم معادلة الضغط داخل المهبط ... هبط ليجد قائد القاعدة بنفسه في استقباله وقد بدت الحيرة على وجهه ليبادر بعد السلام بسؤاله مباشرة:

أتمنى أن تكون الأمور بخير على الفلك ... نظر له بحيرة قائلاً:

لا أدري ولكني أريد وزير الحرب شخصياً على وجه السرعة فأنا محمل برسالة من الأدميرال يوسف أمير ... اتسعت عينا القائد في جزع قبل أن يقول:

بالتأكيد ... بالتأكيد ...

بعدها بأربعة وعشرين ساعة على الأرض...

دلف وزير الحرب إلى إحدى أكثر القاعات سرية وأماناً على كل الكوكب ليجد في انتظاره رئيس الأركان وقائد الجيش وقائد الأسطول الفضائي بالإضافة إلى رئيس الوزراء و مندوب عن الملك ليتخذ مقعده قائلاً:

أتمنى أن تسامحوني أن طلبت هذا الاجتماع العاجل ولكنه أمر يخص الفلك ...

هل تقصد السفينة الاستكشافية التي خرجت منذ عدة سنوات ... هي بذاتها سيادة رئيس الوزراء وحتى لا يضيع الوقت سأبدأ أولاً بعرض بعض المشاهد ... أخرج من جيب سترته بطاقة صغيرة سرعان ما مررها في الهواء لتبدأ أنوار الغرفة في الانخفاض تدريجياً... اتسعت أعين الجميع وزادت ضربات القلب وبدأ العرق يتصبب ... لابد أن يحاكم هذا الأدميرال على ما فعل وسنرسل رسالة سلام إلى تلك الحضارة فوراً ولو اضطررنا إلى تسليمه أيضاً فلنعمل كيف يبدأ حرباً دون استشارتنا ... أول ما تحدث به رئيس الوزراء مباشرة بانفعال شديد بعدما عرض وزير الحرب بعض المشاهد التي صورتها الفلك في أثناء معركتها الأخيرة ... تبادل العسكريون نظرات ذات مغزى ليبادر وزير الحرب قائلاً:

بالتأكيد سيدي رئيس الوزراء ولكن الأمر يحتاج إلى دراسة وافية فنحن لا نعلم ظروف المعركة ولا ما الداعي لها وما أن ننتهي سأرفع بهذا الأمر تقريراً مباشراً لك ... غادر الحجرة وهو يقول: أتمنى أن تنتهي من تحقيقاتك في أقرب وقت وسأبلغ وزير الخارجية بهذا الأمر ليعد رسالة مناسبة إلى تلك الحضارة معذراً ومتأسفاً وعارضا السلام فنحن لا نريد إثارة الرأي العام الانتخابات على الأبواب ... ولم يكذب يبلغ الباب المؤدي إلى الخارج حتى فوجئ بالملك والذي بادر قائلاً:

إن خرجت كلمة واحدة مما رأيت هنا فأعلم أنك ميت لا محالة

... أمتقع وجهه بشده وبدى الارتباك يدب في أوصاله قائلاً:

ولكن الدستور...

لن أعيد كلامي مرتين ومن الآن وبأمر ملكي سيمنع رئيس الوزراء من حضور أي اجتماعات قادمة في وزارة الحرب وستنقل تبعيتها المباشرة لي ...

ولكن هذا يخالف الدستور ولي الحق في الطعن على هذه القرارات...

لقد تم إعلان الأمر وقبولك وقبول مجلس الوزراء أيضا ...
أنت تعتدي ...

كلمة أخرى وسنصلي عليك اليوم صلاة لا ركوع فيها ... تجلت أمارات الفزع والدهشة على وجهه ليغادر صامتا ... جلس الملك في مقعده المخصص له قائلاً:

لقد وصلتني المعلومات منذ عشر ساعات تقريبا وعكفت على مطالعتها ... صمت قليلا موزعا نظراته بين الجميع ليردف قائلاً: عدة قرارات ستتخذ في هذا الشأن أولها سيد أدهم استقالتك من وزارة الحرب قبلت منذ قليل أنت والسيد عمر لتتفرغا إلى قيادة وزارة الفضاء والتي ستتحول إلى وزارة عسكرية بالكامل وينقل إليها قيادة الأسطول الفضائي والذي أمر منذ الآن بالبدء في تحديثه بالكامل وفق المعطيات الجديدة الاعتمادات المالية لكما ستكون غير محدودة ولكن أريد أن أرى النتائج في غضون سنة واحده تقاريرك تقدمها مباشرة لي الأمر الأخير يرقى الأدميرال يوسف أمير إلى رتبة أمير الحرب ...

القرارات التي اتخذت في أعقاب معركة النجم الثنائي على الأرض كانت من القوة بحيث أثرت على مليار شخص تقريبا من بين أكثر من ثلاثة عشر مليار شخص هم سكان الأرض ... مارس أدهم سلطاته الجديدة فور إعلان الأمر ليكون أول قرار له إنشاء فرع خاص داخل الوزارة مهمته الوحيدة العمل على تصميم سفن حربية فضائية تضاهي في قوتها قوة سفن الساناي ... مرت عدة شهور لتبدأ النماذج الأولى في الظهور ليرفض بعضها ويقبل الأخرى تتبعها مباشرة مرحلة التصنيع أنشأت العديد من المصانع العملاقة لهذا الغرض خصيصا ... أولى السفن الحربية ظهرت إلى العلن بعد ثلاثة سنوات من العمل المضنى ولتتوالى بعد ذلك خروج العديد من مختلف الطرازات ... أنشأ أيضا قسم خاص معنى بدراسة كل البيانات المستخلصة من سفن الساناي بالإضافة إلى تحليل التكتيكات العسكرية لهم ... جند الملايين من الشباب ليصبحوا جنودا في الأسطول الفضائي ...

بعد المعركة بثمانين عاما انطلقت السفينة الاستكشافية بربروس بقيادة الأدميرال خير الدين بربروس بمهمة محددة وهي جمع الحلفاء من أقاصي الكون بعد كم المعلومات التي وصلت من الفلك ...

نهاية الجزء الأول

الكاتب: محمد السيد عبد الدايم عبد السلام

الثاني والعشرون من صفر للعام الثامن والثلاثين بعد المائة الرابعة

للألفية الأولى للهجرة النبوية

